

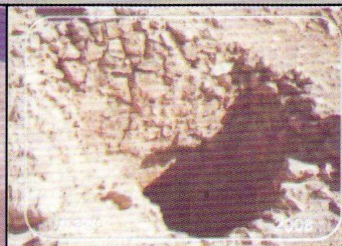
الحياة العلمية في جبل نفوسة

وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي

من القرن 2-8 هـ / 8-14 م



الحياة العلمية في جبل نفوسة



تأليف

محمود حسين كوردي

الحياة العلمية في جبل نفوسة
وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي
خلال القرون: (2 - 8/هـ - 14م)

تأليف
محمود حسين كوردي

2008.

رقم الإيداع: (2008 /665)
دار الكتب الوطنية - بنغازي - ليبيا

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب
دار الكتب الوطنية
بنغازي - ليبيا

ردمك 5 - 0318 - 1 - 9959 - 978 ISBN

هاتف: 9097074 - 9096379 - 9090509
بريد مصور: 9097073.

البريد الإلكتروني: Nat - lib - Libya @ hotmail. com

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة والاقتباس محفوظة للمؤلف

(الطبعة الأولى: 2088)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①

ح الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ③ مَلِكٍ يَوْمَ
الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ ⑦

صدق الله العظيم

سورة: الفاتحة، الآيات: 1 - 7.

الإهداء

إلى روح والدي العزيز الذي رباني في الصغر وغرس في نفسي حب العلم تغمده
الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته...

إلى أمي الحنون التي تبذل الغالي والرخيص من أجلي، أطال الله في عمرها ومتعها
بالصحة والعافية...

إلى رفيقتي على درب الحياة اعترافاً مني بتضحيتها وتشجيعها، والتي أتمثل فيها
قول رسولنا محمد صلي الله عليه وسلم عن المرأة الصالحة: " إذا نظرت إليها
سرتك وإن غبت عنها حفظتك في مالك وعرضك وإن أمرتها أطاعتك".

إلى كل أساتذتي الكرام الذين تلقيت على أيديهم طلب العلم والمعرفة..
وأخص منهم أستاذي الدكتور الهادي المبروك الدالي الذي أشرف على هذه
الدراسة، أطال الله في عمره ومتعته بالصحة والعافية.

إلى كل محبي العلم والعلماء.

أهدي هذا العمل

كلمة شكر وتقدير

إن هذا العمل التاريخي في أساسه كان دراسة علمية قدمت لنيل الدرجة العالية (الماجستير) بجامعة الفاتح، وبعد إطلاع الأستاذ الفاضل الأديب على مصطفى المصراطي على هذا العمل، شجعني على نشره، كما أطلع عليه أيضاً الأستاذ الفاضل عمار جحيدر الذي كانت له بعض التوجيهات. وشجعني هو الآخر على نشر هذا العمل وطباعته فلهذين الأستاذين أتقدم بخالص شكري وجزيل امتناني. فقامت بتنقيح الدراسة وحاولت قدر الجهد أن أضيف إليها معلومات ومواضيع أخرى تتماشى والسياق العام للدراسة.

كما لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والاحترام العميق لأستاذي الفاضل الدكتور الهادي المبروك الدالي الذي تولى الإشراف على هذه الدراسة وتعاهدنا بالرعاية والتوجيه منذ أن كانت فكرة بسيطة حتى صارت ما هي عليه الآن. كما أعاد شكري مرة أخرى للدكتور الهادي الدالي للفت انتباهي لهذا الموضوع في مرحلة الليسانس عندما كلفني كتابة بحث عن أعلام جبل نفوسة، فأسأل الله الكريم أن يطيل عمره في الخير والبركات وأن يجزيه عن العلم وأهله خيراً. والشكر موصول للدكتور خليفة البديري لمراجعته اللغوية لهذه الدراسة.

كما أوجه خالص شكري إلى جميع الأساتذة الذين علموني ودرست على أيديهم في مختلف مراحل تعليمي وأخص منهم الأساتذة الأجلاء في مرحلتي الجامعة ودبلوم الدراسات العليا.

وهنا أريد أن أسجل عميق الشكر والعرفان للجنود المجهولين بمختلف المكتبات اللبية وأخص منهم موظفي: مكتبة مركز الجهاد للدراسات التاريخية، ومكتبة المعهد العقائدي بطرابلس، ومكتبة كلية الدعوة الإسلامية، ومكتبة السراي الحمراء، ومكتبة دار نويجي للثقافة، ومكتبة مصطفى قذري معروف، ومكتبة الآداب بجامعة الفاتح، والمكتبة القومية المركزية، والمركز اللبي التونسي بطرابلس.

وأحب أن أقدم الشكر والامتنان الكبير لعائلتي الكريمة لما قدموه لي من نصح وتشجيع وعون وأخص زوجتي الفاضلة التي عانت كثيراً من ظروف كتابة هذه الدراسة فجزاها الله العلي القدير عن صبرها وعوفها خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أسجل هنا أيضاً شكر خاص وعميق إلى أولئك الأخوة الأعزاء من أهالي قري ومدن الجبل الحبيب الذين قدموا لي مساعدات كبيرة وجة عند تجوالي في ربوع المنطقة من أجل تجميع المادة العلمية، وتوثيق المعالم التاريخية والأثرية بالصور الضوئية وفي الحقيقة كان لمعوتهم أكبر الأثر على هذه الدراسة وهم: الأستاذ سليمان عمرو يحمّد، والأستاذ الهادي النامي، والأستاذ يحيى المقدمي (من نالوت)، والأستاذ علي منصور، والأستاذ عبد الله بو رقية والأستاذ خليفة العزابي (من فرسطا)، والأستاذ إبراهيم صكوح، وأبنة أيمن صكوح، والأستاذ سعيد طرف (من كباو)، والأستاذ محمد الهوفاري (من طمزين)، والأستاذ عمر المرعوش والأستاذ علي نزنوز (من تملوشايت)، والأستاذ إحمّد صالح التندميري (من تندميرة)، والأستاذ موسى شاكير (من مرقس)، والأستاذ عمر أيوب (من ترغت)، والأستاذ أحمد الساق (من أم الصفار)، والأستاذ عمر عبازة (من جريجن)، والأستاذ علي حامد لطيف (من

زعرارة: البدارنة الشرقية)، والأستاذ أبو بكر أحتيوش (من دجي: البدارنة الغربية)، والأستاذ صلاح مسعود الدبلي (من ونزيرف)، والأستاذ داود القلال (من إيجناون)، والأستاذ عادل الطرميسي (من طرميسة)، والأستاذ علي قليزة (من جادو)، وهؤلاء جميعاً دين في عنقي لما قدموه لي من مساعدات جمة فجزاهم الله خير الجزاء وأحسن إليهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن المتبع لتاريخ ليبيا الإسلامي يجد صعوبة في الوصول إلى غايته من المعلومات التاريخية، وتتضح هذه المسألة بصورة أكبر إذا كان المطلوب يختص بالدراسة الجزئية أي: دراسة بعض الأقاليم، وهذا ما يتضح من دراسة تاريخ جبل نفوسة الذي يعد جزءاً من تاريخ بلاد المغرب الكبير.

كما نلاحظ اهتمام الباحثين بدراسة التاريخ السياسي وإهمالهم للجوانب الثقافية والعلمية التي تعدّ جزءاً مهماً في حياة الإنسان خاصة إذا ما توفرت بعض المصادر الأولية التي تؤكد على ذلك. كما أن أغلب الدراسات الحديثة تكاد لا تلتفت إلى هذه المنطقة في أية مرحلة من مراحلها العلمية، أو دورها في نشر الإسلام واللغة العربية، حيث كان لأهلها دور بارز في هذا المجال، من هنا انصب اهتمامي على منطقة جبل نفوسة من حيث نشاطها العلمي والثقافي الذي كان على قدر ملحوظٍ من الأهمية والبروز، وهذه المنطقة من ضمن المناطق والبلدان التي كانت فحشها العلمية والفكرية — خلال العصور الوسطى — أساساً تحت مظلة الحضارة الإسلامية، لأن الدين الإسلامي كان الحافز الرئيسي للإعتناء بالثقافة والفكر، واللغة العربية هي الإداة التي أتقنها سكان جبل نفوسة وعبروا بها عن حضارتهم وآدابهم، فبلغت القرآن كتبت أغلب المؤلفات والمصنفات. وبذلك صارت المنطقة رافد من روافد الحضارة الإسلامية، وساهمت بدور بالغ في بناء تلك الحضارة، ووصل تأثير الحياة العلمية بالجبل إلى المناطق المجاورة مثل: (غدامس،

وفزان، وبلاد الزاب، وجزيرة جربة، وبلاد الجريد التونسي، وبلاد المغرب الاوسط)، وبلدان أخرى بعيدة عن منطقة جبل نفوسة مثل: (بلاد السودان الغربي والأوسط)⁽¹⁾.

ويُعدُّ جبل نفوسة (الجبل الغربي حالياً)، هو امتداداً جغرافياً لسلسلة جبلية طويلة تبدأ من جبل درن بالمغرب الأقصى (جبل أطلس)، مروراً بالمغرب الأوسط حيث (جبال الأوراس)، ثم جبل دمر ومطماطة بالمغرب الأدنى، الذي ينتهي بجبال طرابلس وتسمى مسافة منها بجبل نفوسة، وسكن الجبل عدة قبائل عرفت بـ(الأمازيغ) أو البربر⁽²⁾ وتضاربت الآراء حول أصولهم، وتشعبت وجهات النظر في ذلك الأمر.

وكان للبيئة الجغرافية التي يتميز بها جبل نفوسة، تأثير على حياة السكان الحضارية . فأنشأوا القرى والمدن وعرفوا الزراعة على ضفاف الوديان وحول العيون، كما اشتغلوا ببعض الصناعات المحلية التي تخدم حياتهم اليومية، وتعاقبت الأديان على الجبل وتعاصرت، فمن الوثنية (عبادة الشمس والقمر)، إلى اليهودية ثم المسيحية، وبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب عامة ومنها (منطقة الجبل)، اعتنق الأهالي الإسلام، واجتهدوا في اتباع تعاليمه السامية التي تدعو إلى طلب العلم والأخذ بأسباب المعرفة، وهو ما أفضى بأهالي الجبل شيئاً فشيئاً إلى العناية بهذا

(1). تشمل هذه التسمية اليوم للدول الأتية: السنغال، وبوركينا فاسو، وغانا، ومالي، وشمال نيجيريا، والنيجر، وتشاد.

(2) . أطلق الرومان هذا الاسم على سكان بلاد المغرب الكبير وأعتبروا كل الخارجين عن الحضارة الرومانية برابرة أي: متوحشين وهمجيين. وهذا طبعاً لا يتأتى قبوله مع تلك الشواهد الأثرية والتاريخية التي تؤكد على الحضارات القديمة التي ظهرت في بلاد المغرب الكبير، للمزيد انظر: رشيد الناضوري، تاريخ المغرب الكبير، ج1، بيروت: دار النهضة العربية، 1981، ص 51 – 113.

الجانب من الحياة الفكرية والعلمية، حيث قام عددٌ من أبنائه بالرحلات العلمية من أجل طلب العلم في مختلف بلاد العالم الإسلامي (خاصة المشرق العربي) الذي استفادوا منه على نحو أوسع في نقل العلوم الإسلامية والعربية وكذلك طرق التدريس ومناهجه، إذ كانوا يعمدّون إلى نشر ما تعلموه واكتسبوه بمدن وقري الجبل بعد عودتهم. وقد بلغ بهم الحرص على التعلم والتحصيل في تلك الفترة أن بعض المعنيين بهذا الأمر من الجبل كانوا يترصدون السابلة من العرب القادمين من المشرق إلى بلاد المغرب لتلقي سور القرآن منهم على الألواح لدراسته وحفظه، وبذلك توفرت الظروف لإنشاء (الكتاتيب) المعدة لتحفيظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، كما قامت المساجد بذلك الدور التعليمي، ثم تطورت بعض الكتاتيب إلى مدارس (وسطي، وعليا) في فترات تاريخية لاحقة، وأسهمت تلك المراكز التعليمية جميعها في ظهور العديد من العلماء والفقهاء الذين اضطلعوا بعبء كبير في حركة النهضة العلمية، تعليماً وتدریساً، وتأليفاً في مختلف العلوم والفنون، فأُنشئت المكتبات (الخاصة والعامة)، مما ساعد على انجاح الحياة الفكرية واستمرارها. ولم يقتصر التعليم على الرجال بل أسهمت المرأة أيضاً في الحياة العلمية، وبلغت بعض النساء درجة من العلم والتفقه في شؤون الدين إلى درجة الاجتهاد.

وقد ارتبطت منطقة جبل نفوسة ببلاد السودان الغربي بالعديد من الروابط والصلات (الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية) التي تمتُّ بجذورها إلى فترات بعيدة تسبق الفتح الإسلامي لبلاد المغرب كافة، وكانت هذه الصلات والعلاقات بارزة ومتمثلة في التجارة التي تربط بين أواسط وغربي إفريقيا وبين سواحل أفريقيا الشمالية عن طريق مجموعة من البوارج التي تعد محطات للقوافل التجارية .

عرفت مناطق بلاد السودان الغربي ظهور وتأسيس عدة ممالك وامبراطوريات منها: (امبراطورية غانا الوثنية، ومملكة الصوصو، ومملكة مالي الإسلامية، ومملكة السنغاي وغيرها)، ولم تشكل الصحراء الكبرى حاجزاً وعقبة أمام التواصل الحضاري بين المنطقتين، فقد تمكن أهالي الجبل من الوصول إلى تلك الممالك والتعامل معها تجارياً وثقافياً واجتماعياً.

وعلى ذلك يمكن القول أن الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها في بلاد السودان الغربي خلال القرون (2 — 8هـ / 8 — 14م) جديرة بالدراسة والتحليل، وهو ما يسعى هذا البحث إليه من خلال دراسة تحليلية وصفية . وتستهدف هذه الدراسة معرفة العوامل والأسباب المؤدية إلى ازدهار الحياة العلمية في منطقة جبل نفوسة، وكيفية بروز العدد الهائل من العلماء والفقهاء والعلماء في مختلف العلوم والفنون، والوقوف على دور العرب المسلمين الفاتحين للمغرب، في نشر الإسلام واللغة العربية في بلاد المغرب الكبير، ومن ثم دور علماء المشرق العربي في ازدهار الحياة العلمية في جبل نفوسة. والتفسير الشمولي العام للنهضة العلمية بالجبل ودورها في نقل المؤثرات الثقافية إلى منطقة السودان الغربي. والوقوف على دور المؤسسات التعليمية (المساجد — المدارس — المكتبات) في توفير مناخ علمي ساعد على النهوض بالحركة العلمية والثقافية في المنطقة.

والتركيز على علاقات منطقة جبل نفوسة بالمشرق العربي الإسلامي ودور الأخير في النهوض بالحياة العلمية في الجبل من خلال التبادل الفكري والثقافي، وكون المشرق العربي مهبط الديانات السماوية، ومنشأ الحضارات البشرية. ومعرفة وتحديد الزمن التاريخي لبعض الأحداث التاريخية، وكذلك لظهور

الأشخاص والأعلام. وتحديد موقع القرى والمدن (ذات العلاقة بالبحث) جغرافياً، ووصفها من خلال زيارتها والوقوف عليها وتوثيقها بالصور، وإبراز مكانتها العلمية. وفهم العلاقات بين الأحداث التاريخية، ومعرفة وجوه ارتباطها بعضها ببعض من حيث التابع والإتفاق الزمني، وذلك سواء ما يتعلق بالحركة العلمية بالجليل، أو من ناحية تأثيرها العلمي والثقافي في بلاد السودان الغربي. وملاحظة التطورات في الحركة العلمية عبر التغير في الزمن والإنسان.

منهج الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج التحليلي النقدي الاستنباطي إذا لزم الأمر تحليل النصوص التاريخية، بالإضافة إلى المنهج الوصفي عند وصف القرى والمدن.

أهم مصادر الدراسة :

إعتمدت في هذه الدراسة على العديد من المصادر المخطوطة والمطبوعة، فمن المصادر المخطوطة: (مخطوطة السيرة وأخبار الأئمة) لأبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني ق (5 هـ / 11 م) وهي من أقدم المخطوطات التي تناولت الأحداث التاريخية للجليل، ومخطوطة: (سير أبي الربيع) لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني، ق (6 هـ / 12 م) ويعد كتابه من الكتب السيرية التي تهم بتراجم الرجال، فتناول آثار علماء الجبل وأشاد بأهميتها.

ومخطوطة: (سيرة أهل نفوسة) لمؤلفه مقر بن محمد البغطوري (أنهى تأليف كتابه سنة 599 هـ / 1202 م) وهو من علماء القرن السادس ،

واهتمت هذه المخطوطة بالأحداث التاريخية للجبل والمناطق المجاورة مثل: طرابلس وجربة والقيروان وغدامس وغيرها، كما أهتم مؤلفها بسيرة علماء الجبل، ويؤخذ عليها أن صاحبها لم يهتم بذكر التواريخ للأحداث، ولم يحافظ على التسلسل الزمني للأحداث، وهذا مما يزيد مهمة الباحث صعوبة بالإضافة إلى اختصاره الشديد في سرد المعلومات، غير أنه يذكر معلومات جد مهمة ونادرة مثل تطرقه إلى نشاط تجار وعلماء الجبل في نشر الإسلام في بلاد السودان، كما أنه يعرض الكثير من الآراء في بعض المسائل ثم يقوم بترجيح أقواها حجة على الأخرى.

ومخطوطة: (الألواح) لمؤلفها أحمد بن محمد بن بكر الفرستائي (ت 504هـ / 1111 م)، وهي تتناول مواضيع في الفقه، كما تتم بالترجمة لعدد من العلماء وسيرهم العلمية والثقافية، ومخطوطة: (أصول الدينونة الصافية) لمؤلفها عمرو بن فتح المساكني عاش خلال ق (3 هـ / 9 م)، وهي في علم الكلام وتبين المستوى الذي وصل إليه علماء الجبل في علم الكلام في ذلك الوقت المبكر. وكتاب: (الجواهر المنتقاة) لأبي القاسم بن إبراهيم البرادي (ت 810هـ / 1407 م)، وهو مطبوع طبعة حجرية، ويهتم بتاريخ الجبل وخاصة بالمؤلفات التي صنفها علماء الجبل. وكتاب: (السير) لأحمد الشماخي (ت 928هـ / 1521 م)، وهو مطبوع طبعة حجرية، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب والمصادر ألفه أحد علماء ومؤرخي الجبل، وأهتم بسرد العديد من الأحداث التاريخية في مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية، وأهتم بتتبع علماء الجبل ودراساتهم ومؤلفاتهم، وأهم أعمالهم، ولا غنى لدارس تاريخ المغرب الإسلامي عن دراسة كتابه والاعتماد عليه، ويؤخذ عليه عدم اهتمامه بتحديد الفترة الزمنية للأحداث التاريخية، وهذه المسألة لوحظت في أغلب المصادر الإباضية.

ومخطوطة: (قصور وطرق جبل نفوسة) لإبراهيم سليمان الشماخي (1310هـ / 1892 م) وهو مطبوع طبعة حجرية وهذا المصدر يهتم بجغرافية الجبل وكذلك يعتني بالدروب ومسالك جبل نفوسة، كما يسرد العديد من المعلومات الاجتماعية، ويشير للكثير من المواضع والأماكن التي لها إسهام علمي وحضاري في الجبل.

ومن المصادر المطبوعة، كتاب: (بدء الإسلام وشرائع الدين) لمؤلفه ابن سلام الإباضي، (ت 273هـ / 887 م) ترجمة وتحقيق: شفارتز وسالم بن يعقوب، ويعد هذا المصدر من أقدم المؤلفات التاريخية في المغرب، أهتم فيه بذكر بعض علماء الجبل وهو الذي اعتمد عليه أغلب مؤرخي الجبل فيما بعد كالوارجلاني والوسياتي، والبغطوري، والدرجيني، والشماخي وغيرهم .

وكتاب: (طبقات المشائخ بالمغرب) لأحمد بن العباس الدرجيني (ت 750هـ / 1349 م)، ويعد هذا المصدر من المصادر الهامة والجيدة من حيث الأسلوب واللغة وكذلك لغزارة المعلومات، فاهتم الدرجيني بالحياة العلمية في جبل نفوسة، فيذكر أبرز العلماء والفقهاء الذين أسهموا في نشر العلم وتدريسه.

وكذلك استفدت من المؤلفات الجغرافية وكتب الرحالة مثل كتاب: (البلدان)، لأحمد اليعقوبي (ت بعد سنة 292هـ) وكتاب: (المسالك والممالك) لأبي عبيد البكري (ت 487هـ / 1094 م) الذي تناول منطقة جبل نفوسة وتحدث عن المسافات وأبعادها الخاصة بالجبل مع المناطق الرئيسة الأخرى، كما تناول أهم مدن الجبل وبيّن أهميتها السياسية والاقتصادية. وكتاب: (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) لأبي عبد الله محمد الإدريسي الذي فرغ من كتابه عام

(548هـ / 1154م)، كتبه لملك صقلية النورماني روجار الثاني، اهتم فيه بالمسالك الإستراتيجية، وأنواع النشاط الاقتصادي (تجارة — زراعة — صناعة). كما عُنِيَ في كتابه بالتضاريس والأبعاد والموانئ البحرية، ويعد من المصادر الهامة لمن يتعرض لجغرافيا العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى. وكتاب: (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، لابن فضل الله العمري، ألفه في (738هـ / 1337م)، وفيه معلومات وفيرة عن مناطق الدراسة. وكتاب: (وصف أفريقيا) لمؤلفه الحسن بن محمد الوزان، من مواليد مدينة غرناطة قام بعدة رحلات في البلدان الإسلامية ومنها دول الغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي والأوسط، ووصفها في كتابه المذكور.

قسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، الفصل الأول وهو يمثل (المدخل التمهيدي) للفصول التي تلتها، وتناول جغرافية منطقة جبل نفوسة (التحديد الجغرافي للجبل)، كما عني بالتطور الحضاري للمنطقة قبل الإسلام وتطرق إلى موضوع الفتح الإسلامي لمنطقة الدراسة، بالإضافة إلى الاهتمام بالأحداث التاريخية في مختلف الجوانب: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية بصورة موجزة.

أما الفصل الثاني: فكان بعنوان (الحياة العلمية في جبل نفوسة) فتناول المؤسسات التعليمية بالدراسة، وإبراز دور أهم المساجد والمدارس والمكتبات في نشر العلوم والثقافة بين ربوع الجبل، بالإضافة إلى دراسة للمراحل التعليمية ومناهجها الدراسية، وطرق التدريس المتبعة في الجبل حينذاك وكيفية منح الإجازات العلمية.

أما الفصل الثالث : الموسوم بـ(جهود علماء جبل نفوسة ودورهم في إثراء الحياة العلمية)، فقد اهتم بدراسة أبرز العلوم والفنون التي كانت محل عناية العلماء وأغلبها في الدراسات الدينية الإسلامية، واللغوية والأدبية، وتطرت إلى العلماء والفقهاء الذين ظهوروا من ق (2 — 8هـ / 8 — 14م) متبعاً لسير حياتهم وأهم أعمالهم ورحلاتهم، وآثارهم العلمية في المنطقة، كما عني هذا الفصل أيضاً بدراسة لأهم المؤلفات والكتب التي ألفت في الجبل وقتذاك وإبراز أهميتها في الحياة العلمية.

أما الفصل الرابع المعنون بـ (التأثيرات العلمية والثقافية على بلاد السودان الغربي)، وتطرق إلى جغرافية بلاد السودان الغربي، ودراسة التطور السياسي للمنطقة عبر نشوء عدة ممالك وإمبراطوريات منها : (غانا — الصومال — مالي)، كما درس العلاقات والصلات بين جبل نفوسة وبلاد السودان الغربي، وطرق التوافل التجارية التي تربط بين المنطقتين، كما تطرق الفصل إلى قضية التأثير والتأثر في النواحي الثقافية والدينية).

وفي النهاية كانت خاتمة الدراسة وقد تضمنت أبرز النتائج التي تخص موضوع البحث (الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراته على بلاد السودان الغربي) في نقاط مختصرة.

ومع ما في هذه الدراسة من متعة البحث فقد واجهتها العديد من الصعاب والعقبات ، وسبب ذلك أنها ترجع إلى فترة تاريخية مبكرة من العصور الوسطى . وقد ضاع الكثير من المخطوطات والمصادر التي تناولت تلك الحقبة التاريخية لأسباب متعددة . بالإضافة إلى قلة المعلومات التاريخية المتعلقة بالجبل، بسبب كون أغلب المصادر التاريخية وخاصة المخطوطات (المحلية)، مازالت حبيسة

الحزائن الأهلية في الجبل ! بالإضافة إلى تشتت باقيها في أقطار مختلفة من بلاد المغرب الكبير. ولذلك قمت بعدة زيارات ورحلات متكررة إلى منطقة البحث لجمع المادة العلمية والتاريخية المشتتة بين بعض أهالي المنطقة، ولزيارة القرى والمدن التاريخية والوقوف على أماكنها جغرافياً، وتحديد أبعادها ومسافاتها عن بعضها البعض، ومعرفة أبرز معالمها الأثرية العديدة ذات الصلة المباشرة بموضوع الدراسة، وتوثيقها بالصور الضوئية، وأسفرت عن خمس رحلات ميدانية (علمية)، كانت على النحو الآتي:

1. الرحلة الأولى: وكانت خلال أيام: (10 – 16 / 2 / 2004م)، قصدت فيها (مدينة نالوت)، التي تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 300 كلم، وهي من المدن الكبيرة بالجبل وتقع في أقصى غربه. ومن أهم معالمها التاريخية: المدينة القديمة (الأثرية)، والقصر، ومصلي الشيخ محمد بن عبد الله بن جلداسن اللالوتي ق (4ـ/10م)، ومسجد الشيخ أبي زكريا يحيى بن سفيان اللالوتي ق (4ـ/10م)، ومسجد الشيخ أبي زكريا يحيى بن جرناز اللالوتي ق (4ـ/10م)، ومسجد تيندرار، الذي لم أعتز على تاريخ تأسيسه، ولا مؤسسه. كما زرت عين تغليست بوادي تالة الشهرير وما زالت مياهها جارية إلى اليوم. ثم توجهت في نفس الرحلة إلى: (قرية فرسطا)، القريبة من مدينة كباو، وتبعد عن طرابلس حوالي 270 كلم، ومن أبرز معالمها التاريخية: القرية الأثرية وهي على قمة جبل عالي، وفي أعلى القمة يوجد قصر فرسطا، وتحيط به مباني ومساكن الأهالي كإحاطة الإسورة بالمعصم متدرجة نزولاً من الأعلى إلى الأسفل، حيث مسجد العالم والداعية الشيخ أبي يحيى الفرسطائي، الذي ساهم في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي.

2. الرحلة الثانية: وكانت خلال أيام: (1 - 2004/4/7م)، توجهت فيها إلى (مدينة جادو وقراها القديمة)، التي تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 180 كلم، وتقع في وسط الجبل وهي من أهم مراكز الحضارية، ومن القرى التي زرتها بجادو: (إيجناون، وتموجط، ويوجلين، وتلات أنميران، وأوشباري، وطرميسة، ومزغورة، وجماري، وتندباس، وتمزدا، ومزو، وأرجان، وتوكيت)، وتحتوي هذه القرى على أروع الآثار من مباني ومساكن للأهالي، ومساجد أثرية ترجع إلى عصور مبكرة من التاريخ الإسلامي، منها على سبيل المثال: (مسجد عبد الحميد الجناوني) ق (3-9م)، بقرية إيجناون، وهو للأسف الشديد تم هدمه من قبل الأهالي عام 1972م وذلك لغرض بناء مسجد حديث، ولم يبق من المسجد الأثري سوى جدار مازال يزوره البعض من سكان الجبل بقصد التبرك. وفي مدخل قرية طرميسة يقابلك على اليمين مسجد أثري لشيخ وعالم جليل من علماء الجبل وهو: (مسجد الشيخ أبو موسى عيسى الطرميسي)، ق (7-13م)، وربما بجواره أو بهذا المسجد كانت مدرسة الشيخ المذكور الشهيرة بكثرة طلابها وتلاميذها، وفي أعلى قمم جبل جادو تقع قرية مزغورة المشهورة بشيخها صاحب المسجد الأثري فيها: (الشيخ أبو زيد المزغوري)، ق (7-13م).

3. الرحلة الثالثة: وكانت خلال أيام: (23 - 2004/4/27م) وفي هذه الرحلة رجعت مرة أخرى إلى الناحية الغربية، وتحديدًا (لمدينة الحراة وما حولها) ولإتساع هذه المنطقة زرت في هذه الرحلة بعض القرى والمدن على أمل أن أزور الأخرى في مناسبات لاحقة، وبالفعل زرت قريتي: (زعرارة ودجي)، في هاتين القريتين لاحظت عدم تواجد واستمرارية سكانها الأصليين ربما هاجروا في فترات قديمة

لظروف لم نعثر على معلومات تاريخية حولها⁽¹⁾. وما زالت آثار القريتين قائمة منها قصر زعرارة ومن حوله المباني في أعلى قمة جبل زعرارة، وكذلك قصر قرية دجي، ومن معالم الأخيرة أيضاً: (مسجد الشيخ شيبه الدجي، ومسجد الشيخ أبي عثمان المزائي)؛ وفي هذه الرحلة أيضاً قمت بزيارة (المدينة شروس)، التي تعد من أكبر مدن الجبل وكانت تمثل العاصمة وقتذاك، وهي تشغل مساحة جغرافية كبيرة ويتضح ذلك من خلال ترامي آثارها، وهي متحصنة بين ثلاثة جبال عالية، ومن معالمها التاريخية: (مسجد ومدرسة الشيخ ويدران بن جواد أبو معروف)، وهو المبنى الوحيد تقريباً الذي مازال قائماً في المدينة، و(خزانة نفوسة) بـ (قصر ولم)، وكانت من أكبر المكتبات العامة بالجبل وأشهرها، حيث ضمت جنباتها أعداداً هائلة من الكتب والمصنفات.

كما زرت (مدينة إيفاطمان)، وهي أيضاً يبدو أنها كانت تشغل مساحة كبيرة ومتسعة وهذا يتبين من كثرة الأثار المترامية والمتناثرة، إلا أن أغلب أثارها قد تراكت حجارته وتساقطت كما لوحظ في مدينة شروس، وعلى عكس قرى ومدن أخرى مازالت محافظة على أثارها⁽²⁾ وبمدينة إيفاطمان تأسست أول (مدرسة)، لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ القراءة والكتابة في جبل نفوسة، على يد (الشيخ المعلم عمرو بن يمكتن)، إلا أنني للأسف لم أعثر على مكان هذه المدرسة، لقلّة الدراسات والمعلومات الأثرية عن هذه المنطقة وغيرها من مناطق

(1) . أفادني صديقي الأستاذ المؤرخ علي حامد لطيف البدراني أن قبائل البدارنة الغربية والشرقية قد سكنوا في هاتين القريتين حتى أواخر السبعينات من القرن الماضي، حيث أقامت البدارنة الشرقية بقرية زعرارة، والبدارنة الغربية سكنوا بقرية دجي. ثم قاموا بتأسيس قراهم الجديدة فيما بعد أسفل الجبل.

(2) . ربما يرجع السبب في ذلك إلى هجرة سكان تلك المدن إلى أماكن أخرى، ولم تكن بما إستمرارية تاريخية فتهالك بفعل الزمن والطبيعة، بخلاف الأخرى التي تلاقي الاهتمام من قبل ساكنيها عبر الأجيال المتوالية.

الجليل. ومن القرى التي زرتمها في الرحلة قرية (ويغو)، وهي أيضاً قرية مهجورة السكان، وبقيت آثارهم شاهدة على تاريخهم.

4. الرحلة الرابعة: وكانت خلال أيام: (11/22 – 12/3 / 2004م) وشملت الزيارة في هذه الرحلة (مدينة كباو)، من المراكز الحضارية بالجليل والتي ساهمت بوضوح في الازدهار العلمي والثقافي بالمنطقة خلال فترة الدراسة، وتبعد كباو عن مدينة طرابلس حوالي 270 كلم، كما زرت بعض القرى — المتواجدة حول مدينة كباو — وهي كذلك لها دور تاريخي في ميدان العلم والمعرفة مثل: (وادي إكرين وعلى ضفافه بعض القرى كآت بارون، وتصرار، وإيمزبولن، وأبو راوي) بالإضافة إلى (قرية إبانين) التي تعلو قمة جبل إبانين، و (قرية جليمت) في أعلى قمة جبل عالي. ولكل من هذه القرى معالمها التاريخية والأثرية التي تشتهر بما منها على سبيل المثال: (قصر كباو) الأثري الذي نال نصيبه من الترميم والصيانة مؤخراً بمجهود الأهالي، و(مسجد أبو محمد الكباوي) أحد مشائخ وعلماء كباو المشهورين، و(مسجد أبوهارون التملوشايتي) في إبانين، ولم أعر في جليمت على مدرسة الشيخ أبو هارون الجلالمي. كما قمت بزيارة خلال هذه الرحلة (لمدينة طمزين) التي تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 250 كلم، ولاحظت أن المدينة قد مرت بعدة مراحل قبل أن تصل إلى مرحلة البناء على حافة الجبل، وهذه الملاحظة تكاد تبدو عامة على أغلب مدن وقرى الجبل، التي بدأت السكن في الغيران والكهوف، إلا أنهم على ما يبدو أنهم قد هذبوا تلك المغارات لتصبح صالحة للإقامة وهي فترة ترجع إلى التاريخ القديم، ثم تطورت الحياة بالمنطقة وبدأ السكان ينون المباني لغرض السكن فاستخدموا: (الطين والتراب والحجارة والجبس)، والملاحظ

أنهم اختاروا البناء على حافة الجبل، ويرجع السبب في ذلك لأسباب استراتيجية وأمنية ليكونوا متحصنين ضد غارات الأعداء. ومن المعالم التاريخية بمدينة طمزين (مسجد الشيخ أبي عثمان سعد بن يونس)، كما زرت (قرية تمصص)، الواقعة على بعد كيلو متر جنوب شرق مدينة طمزين، ويبدو أنها أقدم زمنياً من الأولى، كما أفادني بذلك بعض أهالي طمزين قائلين: " أن سكان تمصص هجروا قريتهم في فترة تاريخية غير معروفة بالدقة، وقاموا بتأسيس مدينة طمزين التي كانت في منطقة بو خروبة أولاً، ثم أسسوا مدينتهم على الحافة حوالي عام 775هـ⁽¹⁾ ". ومن أبرز معالم تمصص الأثرية: قصر تمصص، الذي لم يتبقي من رسمه سوى حجارة متراكمة على بعضها البعض، و(مسجد ومدرسة الشيخ أبي محمد خصيب التمصصي)، التي مازالت قائمة وبجالة جيدة، وفي هذه المدرسة درست أول فتاة من الجبل إلى جانب الفتيان وهي أم ماطوس من قرية جارإصرا، كما شدت الرحال نحو (مدينة تملوشايت) الممتدة الأطراف بقراها السبع: (ماجر، والقصر، وأميتار، وإميجل، وتوزنرت، وتلات خرب، وأبدليل)، وتبعد عن مدينة طرابلس حوالي 240 كلم، ومن معالم هذه المدينة: مسجد ومدرسة الشيخ والشاعر أبي نصر بن نوح التملوشايتي، ومسجد الشيخ عيسى بن زرعة بقرية ماجر، وقصر تملوشايت بقرية القصر، ثم توجهت ناحية قرية تندميرة التي انجبت علماء وأعلام عديدين من أبرزهم الشيخ إلياس أبو منصور، الذي لا يزال مسجده قائماً وبجالة جيدة. وفي هذه الرحلة أيضاً أكملت زيارة ما تبقي من قري مدينة الحرابة مثل: (تترغت، وجريجن، وبقالة، وتمنكرت (بقييلة حالياً)، ومرقس،

(1) . هذه الرواية سمعتها لأكثر من شخص منهم: د. مسعود الكوشلي: أ. محمد الهوفاري وغيرهم. ومنطقة بو خروبة زرتها وهي تحتوي على عدة معالم أثرية وأغلبها في شكل غيران، منها: مسجد أثري رائع تحت الأرض، معروف بمسجد تحارت، وغيرها من الأبنية الأثرية.

ودركل، والجزيرة)، وتزخر هذه القرى جميعها بالعديد من المشاهد، والمعالم التاريخية والأثرية التي تمثل قيمة بالغة وتراث حضاري عريق. كالأبنية التاريخية، من منازل وبيوت، ومعاصر وقصور، ومدارس، ومساجد، كمسجد دركل الذي ربما يكون للشيخ أبي خليل الدركلي الذي وجدت به تاريخ على أحد سقوفه يرجع إلى سنة (535هـ/1138م)، وهو أقدم تاريخ وجدت مدوناً في الأبنية الأثرية، ومسجد ومدرسة أبي المنيب محمد بن يانيس.

5. الرحلة الخامسة: كانت خلال أيام: (21 – 2005/1/23م)، وشملت هذه الرحلة القرى الواقعة في نطاق (مدينة الرحيبات)، التي تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 195 كلم، وهي: (ونزيرف، وإمساكن (قطرس حالياً)، وإبديلان، وإمرساون (الحرمان حالياً)، وتيميچار (أولاد بوجديد حالياً)، وميتيون، وجيطال)، وتشتهر هذه القرى بعدة معالم تاريخية وأثرية مازالت قائمة وبحالة جيدة منها على سبيل المثال: مسجد الشيخ أبي عبد الله محمد بن الخير الونزيرفي، ومسجد أبي يحيى السدراتي، ومسجد أبي الحسن الإبديلاني، ومسجد أبي حازم المرساوني، ومسجد الشيخ أبو علي بن يخلف التيميحاري، ومسجد الشيخ إسماعيل الجيطالي، وغيرها من المعالم والمشاهد من المصليات والأبنية مثل القصور والمباني. كما زرت مدينة يفرن بقراها الآتية: (القلعة، وتاغمة، وتازمرايت، وأت غاسروا) (القصر حالياً)، والشقارنة، وقصبة مادي، والمعانيين، والبخابخة، والقرادين، والمشوشيين، وتاقربوست)، ونلاحظ الإتساع الجغرافي لهذه المدينة التي تحوي على العديد من المعالم الأثرية والأبنية التاريخية ومنها على سبيل المثال: قصر بقرية الشقارنة ويعد من أكبر قصور الجبل ولكن تم هدمه من قبل الأتراك أثناء ثورة غومة المحمودي، وكان يحوي على ألف وثمانمائة غرفة، ويتكون من ثمانية طوابق، ومسجد ومدرسة الشيخ العلامة أبي ساكن عامر الشماخي، بقرية المعانيين،

الذي للأسف الشديد قد هدم الأهالي بعض ملحقاته مثل: (خلاوي الطلبة)، وكذلك أزيلت (مقبرة الطلبة الغرباء)، وذلك في إطار بناء مسجد جديد سنة 1979م، ومسجد ومدرسة قديمة بقرية البخاخجة التي قام بتجديدها الشيخ عبد الله بن يحيى الباروني، ومسجد أمنا حواء بقصبة مادي، ومسجد تواتريوين بقرية أت غاسروا (القصير)، ومعبد لليهود في قصبة مادي، وأثار رومانية في منطقة صفيت بالقلعة.

وفي الحقيقة هناك بعض المواقع والأماكن الأثرية لم أتمكن من زيارتها والوقوف عليها، نظراً لضيق الحال والوقت، غير أنه لكل تلك المدن والقرى أهمية تاريخية، حيث برز فيها عددٌ كبير من العلماء والفقهاء والمفكرين الذين أسهموا بدور كبير في إثراء الحركة العلمية والثقافية في جبل نفوسة، وهي في حاجة ماسة إلى الرعاية والاهتمام من حيث أعمال الصيانة والترميم، وذلك فضلاً عن ضرورة إجراء الدراسات والبحوث الأثرية والتاريخية حولها من مختلف الجوانب، إسهاماً منا في الحفاظ على تاريخنا الحضاري العريق. وفي النهاية كانت خاتمة الدراسة وقد تضمنت أبرز النتائج التي تخص موضوع البحث (الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراته على بلاد السودان الغربي والأوسط) في نقاط مختصرة، وبهذا العمل تبدأ خطواتي الأولى في درب العلم الطويل، وصدري منشرح لكل نقد بناء ونصح أمين، والله المستعان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

محمود حسين كوردي

طرابلس — يفرن 2005 م

الفصل الأول

(التمهيدي)

1. التحديد الجغرافي لمنطقة جبل نفوسة.
2. التطور الحضاري في جبل نفوسة.
3. الفتح الإسلامي لمنطقة جبل نفوسة.
4. الدور السياسي والاقتصادي لجبل نفوسة

في بلاد الغرب الإسلامي:

- أ. الدولة الرستمية وجبل نفوسة.
- ب. الأهمية الاقتصادية لجبل نفوسة.

1. التحديد الجغرافي لمنطقة جبل نفوسة:

لا شك أن للبيئة دوراً مهماً ومؤثراً في فكر الإنسان وحضارته فهي تشكل أسلوب حياته وثقافته، وبما أن البيئة تخضع لعامل الجغرافيا والمناخ فإن دراسة تاريخ جبل نفوسة تتطلب دراسة لموقعه الجغرافي، وأثر ذلك العامل في فكر وحضارة السكان.

ويعد هذا الجبل ضمن سلسلة جبلية طويلة تمتد تضاريسها من المحيط الأطلسي غرباً إلى مدينة (الخميس)⁽¹⁾ على البحر المتوسط شرقاً، وهو بذلك يمتد من المغرب الأقصى، فيمر بالمغربين الأوسط والأدنى، وهذا ما أشار إليه البكري في حديثه عن جبال أطلس قائلاً: " أنه أكبر جبال الدنيا وهو يتصل بجبل أوراس وبجبل نفوسة المجاور لطرابلس"⁽²⁾. والملاحظ أن لهذه السلسلة الجبلية تسميات محلية، في كثير من أقسامها عبر البلدان التي تمر بها وفق اعتبارات ودلالات خاصة: اجتماعية أو قبلية، أو بيئية. ففي المغرب الأقصى يطلق عليها (جبال درن)، وفي المغرب الأوسط يطلق عليها (جبل الأوراس)، أما في تونس فهي تعرف (بجبل دهر) وعندما تصل إلى إقليم أطرابلس تطلق على مسافة منها (جبل نفوسة)⁽³⁾. ويحيط الجبل بمنطقة طرابلس الساحلية من جنوبها الغربي متخذاً شكل هلال ويفصلها عن فزان، ولذلك تسمى الأقاليم الساحلية من طرابلس بـ

(1) . الخمس: مدينة ليبية تقع على ساحل البحر المتوسط، وتبعد عن مدينة طرابلس حوالي 120 كم شرقاً، ينظر الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، طرابلس: دار مكتبة النور، 1968، ص 125.

(2) . أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج2، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس: الدار العربية للكتاب، 1992 م، ص 852؛ الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص 97؛ طه باقر، عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة، (ليبيا في التاريخ) المؤتمر التاريخي، الجامعة الليبية، 1968، ص 6.

(3) . محمد عبد الله التجاني، رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، تونس: المطبعة الرسمية، 1958.

(الجفارة)، والأقاليم الداخلية المرتفعة بـ (الجبيل) والمهضبة القاسية التي تنحدر بالتدرج نحو الصحراء بـ (الظهر)⁽¹⁾. والملاحظ أن الجبل يرتفع من الشرق إلى الغرب فيبلغ ارتفاعه في يفرن 715 متر، وفي جادو 659 متر، وفي كباو 640 متر، ونالوت 650 متر، وتبلغ مساحته الكلية حوالي أربعة آلاف كلم ويبلغ عمقه حوالي عشرين كلم⁽²⁾.

وجبل نفوسة يقع في بلاد المغرب الأدنى (بليبيا حالياً) وهو ما يعرف حالياً بـ(الجبيل الغربي)، ولكن السؤال المطروح ما هو التحديد الجغرافي الدقيق للجبيل؟ وما أثر التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على هذا التحديد؟ وإلى أي مدى يمكن أن نطلق تسمية نفوسة على أجزاء الجبل في إقليم أطرابلس؟.

اختلفت الآراء وتباينت حول تحديد امتداد جبل نفوسة، فبينما يرى الرحالة ابن حوقل (4هـ/10م) والرحالة الإدريسي (6هـ/12م) والحميري (9هـ/15م) أن: طول الجبل يُقدَّر بمسيرة ثلاثة أيام⁽³⁾، نجد آراء أخرى تخالف ذلك مثل: شمس الدين الأنصاري (4هـ/10م)، والمؤرخ البكري

(1) سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج 1، الأسكندرية: منشأة المعارف، 1979، ص 66.

(2) عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي: دراسات اجتماعية واثربولوجية، صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1969، ص 21..

(3) أبو القاسم بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، ج 1، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1979، ص 92؛ أبو عبد الله الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج 1، بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، 1994، ص 279؛ محمد عبد المنعم الحميري، الروض العطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط 2، مؤسسة ناصر للثقافة، 1975، ص 578.

(5د/11م) وأبو الحسن المغربي (6د/12م)، والحموي (6د/12م) يرون: أن طول الجبل ستة أيام⁽¹⁾.

وبذلك يتبين أن هناك فرق شاسع بين الرأيين بمقدار مسيرة ثلاثة أيام وهي مسافة تؤثر في مسألة التحديد الجغرافي لموضوع البحث، وإذا ما تمت مقارنة المقاييس القديمة (المسير بالأيام) بالمقاييس الحديثة (بالكيلو مترات) على جغرافية الجبل، يمكن أن نستنتج طول الجبل بصورة تقريبية وفق الآراء السابقة، الرأي الأول: حدود الجبل من نالوت غرباً إلى تغرمين (الزنتان حالياً) شرقاً، وأن أصحاب الرأي الثاني يرون طول الجبل: من نالوت غرباً إلى يفرن شرقاً.

وتذهب بعض الدراسات المعاصرة إلى القول بأن جبل نفوسة يمتد من الحدود التونسية غرباً حتى مدينة الخمس شرقاً في هضاب النقازة حيث يلتقي مع البحر المتوسط⁽²⁾. وهذه المسافة تبلغ حوالي الخمسمائة كيلو متر والمعروفة بجبال طرابلس⁽³⁾. كما يلاحظ أن هناك آراء أخرى⁽⁴⁾ تُقصر المسافة بمائتي كيلو متر

(1) . أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 655 – 656؛ شهاب الدين الحموي، معجم البلدان، ج 5، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1979، ص 296 – 297؛ شمس الدين أبي عبد الله الأنصاري، نجمة الدهر في عجائب البر والبحر، ج 2، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، (د. د. ت)، ص 239؛ أبو الحسن علي بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، حققه: إسماعيل العربي، بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1970، ص 145 – 146.

(2) . الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط 2، ليبيا: دار التراث العربي، 1963، ص 55؛ عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، بيروت: دار صادر، 1971، ص 10.

(3) . عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، 1962، ص 107.

(4) . إبراهيم سليمان الشماخي، قصور وطرق جبل نفوسة، طبعة حجرية، 1892؛ C F. Despois. J.: Le

Djebel Nefousa. Larore. Editcurs. 1935

تقريباً أي من الحدود التونسية وتحديداً من مدينة وازن بالقرب من نالوت غرباً إلى مدينة يفرن⁽¹⁾ شرقاً.

كما ينبغي الإشارة إلى آراء تفيد أن حدود الجبل محصورة ما بين نالوت وتغرمين وهي (أرض الزنتان حالياً)⁽²⁾. وهي تعد أقصر مسافة للجبل بين جميع الآراء المطروحة سالفاً. أما من حيث العرض فإنه يقدر بحوالي (20 — 25 كم) ويندمج في جنوبه مع الهضبة الصحراوية التي تعرف بمنطقة الظاهر⁽³⁾.

وبذلك يمكن إستنتاج التحديد الجغرافي لجبل نفوسة في تلك العصور الوسيطة — ولا نعتبره تحديداً ثابتاً — وإنما هو تحديد جغرافي متحرك حسب الظروف السياسية والاجتماعية من نزاعات وهجرات وسنن بشرية، وهذا الأمر تكرر من قبل والدليل على ذلك أن لفظ ليبيا الذي أطلقه الجغرافيون والمؤرخون على أماكن جغرافية مختلفة فلو حظ إمتدادها حيناً وتقلصها حيناً فمثلاً كان يعني بما هيردوت: منطقة برقة، واستعملها مرة أخرى على الشمال الإفريقي، وقصد بما أيضاً إفريقيا بكاملها⁽⁴⁾، وهذا ما تكرر أيضاً مع المؤرخ إسترابون عندما رأى أن

(1) . يفرن: وهي إحدى مدن الجبل في الناحية الشرقية منه، وتبعد عن مدينة طرابلس حوالي 120 كلم ومن قراها القديمة: المعانين، والبخاجة، والقصر، والقرادين، والشقارنة، والقصبية، وتاقربوست، والمشوشين، وتاغمة وتازمرايت، والقلعة. وتشتهر بغراسة الزيتون والتين والكروم والحمضيات واللوز، بالإضافة إلى زراعة القمح والشعير، ويوجد بها العديد من الأبنية والمعالم الأثرية، التي تحتاج إلى ترميم وصيانة، ودراسات أثرية، منها: مدرسة ومسجد الشيخ عامر الشماخي توفي عام 792هـ / 1390 م، ومدرسة البخاجة قام بتجديدها الشيخ عبد الله الباروني والد المجاهد سليمان الباروني. زارها الباحث عام 2004 ف.

(2) . صالح معيوف مفتاح، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف ق 2 هـ / إلى أواخر ق 3هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرباط: جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية (2002—2003 ف).

(3) . عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، طرابلس: مركز الجهاد للدراسات التاريخية 2001، ص 26.

(4) . محمد مصطفي بازامة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، ط 2، بنغازي: مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، 1975، ص 88؛ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المصدر السابق، ص 22.

المعمورة مقسمة إلى ثلاث أقسام وهي: آسيا، وأوربا، وليبيا⁽¹⁾، وهنا يلاحظ أن تسمية ليبيا تطلق على كامل القارة. ولا يختلف الأمر كثيراً عن تسمية جبل نفوسة المنتسب لأشهر القبائل التي استمر تواجدها التاريخي في الجبل جيلاً بعد آخر⁽²⁾. وكان الجبل ينقسم إلى ثلاث مناطق: الناحية الغربية ويطلق عليها (إميناج)⁽³⁾ ومركزها مدينة لالوت، والمنطقة الوسطى مركزها جادو، والثالثة المنطقة الشرقية ومركزها يفرن. والمعروف أن الجبل تسكنه عدة قبائل منها: هوار، وزناتة، ولواتة، سدراتة، مغراوة ونفوسة. وكانت الأخيرة مستوطنة في الناحية الغربية إلى جانب قبائل أخرى من أصل هوارى أو زناتى، أو سدراقي، أما الأجزاء الشرقية من الجبل فكانت تسكنه عدة عشائر من زناتة وهوارة مثل: بني يفرن وبني زمور ومسكورة وماطوسة.

ومع بداية العصر الوسيط استطاعت قبيلة نفوسة أن تمد سيطرتها على القبائل والعشائر المجاورة لها في الجبل (هوار، ولواتة، وزناتة، سدراتة، مغراوة) وانصهرت داخلها تدريجياً حتى امتدت تسميتها في مرحلة أولى إلى مدينة جادو، ولم يبق خارج إطار سيطرة نفوسة إلا قبيلة بني يفرن الزناتية التي عرف وطن يفرن باسمها والذي خضع للنفوذ النفوسى في مراحل تالية بعد التغلب على حركة خلف ابن السمح⁽⁴⁾. وعلى ما يبدو فإن هذا الامتداد والتخلص لنفوذ نفوسة على أراضي

(1). إسترابون، الكتاب السابع عشر من جغرافية إسترابون، ترجمة: محمد المبروك الذويب، بنغازي: جامعة قاريونس، 2003، ص 92.

(2). Oric Bates. The Eastern Libyans: Frank Cass CO. P 71.

(3). كلمة أمازيغية وتعني: العلوي أو الأعلى، وسياقتها هنا الجبهة العليا.

(4). محمد حسن، حول إحدى القبائل البربرية: نفوسة (بجبالها الجغرافي وعلاقتها بالسلطة المركزية)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط: العدد 10، 1984، ص 151.

الجبل هو الذي أنتج اختلاف الآراء في تحديدات الجغرافيين العرب حول طول الجبل.

أن وهذه الجغرافية لجبل نفوسة من نالوت (وازن = بالقرب من نالوت) غرباً إلى يفرن شرقاً هي المنطقة التي أرجحها في تحديد موضوع البحث جغرافياً، فقد لاحظت من خلال بعض المصادر التاريخية أن هذه المنطقة كانت تشكل الإطار لحركة الطلاب والعلماء وتنقلاتهم العنمية .

ويتكون الجبل في أغلبه من صخور جيرية تعود إلى العصر الجوراسي وتتجه هذه السلسلة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وتتخللها مجموعة من الأودية بما مجموعة من الدروب والمسالك تربط مدن وقرى الجبل بعضها ببعض⁽¹⁾ وتتساقط الأمطار بكميات تتراوح ما بين (300 – 400 مم) سنوياً على منطقة الجبل، وهي تقل للمتجه من الشرق إلى الغرب وبالنسبة لمناخ الجبل فهو شبيه بمناخ البحر المتوسط معتدل في فصل الشتاء وحار جاف في فصل الصيف⁽²⁾ وهذا ما يهيئ ظروفاً طبيعية مناسبة تسمح بتجمعات سكانية، وخلق حضارة بشرية وفق البيئة الجغرافية.

(1) . للمزيد انظر: القصور والطرق لمن يريد جبل نفوسة من طرابلس، إبراهيم سليمان الشماخي، ترجمة: أحمد

القساطوي، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، 2005.

(2) . محمد المبروك المهدوي، جغرافية ليبيا البشرية، بنغازي: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، (د . ت)؛ ص 75.

2. التطور الحضاري في جبل نفوسة:

(أ). التوزيع الجغرافي لقري ومدن الجبل:

كان جبل نفوسة مستوطناً ومأهولاً بالسكان منذ القدم، فهو يمثل حضارة مستقرة⁽¹⁾، وتأسيساً على ذلك قامت فيه عدة مدن وقري، منها ما اندثر وعفا عليها الزمن، واستمر بعضها الآخر خلال العصور الوسطى، وما تزال بقية منها حتى يومنا هذا في آثارها وأطلالها، وأسهمت أغلبها في التطور الحضاري والثقافي والبشري للمنطقة حسب موقعها وطبيعتها. وهي موزعة على طول جغرافية الجبل من الغرب إلى الشرق⁽²⁾ على النحو الآتي:

بداية من ناحية الغرب مدينة لالوت (نالوت حالياً)، الواقعة في أقصى الغرب⁽³⁾، وهي مركز الجهة الغربية، تقع على جبل عال، وتطل على وادي لالوت الفسيح، وغابة تالة المشهورة بعين تغليست⁽⁴⁾، وإلى الجنوب الغربي من لالوت توجد قرية تيغيت (أولاد محمود حالياً)، وإلى الشرق توجد مدينة كباو وتطل على وادي إكرين، وشاهدت بوسط ذلك الوادي الكبير آثار لأبنية مطمورة تحت الأرض تدل على وجود قرية قديمة، ومن قرى الوادي العديدة: قرية إيبانين

(1) . عبد الجليل الطاهر، المرجع السابق، ص 11 .

(2) . انظر الخريطة رقم: (1)، تبين توزيع القري والمدن على طول الجبل من الغرب إلى الشرق.

(3) . تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 300 كلم، وزرت هذه المنطقة خلال أيام: (10 — 15/2/2004م) وأخذت معلومات شفوية من الأخوة: الأستاذ سليمان عمرو يحمّد، والشيخ الاستاذ يحيى المقدمي. وذلك بخصوص معلومات عن المدينة وسكانها، وموقعها، وأهم معالمها التاريخية والأثرية.

(4) . زرتهما عام 2004م، ومازالت مياهها جارية .

التي تقع فوق قمة جبل إيبانين، وتقابلها إلى الجنوب منها قرية جليمت وإلى الغرب منها قرية آت بارون في وسط الوادي وفي وسط الوادي في ناحية الشمال تقع بلدة تصرار، وتجاورها إيمزبولن وقرية أبوراوي شمالاً. وفي غرب الأخيرة قرية عبد الغني وتعلو قمة جبل عال وإلى الغرب الجنوبي وادي الشيخ وتقع فيه مجموعة قرى منها: كمزين، و وريوري⁽¹⁾.

وفي الشمال الشرقي لمدينة كباو توجد قرية فرسطا⁽²⁾ وتقع على قمة جبل وتطل على وادي فرسطا الذي يفصلها عن مدينة طمزين⁽³⁾، المقابلة لها من الشرق وإلى الجنوب من طمزين تقع قرية تمصمص القديمة والتي يعتقد الأهالي أن أهلها هجروها وكونوا طمزين على حافة الجبل، وتطل طمزين على وادي طمزين من الناحية الشرقية وهو يفصلها عن مدينتي: تملوشايت وتندميرة، و تملوشايت يبدو من خلال آثارها أنها كانت مدينة متسعة الأرجاء، وتنقسم إلى عدة قرى منها: ماجر، وقرية أبل ليل، وقرية أميتار، وقرية إحميجل، وقرية توزنرت، وتلات خرب، وقرية القصر عرفت بهذا الاسم لوجود قصر تملوشايت بما⁽⁴⁾. وتطل على وادي يعد أضيقي من الوديان السابق ذكرها. كما أن مدينة تندميرة تقع على حافة الجبل

-
- (1) . تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 270 كلم، زرت هذه القرى والمدن خلال أيام: (22 - 11 / 3 - 2004/12م)، وأخذت عنها معلومات شفوية من الأخوة: الأستاذ إبراهيم صكوح، الحاج سعيد طرف.
 - (2) . تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 270 كلم، زرت هذه المنطقة في: (16 / 2 / 2004م)، وأخذت عنها معلومات شفوية من الأخوة: الأستاذ علي منصور، الأستاذ عبد الله أبو رقية، والأستاذ خليفة العزابي
 - (3) . تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 250 كلم، زرت هذه المنطقة خلال أيام: (24 - 25 / 11 / 2004م)، وأخذت عنها معلومات شفوية من الأخ: الأستاذ محمد الحوفاري.
 - (4) . تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 240 كلم، زرت هذه القرى خلال (25 - 26 / 11 / 2004م)، وأخذت عنها معلومات من الأخوة: الأستاذ محمد الحوفاري، والأستاذ عمر المرعوش.

وتطل على وادي تدميرة الذي يتجه جنوباً ويلتقي مع وادي شروس الكبير⁽¹⁾. وإلى الشرق منها وادي شروس الكبير، حيث تقع إلى شرقه مدينة شروس⁽²⁾، عاصمة الجبل في العصور الوسطى، وحول شروس تتناثر مجموعة قرى ومدن أخرى مثل: ويغو، ومرقس وترغت، وجريجن، وتمكوت، وبغطورة، وبقالة، ودركل، والجزيرة⁽³⁾، وإلى شمال تلك القرى والمدن توجد قربتان: الأولى زعرارة وهي تتخذ من كهوف الجبال بيوتاً وتقع في أعلى قمة جبل وفي طرفها الشمال الغربي القرية الثانية وهي دجي وبيوتها منحوتة بشكل غريب في الجبال⁽⁴⁾.

وإلى الشرق منها يفصلها واد عميق عن منطقة الرحيبات وهي تشمل عدة قرى ومدن قديمة منها: إفاطمان الواقعة على جانبي روافد وادي تالة ويقابلها على الجانب الآخر من نفس الوادي ثلاث قرى: الشياب وأبديلان، وإمساكن وفي اتجاه الشرق والشمال الشرقي بعد اجتياز وادي أبو غنداس تكون قرية ونزيرف المطلّة على وادي أوجنت، ويفصلها وادي أمسين عن القرى: إدوناط، وتيميجار وميتيون، وكذلك من المدن والقرى القديمة ضمن هذه المنطقة: إينر وجيطال وإمرساون⁽⁵⁾. وإلى الشرق من هذه المجموعة تأتي قرية مدينة جادو،

(1) تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 240 كلم، زرت هذه المدينة بتاريخ (27 - 11 - 2004م)، وأخذت عنها معلومات شفوية من الأستاذ: محمد صالح التدميري.

(2) تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 240 كلم، زرت هذه المدينة يوم الجمعة بتاريخ (23 / 4 / 2004م).

(3) تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 240 كلم، زرت هذه المدن والقرى خلال أيام: (28 - 11 - 2 / 12 / 2004م). وأخذت عنها معلومات شفوية من الأخوة: الأستاذ موسى شاكر، والأستاذ عمر أيوب، والأستاذ أحمد الساق، والأستاذ عمر عبازة.

(4) تبعدان عن مدينة طرابلس حوالي 200 كلم، زرت هاتين القريتين خلال أيام: (22 - 24 / 4 / 2004م)، وأخذت عنهما معلومات شفوية من الأخوة: الأستاذ علي حامد إلفيف البدراني، واحتشوش.

(5) تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 187 كلم، زرت هذه المدن والقرى خلال أيام: (21 - 23 / 1 / 2005م)، وأخذت عنها معلومات شفوية من الأخ: الأستاذ صلاح مسعود الدبلي.

وهذه المدينة أيضاً كانت من المدن الكبيرة في الجبل بل كانت تمثل أحياناً العاصمة في العصور الوسطى، وتعد هذه المنطقة الوسطى من الجبل ومن قرى جادو: ثلاث قرى تعلو قمة جبل وهي: يوجلين، وتلات أونميران، وأوشباري وتطل هذه القرى على وادي وعين تموجط وقرية تموجط التي تجاورها عند سفح الجبل قرية أيجناون التي يحدها جبل من الناحية الشمالية تعلوه ثلاث قرى أخرى وهي: مزغورة، وتندباس وجماري⁽¹⁾، المجاورات لقريتا: ويفات، ورقرق. وإلى الشرق من مدينة جادو تتناثر مجموعة قرى هي اليوم ضمن منطقة الرجبان ومنها: تيركت (أولاد عطية)، والغلت (أولاد عنان)، وتاردية (أولاد عبيد)، وإشارن (أولاد جابر) وسنتوت، وأشفي، وميري وهي القرية التي أقام بها الإمام الرستمي عبد الوهاب بن عبد الرحمن سبع سنوات خلال زيارته للجبل، وفي الاتجاه الشرقي من هذه المجموعة تقع بلدة تاغرمين وهي حالياً ضمن مدينة الزنتان.

وفي أقصى شرق جبل نفوسة تقع مدينة يفرن⁽²⁾، وهي تأتي في القسم الثالث والأخير من جغرافية الجبل (موضوع الدراسة)، واكتسبت اسمها من بني يفرن فرع من قبيلة زناتة البترية كانوا قد استوطنوا المنطقة، قبل الإمتداد النفوسي عليها. وحاولت هذه المنطقة أن تستقل في فترة من فترات تاريخها عن الدولة الرستمية في ثورة خلف بن السمح⁽³⁾. وتتكون مدينة يفرن من عدة قرى

(1). تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 180 كلم، زرت هذه المدن والقرى خلال أيام: (1 – 2004/4/7م)، وأخذت عنها معلومات شفهية من الأخوة: الأستاذ داود القلال، والأستاذ يحيى القلال، والأستاذ علي قليزة، والأستاذ عادل بخلف الطرميسي.

(2) . تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 120 كلم ، زرت هذه المدينة وقراها خلال أيام: (15 – 2004/6/20م).

(3) . ثورة خلف بن السمح: قامت في الجهة الشرقية من الجبل وسأيت الكلام عليها في صفحة: (51) .

وهي: المعانين، والبخاينة، والمشوشين، والقرادين، وقصبة مادي، وآت غاسروا (القصير حالياً)، وديسير (الشقارنة حالياً)، وتاقربوست، وتازمرايت، وتاغمة، والتلعة⁽¹⁾.

(ب) بداية الإستقرار وأنواع السكن في جبل نفوسة:

تعد المنطقة ما بين ساحل البحر والواحات الصحراوية هي المنطقة التي يمكن للإنسان أن يعثر فيها على المياه خلال العصور القديمة⁽²⁾ وبالتالي يمكن لإنسان تلك المناطق أن يفكر في الإستقرار، والاشتغال بالزراعة. وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن الليبيين القدماء كانوا يعيشون في شكل قبلي يسوده الاستقرار، وقد عرفوا حياة الرعي والزراعة قبل مجيء الفينيقيين إلى هذه المنطقة كما زاولوا النشاط التجاري⁽³⁾. ويرى هيرودوت ق: (5 ق . م) أن الليبيين أسبق في هذه المنطقة من الفينيقيين ويتحدث عن اللوتوفاجيين، والجنديانيين، والجارامنت في فزان، ويشير إلى اجيتول سكان الجبل متحدثاً عن أرضهم وما تحويه من سهول وجبال وبحيرات، وأن السكان حياتهم بسيطة، ولهم زوجات متعددة وأطفال كثيرون، ويهتمون بتربية الخيول والثيران والخراف. والسياق يطرح السؤال التالي:

(1) . في الحقيقة هناك بعض القرى والمدن التاريخية والتي للأسف الشديد لم يسعني الوقت من زيارتها والوقوف على معالمها، ومشاهدة أطلالها، ورأيت من الأنسب أن أذكرها هنا، وذلك لأهميتها التاريخية والأثرية، وأرجو من الله العليّ القدير أن يوفقي بزيارتها في وقت لاحق، ومنها: قرية وازن في أقصى الغرب على الحدود الليبية التونسية، وإلى الشرق منها قرية تيغت (أولاد محمود حالياً)، وإلى الشرق مجموعة قري تقع حالياً في نطاق مدينة الرجبان وهي: تاردية، وأصفو، وأشفي، وسنتوت، وتيميقي، وتيركت، وميري، وهي القرية التي أقام بها الإمام الرستمي عبد الوهاب سبع سنوات عند إقامته بالجبل، وقرية تيغرين وهي حالياً مكان إستقرار قبائل الزننان. والقرية القديمة الواقعة اليوم في نطاق مدينة الريانة، وكذلك القرى الواقعة إلى الشرق من مدينة يفرن وهي: ككلة وبابل وتاكبال.

(2) . خلال العصرين الحجريين القديم والحديث .

(3) . رشيد الناضوري، المغرب الكبير، بيروت: دار النهضة العربية، 1981، ص 154.

هل بقي الجيتول في الجبل واستمرت سلالتهم في نفس المكان، أم هاجروا إلى منطقة أخرى، أو أنهم اختلطوا بأقوام أخرى؟. ومن المحتمل أن تسميتهم قد تحورت إلى مسمى آخر. كما أشار إسترابون (عاش ما بين 66 ق.م — 24 م) إلى أن سكان سهل الجفارة في القرن الميلادي الأول هم الليبيون والفينيقيون⁽¹⁾.

ومن المتفق عليه بين أغلب المصادر التاريخية القديمة أن منطقة جبل نفوسة كانت مأهولة بالسكان منذ القدم، وكانوا معرضين لغارات وغزوات قادمة من البحر⁽²⁾. كما تؤكد مصادر أخرى على وجود آثار قديمة بمدينة شروس⁽³⁾. وهذا ما يفيد أن منطقة الجبل مستبحرة في العمران منذ القدم.

ومن الملاحظ أن تلك المدن والقرى مرت بعدة مراحل في نوعية السكن واختيار المكان للبناء⁽⁴⁾، ففي المراحل الأولى على ما يبدو أن سكان الجبل اتخذوا من الكهوف والمغارات الطبيعية مساكن لهم بعد أن قاموا بتهذيبها وتسويتها وفق تقنيات تتماشى وتلك العصور، كما ينبغي الإشارة إلى أن الكهف أو الغار كان يوفر الأمان، بالإضافة إلى ميزاته وخصائصه فهو بارد صيفاً ، دافئ شتاءً. وبفعل التطور الحضاري عبر الزمن للمنطقة، ولأسباب أخرى توصل السكان إلى معرفة

(1) . استرابون ، المصدر السابق، ص 113 .

(2) . عبد الجليل الطاهر ، المرجع السابق، ص 15؛ تاديوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم (دراسة لسنية في الأنوميا والطوبونوميا الإ"مازيغية)، ترجمة: عبد الله رارو، الولايات المتحدة الأمريكية: مؤسسة توالست الثقافية، ص58.

(3) . الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 144 .

(4) . من خلال زيارتي المتكررة للجبل لاحظت: أن أغلب مدن وقرى الجبل المبنية على حافة الجبل تجاورها قرية أو مدينة أخرى مساكنها وبيوتها ومساجدها عبارة عن غيران تحت الأرض كما لوحظ أن أغلبها قد مر بثلاث مراحل سابقة من البناء، والمرحلة الرابعة هي المساكن الحديثة والمعاصرة لنا، وأن منطقة الجبل تحتاج إلى دراسات أثرية مكثفة ومنظمة ليتمكن الباحث في التاريخ الاستفادة من المادة الأثرية. .

بناء البيوت بالحجارة والصين والجبس، وهي مواد طبيعية ومحلية متوفرة في ذات المكان، وبذلك انتقلت أغلب مدن وقرى الجبل إلى حواف الجبال متخذة منها تحصينات طبيعية تمكنها من الحماية وسهولة الدفاع، وهذا ما يعوضها عن بناء الأسوار كما هو معروف في المدن الساحلية، وهنا يتضح العامل البيئي والجغرافي في فكر سكان الجبل، وتطور حياتهم السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية التي مرت بما عبر العصور التاريخية.

(ج) أساليب وأنماط الحياة في جبل نفوسة:

بعدما أستقر أهالي الجبل بتلك المدن والقرى والأدشار بدأ تفاعلهم مع البيئة الطبيعية والجغرافية، التي تجمع ما بين ثلاثة أشكال جغرافية وهي: (الجبل ، والجفارة ، والظاهر)، حيث منحتهم أنماطاً وأساليب للعيش تميزوا بها، فكانت حضارتهم تجمع بين الاستقرار في الجبل لمعرفة الغراسة مثل: أشجار الزيتون، والنخيل، والتين، والكروم، والحمضيات، واللوز، وزراعة الخضروات، والفواكه في (الجبل والظاهر)، والترحال المؤقت في مواسم معينة في منطقة (الجفارة)⁽¹⁾، التي تنبسط أمام انحدارات الجبل من الناحية الشمالية، وتشكل امتداداً طبيعياً وإقليمياً يعتمد عليه السكان في حياتهم الاقتصادية حيث يتخذونها في بعض فصول السنة مراعي لماشيتهم، وفي بعضها الآخر للزراعة مثل زراعة الحبوب أهمها (القمح والشعير). أما منطقة جنوب الجبل والمعروفة: (بالظاهر) وهي الأخرى تعد منطقة مهمة اقتصادياً في الرعي والزراعة وغيرها. ومن خلال الزيارات المتكررة للمنطقة كشفت عن وجود اختلافات بين المناطق الشرقية والغربية من جبل

(1) . عبد الجليل الطاهر. المرجع السابق، ص 13.

نفوسة، ففي الشرق تسقط الأمطار بكميات أكثر منها في الغرب، كما أن أراضي الأولى رسوبية حمراء صالحة للزراعة أكثر⁽¹⁾، ولهذا فإن التركيز السكاني في المنطقة الأولى أكثر منه في الأخيرة⁽²⁾.

ونتيجة لتساقط كميات الأمطار على الجزء الشرقي من الجبل بصورة أغزر منها في الجهة الغربية فقد أقيمت في المنطقة الأولى مزارع انتشرت فيها أشجار الزيتون والتين والكروم واللوز والحمضيات، في حين بقيت منطقة الظاهر في غرب الجبل منطقة رعوية بسبب قلة أمطارها. كما توجد منطقة بالجبل داخلية تعرف (بالزملة)⁽³⁾ وهي الواقعة على رؤوس الجبال ويمجدها من جانبيها الوديان، وعادة ما تشتهر بغراسة الزيتون لتضاريسها المناسب لجريان مياه الأمطار. وهذه الموارد الاقتصادية هي التي ستقوم عليها تجارة الجبل سواء مع المناطق المحلية والقريبة كمدينة طرابلس أو التجارة الخارجية والبعيدة مثل المشرق الإسلامي أو بلاد السودان الغربي والأوسط — وهذا ما سنبتناوله الفصل الرابع من هذه الدراسة — . كما تتخلل الجبال عدة وديان وشعاب وتمر بسهل الجفارة متجهة ناحية البحر الأبيض المتوسط⁽⁴⁾، وتنتشر في أغلب الوديان عيون المياه الطبيعية التي يعتمد

(1) . وهذه الملاحظة مازالت واضحة إلى اليوم حيث أن معدل سقوط الأمطار في المنطقة الشرقية يقدر ب100مل بينما يقدر في المنطقة الغربية ب50 مل، كما نلاحظ أن منطقة الظاهر في الشرق حالياً أغلبها مزارع وبساتين مشجرة بمختلف أنواع الأشجار من: زيتون وتين وكروم ولوز وحمضيات وفواكه ونخيل وغيرها، وهذا غير موجود بمنطقة الظاهر في الغرب التي تكاد تنحصر في الرعي فقط.

(2) . وبالفعل فتباين عدد سكان المنطقة الشرقية عن المنطقة الغربية، تحدثت عنه المصادر التاريخية، مثل البغطوري، والشماخي، والوارجلاني، وخاصة في حديثهم عن ثورة خلف بن السمح التي قامت في المنطقة الشرقية وتحديداً بمدينة يفرن وكان أتباعه يفوق أتباع خصومه الغربيين.

(3) . كما يطلق عليها الأهالي في الجبل تسمية أخرى وهي: الذراع .

(4) . باربرا باريش، الجيولوجيا الأثرية للجبل الغربي، ترجمة: مصطفى الترجمان، مجلة عربيا القديمة، العدد الأول، مصلحة الآثار، روما: مطابع " ليرما " دي بريثنايدر، 1995، ص 10.

عليها الأهالي في الشرب والزراعة ومن أشهرها: عين تغليست بنالوت، وعين إيندل بشروس، وعين إينظر بطمزين، وعين أمسين، وعين نانا تالة (أم القرب)، وعين إجلازن بالرحيات، وعين وليوجمي بالقرب من قرية أموساكن، (قطرس حالياً) والعين الزرقاء و عين تموجط بجادو، وعين الرومية، وعين تامديت بيفرن، وكانت هذه العيون عاملاً أساسياً في استقرار الناس حولها فأسسوا القري والمدن عليها، واشتغلوا بالزراعة على مجاري مياها، كما قاموا بحفر الصهاريج لتخزين مياه الأمطار، والاستفادة منها في الشرب ولسقي مواشيهم وحيواناتهم، كما اشتهرت وديان جبال نفوسة بغراسة النخيل وغيرها من الأشجار سوف نتطرق إليها عند الحديث عن الأهمية الاقتصادية للجبل. ونفهم من خلال ذلك الإستقرار لسكان الجبل أنهم تركوا تاريخ وأثار تدل على عمق حضارتهم.

(د) أثار وتاريخ جبل نفوسة القديم.

والدارس لتاريخ جبل نفوسة في العصر الوسيط يلاحظ أنه لا غني له عن الرجوع إلى الفترة السابقة لمجيء الإسلام للمنطقة لمحاولة الإمام بطبيعة التطور الحضاري في جبل نفوسة، ومحاولتي هذه لا تتجاوز إبراز ملامح ذلك التطور نظراً لمحدودية المعلومات المضمنة في المصادر القديمة، ولهذا كله سيتم تركيزي بالأساس على أبرز ما توصلت إليه المكتشفات الأثرية في هذا المجال سيما تلك الأعمال التي قام بما عدد من الباحثين الغربيين بإجراء البحوث الأثرية التي أكدت وجود حضارة في منطقة الجبل بلغت درجة كبيرة من التقدم والازدهار ، فالرحالة الألماني بارث أول من عثر على النقوش الصخرية ثم توالى الاكتشافات من رسومات ونقوش،

وشملت منطقة واسعة من هضبة تاسيلي جنوباً حتى جبل نفوسة شمالاً⁽¹⁾، بعضها ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ وبعضها الآخر للعصر التاريخي⁽²⁾.

أما الرسوم والنقوش فهي عبارة عن حيوانات متوحشة وحيوانات برية كان الصيادون يقومون بصيدها، ورسوم لرعاة يقودون قطعان الأبقار، ونقوش تمثل عربات وجيادا، ورجالا يركبون الجمال⁽³⁾. وفسرت تلك الرسوم لأسباب وشعائر دينية وطقوس سحرية⁽⁴⁾.

ومن الآثار الدالة على ازدهار عمران جبل نفوسة وجود معاصر الزيتون المنتشرة في ربوع الجبل وهي تعود إلى فترات تاريخية قديمة، والملاحظ أن هذه المعاصر توجد داخل الكهوف وهذا النوع قدم جداً، وقد تبني الرومان تلك الطريقة المحلية في عصر الزيتون⁽⁵⁾، وكثرة المعاصر يفيد اهتمام الأهالي بغراسة أشجار الزيتون التي تتناسب ومناخ المنطقة ومن ثم اعتمدوا على زيتها بصفته غذاءً رئيسياً بالإضافة إلى اعتباره سلعة تجارية يمكن الاتجار بها مع المناطق الأخرى. ومما يؤكد أن المنطقة كانت غنية بزيت الزيتون ما تشير إليه النقوش الصخرية خلال

(1) . فابريتسيو موري، تادارات أكاكوس، ترجمة: عمر الباروني وفزاد الكعبازي، مراجعة: عبد الرحمن عجيلي، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988، ص 13.

(2). من خلال الزيارات المتكررة للجبل لاحظت وبشكل متكرر، وجود آثار لمباني مطمورة تحت الأرض وهي في حاجة ماسة ليد الأثري ليرفع عنها كاهل الزمن، وليظهرها مرة أخرى إلى النور، وتكون في متناول المؤرخ ليحاول إعادة حياة ماضٍ قد غبر.

(3) . محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، طرابلس: دار المصراي للطباعة والنشر، 1969، ص 67 – 68؛ جمعة العناق، "ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا"، مجلة آثار العرب، (طرابلس – مصلحة الآثار)، العدد الأول، (1990)، ص 44.

(4) . عياد موسى العوامي، "تأملات في فن الرسم على الصخور"، مجلة آثار العرب، (طرابلس – مصلحة الآثار)، العدد الثاني، (1991)، ص 13.

(5) . عبد الجليل الطاهر، المرجع السابق، ص 67.

القرن الرابع الميلادي من: "شكر الإله على النعم والخيرات لوفرة زيت الزيتون"⁽¹⁾،
كما اهتم أهل جبل نفوسة بتربية الإبل وتاجروا فيها هي الأخرى⁽²⁾.

أما فترة حكم الوندال الذين سيطروا على أجزاء من الشمال الأفريقي
فتندر المعلومات حول تواجدهم في الجبل، وإنما أغلب الروايات تتحدث عن
الثورات المحلية ضد الوندال الذين اتبعوا أساليب قاسية في نزع ثروة الأهالي،
فتزعمت طرابلس تلك الثورات، ولما كانت منطقة الجبل قريبة جغرافياً من طرابلس
فبني متأثر بما حتماً ولا شك أن سكانها شاركوا في هذه الثورات⁽³⁾. خاصة في
الثورة التي قام بها كباوون (Cabaon)، أحد الزعماء الليبيين المقيمين
بضواحي طرابلس، الذي جمع المحاربين حوله وتمكن من إلحاق الهزيمة بالوندال على
أحد سفوح الجبل⁽⁴⁾.

(1) ر . ج . جودتشايلد، دراسات ليبية، ترجمة: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، طرابلس: مركز جهاد الليبيين
للدراسات التاريخية، 1999، ص 33.

(2) محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 205.

(3) إتوري روسي، المرجع السابق، ص 42 .

(4) المرجع نفسه، ص 43.

(و) الديانات السابقة للإسلام في جبل نفوسة:

أما الديانة في جبل نفوسة قبل الإسلام فتشير بعض المصادر إلى أن الديانة الليبية عرفت تقديس مظاهر الطبيعة⁽¹⁾. وهذه المسألة اشتركت فيها أغلب الشعوب القديمة والمعروفة بعبادة الأوثان أي: الوثنية، حيث يشعر الإنسان القديم أن العالم ملئ بالقوي الروحانية، وأن الأشجار والعواصف والسحب تسكنها أرواح⁽²⁾. ومن هنا نجد تفسيراً لبعض الصخور التي كانت مقدسة في الجبل، التي يذكرها الشماخي منها على سبيل المثال: صخرة توكيت، وصخرة تينا ولوتين، وصخرة بقالة، وصخرة الوادي، وصخرة تسيلتين⁽³⁾. كما حاول الرومان إبان احتلالهم للمنطقة فرض ديانتهم على الليبيين بعبادة آلهتهم مثل: أوزير وإيزيس بالإضافة إلى عبادة الإمبراطور الروماني إلا أنهم رفضوا ذلك، وظلوا محتفظين بعبادة الآلهة المحلية (تانيت) والإله القرطاجي (بعل حمون)⁽⁴⁾.

وانتشرت الديانتان اليهودية والمسيحية في منطقة الشمال الإفريقي، ومنها بطبيعة الحال جبل نفوسة، فعندما فتح عمرو ابن العاص الجبل وجد سكانه على دين النصرانية⁽⁵⁾. كما تتحدث بعض المصادر عن وجود عدد من الكنائس وانتشارها بالجبل وقام الباحث بحصرها في تسمية مشاهد الجبل فوجد لها سبعة

(1) . البرغوثي، المرجع السابق، ص 203.

(2) . بازامة، المرجع السابق، ص 260.

(3) . أبو العباس أحمد الشماخي، السر، طبعة حجرية، ص 599 .

(4) . الناضوري، المرجع السابق، ص 342 – 343 .

(5) . ابن عذراي المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج . س . كولان و

برفيسال، ط 3، ليبيا – تونس: الدار العربية للكتاب، 1983، ج 1، ص 8.

كنائس نذكر بعضاً منها على سبيل المثال: كنيسة فرسطاً، وكنيسة الجزيرة، وكنيسة أغرمينان، وكنيسة تمزدا، وكنيسة توكيت، وكنيسة نسيم، وكنيسة أبديلان⁽¹⁾، وكنيسة البنية بونزيرف⁽²⁾. كما أن عدداً منهم اعتنق الديانة اليهودية، ويشير ابن خلدون إلى ذلك قائلاً: " وكان منهم من تمود ومن تنصر وآخرون مجوساً يعبدون الشمس والقمر والأصنام"⁽³⁾، ويتضح من ذلك وجود الديانات الوثنية في الجبل إلى جانب اليهودية والمسيحية. وبقي هكذا الحال إلى وصول الإسلام إلى جبل نفوسة. وفي الحقيقة تزامنت تلك الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية)، مع الدين الإسلامي بمنطقة الجبل حتى بدأت تزول وتختفي تدريجياً بمرور الزمن والتاريخ.

(1). زرت هذه الكنيسة في إحدى رحلاتي العلمية للجبل وصحبتني في تلك الرحلة الاستاذ الفاضل صلاح مسعود الدبلي عام 2005م، وكانت الكنيسة شبه منهاره تماماً سوى جدارين مازلا مقابلين بعضهما في إرتفاع حوالي 4 أمتار.

(2). الشماخي، المصدر السابق، 599 – 600.

(3). ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 110.

3. الفتح الإسلامي لجبل نفوسة :

تعد منطقة جبل نفوسة عند الجغرافيين ضمن بلاد المغرب الكبير⁽¹⁾، الذي يشمل رقعة جغرافية واسعة من برقة شرقاً إلى المحيط الأطلسي في الغرب⁽²⁾، وهي من المناطق التي تعرضت للفتح الإسلامي في فترة مبكرة خلال خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت 23 هـ / 643 م) على يد قائد جيوشه عمرو بن العاص عام (23 هـ / 643 م) .

اتجه المسلمون عقب فتح مصر إلى بلاد المغرب استكمالاً للفتح ونشر الإسلام، فيذكر البلاذري أن عمرو بن العاص بعد أن فرغ من فتح الإسكندرية: "سار في جنده يريد برقة وهي مدينة أنطابلس فصالح أهلها على الجزية وهي ثلاثة عشر ألف دينار"⁽³⁾. في أواخر عام (21 هـ / 641 م)، وفي الوقت الذي وجه فيه عمرو ابن العاص القائد عقبة بن نافع لفتح مناطق الداخل ، ففتح المناطق ما بين برقة وزويلة وصارت للمسلمين⁽⁴⁾، وسار هو بنفسه ناحية الغرب سالكا

(1) . أطلق الجغرافيون والمؤرخون العرب الذين كتبوا عن تاريخ المنطقة اسم (المغرب) أو (بلاد المغرب) أو (جزيرة المغرب)، ويقصدون بذلك المنطقة الممتدة من برقة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً حتى الصحراء الكبرى جنوباً، وقسم الجغرافيون العرب بلاد المغرب ثلاثة أقسام حسب قربها وبعدها من عواصم المشرق وهي: (المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى) والذي يهمنها هو المغرب الأدنى، لوقوع جبل نفوسة ضمن نطاقه، إضافة إلى أقاليم أخرى منها: برقة وطرابلس، وتونس، للمزيد انظر: عماد الدين إسماعيل أبي الفداء، تقويم البلدان، تصحيح: رينود وماك كوكين ديسلان، باريس: دار الطباعة السلطانية، 1840، ص 122.

(2) . عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر السابق، مج 6، ص 118 – 119؛ حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج 1، بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992، ص 21.

(3) . أبو العباس أحمد البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، بيروت: منشورات مؤسسة المعارف، 1987، ص 314؛ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 8 .

(4). عبد الرحمن بن عبد الحكم ، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق: عبد الله الطباع، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، 1987 ، ص 30 .

الطريق الساحلي حتى وصل إلى مدينة طرابلس عام (22 هـ / 642 م) وبعد حصار طويل تمكن من فتحها⁽¹⁾.

وتشير بعض المصادر إلى أن الذي أعان على فتح مدينة طرابلس هو حركة المد والجزر للبحر، فعند الجزر انخسرت مياه البحر عن أسوار المدينة وأعطت لبعض المسلمين مجالاً دخلوا منه للمدينة، والسياق يطرح السؤال وهو: كيف يتسنى لعدد قليل من الرجال أن يدخلوا مدينة فيها العدد الكبير من جيوش وعساكر الروم؟! .! والواضح يبدو أن المدينة فتحت عنوة وليست بهذه السهولة وهذا ما تؤكد رواية البلاذري عندما قال: " سار عمرو بن العاص حتى نزل اطرابلس في سنة 22 فقتل ثم افتتحها عنوة "⁽²⁾. وبعد فراغ ابن العاص من فتح مدينة طرابلس أمر جنوده بالإسراع إلى صيراة (صبرة)⁽³⁾ في نفس الفترة بقيادة عبد الله بن الزبير عام (22هـ / 642م) فوصلوها صباحاً ووجدوا أبوابها مفتوحة وأهاليها منشغلين بتسريح حيواناتهم إلى المراعي⁽⁴⁾.

وتحرك الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص إلى جبل نفوسة . ويلاحظ أن القائد عمرو بن العاص في خط سيره الساحلي على البحر يتوجه نحو الداخل لمسافات بعيدة، وهذا الأمر لوحظ بعد فتحه لبرقة فأرسل عقبة (ت 63 هـ) إلى زويلة، وتكرر هنا مرة أخرى فبعد إتمام فتحه لطرابلس وصبرة يتوجه بنفسه نحو الداخل صوب جبل نفوسة، وكان يهدف من وراء ذلك توسيع مدي

(1) . المصدر نفسه، ص 30.

(2) . البلاذري، المصدر السابق، ص 316.

(3) . صبرة : ربما كتبت بسين مكسورة عوض الصاد، وهي كانت في القديم قاعدة ذلك الموضع كله، ولم يكن هناك أحسن منها، فتحها عمرو بن العاص. ينظر: التجاني، المصدر السابق، ص 212.

(4) . أبو محمد التجاني، المصدر السابق، ص 212.

المناطق المفتوحة بالإضافة إلى الحيلولة دون اعتمادها على الإمدادات الداخلية⁽¹⁾ وهذا ما حدث عندما كان عمرو محاصراً لمدينة طرابلس حيث استنجد أهاليها بنفوسة، والمقصود بهم أهالي جبل نفوسة، وليس كما ذهب أحد الباحثين المعاصرين حيث قصد بهم أهل ودان⁽²⁾، والمعروف أن قبيلة نفوسة تقطن منذ بدايات العصور الوسطى الجبل المعروف باسمهم إلى يومنا هذا، أما أغلب سكان مدينة ودان فهم من قبيلة مزاتة وليسوا نفوسة! . وأن ودان تم فتحها على يد بسر بن أبي أرطاة خلال محاصرة عمرو ابن العاص لمدينة طرابلس⁽³⁾. والملاحظ هنا (في فتوح الجبل) أن المصادر التي تناولت هذه الأحداث كانت بسيطة ونادرة من ناحية، ومن ناحية أخرى لم تتطرق إلى التفاصيل مثلاً: كيف كان موقف أهالي الجبل من الزحف الإسلامي؟ هل أبدوا مقاومة وإي إي مستوى؟، وهل فتح الجبل عنوة أم صلحاً؟ وإنما الروايات كانت مقتضبة جداً ومتضاربة أحياناً، حول من قام بفتح جبل نفوسة، فبينما يورد صاحب المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ذلك الأمر مرتين الأولى: يسند فيها افتتاح الجبل لعمرو بن العاص، والثانية في نفس الصفحة: " أن عمرو بن العاص أثناء محاصرته لمدينة طرابلس بعث بسر بن أرطاة ففتح ودان وجبال نفوسة "⁽⁴⁾. نجد من يقول أن: " عمرو بن العاص رحمه الله افتتح نفوسة وكانوا نصارى، ومن نفوسة رجع بكتاب عمر رضه "⁽⁵⁾. إلا أن الأرجح ما ذهب إليه البكري لأنه الأقدم زمنياً، وهو الرأي الذي قاله صاحب

(1). إحسان عباس، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن 9هـ، بيروت: دار صادر، 1967، ص 23.

(2). المرجع نفسه، ص 22.

(3). البكري، المصدر السابق، ص 660.

(4). محمد بن أبي القاسم القرواني، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ط3، بيروت: دار المسيرة للطباعة والنشر، 1993، ص 37.

(5). المصدر نفسه، ص 656؛ الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 297.

المؤنس أولاً. ومن خلال النصين السابقين ندرك أن المسيحية كانت منتشرة في الجبل، وأن القائد عمرو بن العاص رجع من هناك على إثر كتاب الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه — بعد استئذانه في إكمال العمليات العسكرية، والتوجه لفتح إفريقية فكتب إليه: " إنا قد بلغنا طرابلس وبينها وبين إفريقية تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل" ⁽¹⁾، إلا أن عمر بن الخطاب كان له رأي آخر في هذه المسألة ورد عليه قائلاً: " لا ، إنما ليست بإفريقية ولكنها المفرقة ، غادرة مغدور بما ، لا يغزوها أحد ما بقيت" ⁽²⁾، ونفهم من ذلك أن عمر بن الخطاب كان يخشى على جيش المسلمين من التوغل بعيداً في مناطق مجهولة بالنسبة إليهم. ومن المرجح أن جبل نفوسة قد تم فتحه صلحاً ، وأن الأهالي أقبلوا على الدين الإسلامي ولم يقاوموه نظراً لسماحته وعدالته بين الناس، ويفهم ذلك من خلال ما كتبه المؤرخون عن حركة الفتوح فالمدن والبلدان التي فتحت عنوة وواجه فيها المسلمون العقبات والأخطار هي التي كثيراً ما كتمت بها المصادر التاريخية وهذا ما لم تتم ملاحظته مع فتوح منطقة الجبل من ناحية، ومن ناحية أخرى فمما يدل على صحة فتح الجبل صلحاً هو بقاء كنائس النصارى ⁽³⁾ دون المساس بها ، وأن سكان الجبل النصارى تحولوا تدريجياً إلى الإسلام فيما بعد .

ويرى جاك تيري أن فتح المسلمين لجبل نفوسة كان رمزياً ويدل ذلك على أن الطريق التي يتبعها الجيش الإسلامي فيما بعد إلى إفريقية هي التي فيما بين

(1) . عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص 33 ؛ البلاذري، المصدر السابق، ص 316 .

(2) . المصدر نفسه، ص 316؛ الطاهر الزاوي، تاريخ الفتوح العربي في ليبيا، ص 72 — 73.

(3) . شاهدت عند زيارتي لقرى ومدن الجبل مجموعة كنائس ما زالت آثارها دالة على وجودها، كما أن ملحقا بسم الشماخي بعنوان: (تسمية مشاهد الجبل) يذكر عدة كنائس في الجبل.

طرابلس جنوباً والجبال شمالاً⁽¹⁾، وهذا ما يؤيد صحة فتح الجبل صلحاً وأن أهله أسرعوا إلى الدخول في الإسلام ولم يشككوا عقبه لمرور الجيش الإسلامي لاستكمال فتح بلاد المغرب ، لأنهم صاروا مسلمين بالفعل .

وتكمل المصادر ذكر أحداث تاريخية عن جبل نفوسة بعد رجوع عمرو بن العاص منه فهل ترك به حامية؟ كما لا نجد أخباراً تتحدث عن كيفية دخول الأهالي في الإسلام؟ كما لا يدري الباحث ما هي المدن التي فتحت في الجبل؟ لأن المصادر التاريخية لا تشير إلى ذلك، إلا من خلال ما ورد في الكتابات المتأخرة أن مدينة شروس⁽²⁾ تعد من مدن الجبل التي فتحها ابن العاص، كما أشار لذلك ابن غلبون قائلاً: " وارتحل عنها [يقصد صبراتة] لشروس مدينة نفوسة فافتتحها " (3).

ويتضح أن هذه المدينة التي تعد أهم مدن الجبل حينذاك، هي أقصى نقطة وصل إليها الجيش الإسلامي في أول مرحلة من مراحل الفتح الإسلامي في بلاد المغرب، وأول اتصال لجبل نفوسة بالإسلام .

(1) . جاك تيري، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، مصراته: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، 2004 ، ص 210— 211 .

(2) شروس: من أكبر مدن الجبل ويدل على ذلك اتساع الرقعة التي يتناثر فيها خرائب وآثار المدينة ، ولم يتبق منها شئ قائماً سوى مسجد الشيخ أبو معروف ، وبقايا قصر متساقط، وكانت هي العاصمة خلال العصور الوسطى ، وتقع في أعالي وادي شروس الفاصل بين منطقتي مرقس وتندميرة بمنطقة الحرابة ، ويحيط بالمدينة الجبال من جميع الجهات ما عدا الجهة الشمالية الغربية حيث يمر الوادي ومدخل المدينة للقادم من الساحل، زرتمًا عامي: (2002 — 2004م)، ينظر الصورة رقم (1).

(3) أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار ، تصحيح وتعليق : الطاهر أحمد الزاوي، طرابلس : مكتبة النور، 1967 ، ص 19.

4. دور جبل نفوسة في بلاد الغرب الإسلامي: (سياسياً، اقتصادياً).

تمهيد:

بعد أن تمكن عمرو بن العاص من فتح مدينة شروس بجبل نفوسة نلاحظ صمت المصادر التاريخية عن متابعة الأحداث في الجبل لتعود مرة أخرى خلال أوائل القرن (الثاني الهجري / الثامن الميلادي) مع انتشار المذهب الإباضي⁽¹⁾ في بلاد المغرب الأدنى، وإقبال أهالي الجبل عليه.

والفترة التاريخية المسكوت عنها من تاريخ الجبل دامت حوالي 120 سنة تقريباً!، وهي فترة طويلة أغلبها زمن الدولة الأموية في المشرق، ومن الطبيعي أن تزخر بأحداث سياسية واجتماعية وثقافية. إلا أنه من الواضح أن الأهالي قد ثبتوا على الدين الإسلامي وتغلغل في نفوسهم وأصبحوا مواطنين في الدولة الإسلامية من حدود الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً، ولاشك أن منطقة الجبل تأثرت بمشاكل محيطها الجغرافي في بلاد المغرب عامة، وخاصة من حيث عدم رضاهم على سياسة بعض الولاة الأمويين التعسفية، وأخذت تسير نحو التأزم من جراء تلك السياسة الجائرة التي جرى عليها بعض خلفاء بني أمية وبعض الولاة في أغلب بلاد المغرب، ومنها على سبيل المثال: سياسة يزيد بن أبي مسلم (102 — 103 هـ)، والذي اعتبر المغاربة في مرتبة أدنى من العرب الفاتحين، وفيئاً للمسلمين، وقام بتخميمهم

(1) . المذهب الإباضي : هو أحد المذاهب الإسلامية ويعد من أقدمها نشوءاً، وينسب إلى عبد الله بن إباض، إلا أن المؤسس الحقيقي للمذهب هو: أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي، أحد كبار التابعين ولد عام 21 هـ في عمان، إلا أنه عاش في العراق وتوفي سنة 92 هـ، وقد أثيرت في أواخر القرن الأول الهجري بعض القضايا الفقهية والكلامية وحصرها الشيرستاني في أربعة أصول رئيسية: (الصفات والتوحيد فيها — القدر والعدل — الوعد والوعيد — السمع والعقل والرسالة والأمانة)، ودرس علماء المسلمين تلك القضايا وكل منهم انتهى إلى رأى معين صار مذهباً فيما بعد من بينها مذهب الإباضية، وكل المذاهب الإسلامية تنفق في أصول الدين، واختلافهم كان في الفروع، ينظر: علي مجي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى القاهرة: مكتبة وهبة، 1964، ص 59.

وأمرهم بالبقاء في مناطقهم، وفرض عليهم الجزية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل أراد وشم أيدي حرسه منهم تمييزاً عن غيرهم⁽¹⁾، كما نلاحظ أن مثل تلك السياسة الجائرة تتكرر مرة أخرى مع عبيد الله بن الحبحاب (116 – 123 هـ)، عندما أراد واليه على طنجة عمر بن عبد الله المرادي: " أن يخمس مسلمي البربر وزعم أنهم من فيئ المسلمين، وذلك شئ لم يرتكبه أحد قبله"⁽²⁾ وَيبدو أن مثل تلك السياسات التي ابتعد فيها بعض الولاة عن المباديء السامية التي جاء بها الإسلام والمتمثلة في اعتبار جميع المسلمين سواسية لا فرق بينهم إلا بالتقوى، قد أثرت على مختلف مناطق المغرب ومن بينها منطقة جبل نفوسة التي استجاب أهلها لدعاة المذهب الإباضي⁽³⁾، الذي انتشر منذ أوائل القرن الثاني للهجرة، وذلك بدخول سلمة بن سعيد بلاد المغرب قادماً من البصرة لنشر المذهب سنة (105هـ / 720 م) تقريباً واستطاع كسب الأنصار والمؤيدين في طرابلس وجبل نفوسة⁽⁴⁾. وبذلك بايعوا في فترات لاحقة أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري⁽⁵⁾ في ثورته بالمغرب الأدنى، وكانت ولايته عام (140 / 758 م)⁽⁶⁾. أي في السنوات الأولى لقيام الدولة العباسية وتقدم أبو الخطاب نحو مدينة طرابلس

(1) . أبو اسحاق إبراهيم بن الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلمي الزيدان وعزالدين عمر موسى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990، ص 64 .

(2) . ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح: محمد يوسف الدقاق، ط3، بيروت: منشورات دار الكتب العلمية، 1998، مج 4، ص 416؛ أبو إسحاق بن الرقيق، المصدر السابق، ص 73 .

(3) . حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ط7، القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1964، ج2، ص 207 .

(4) . اسماعيل محمود عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، الدار البيضاء: دار الثقافة، 1976، ص 54 .

(5) . أبو الخطاب: هو عبد الأعلى بن السمح أبو الخطاب المعافري، أصله من اليمن، وأحد حملة العلم الخمسة الذين درسوا في البصرة على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري. ينظر: أبو زكرياء يحيى الوارجلاني، السير وأخبار الأئمة، مخطوط، ورقة 6 – 8. مكتبة كلية الدعوة الإسلامية، (ب.ت).

(6) . المصدر نفسه، ورقة 8 .

واستولي عليها ، وسمح لنوالي العباسي بالمغادرة إلى المشرق وولي عليها عبد الله رحيم ، وزحف إلى القيروان وحاصرها، ثم تقابل مع ورفجومة بقيادة عبد الملك بن الجعد، وتمكن من هزيمتهم سنة (141 هـ/759 م)⁽¹⁾ وولي عليها عبد الرحمن بن رستم، وبذلك صارت طرابلس كلها بما فيها (جبل نفوسة) من سرت⁽²⁾ شرقاً إلى القيروان⁽³⁾ غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً تحت سيطرة أبي الخطاب المعافري. والملاحظ هنا أهمية منطقة الجبل بمشاركتها في الأحداث التاريخية. وإسهامها في تشكيل الخرائط السياسية ببلاد المغرب. لما يتمتع به الجبل من أهمية جغرافية، ولوقوعه في نهايات الطرق التجارية القادمة من وراء الصحراء⁽⁴⁾.

عزم أبو جعفر المنصور القضاء على إمامة أبي الخطاب التي أصبحت خطراً يهدده في المغرب، ولهذا أرسل قواته الواحدة تلو الأخرى، ومنها على سبيل المثال: جيش بقيادة العوام بن عبد العزيز البجلي الذي هزمه أبو الخطاب في منطقة سرت فأرسل جيشاً آخر بقيادة أبي الأحوص عمر بن الأحوص العجلي الذي هزم هو

(1) أبو إسحاق بن الرقيق، المصدر السابق، ص 104؛ أحمد الأنصاري، المصدر السابق، ص 53؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج 5، ط 5، بيروت: المكتب الإسلامي، 1991، ص 134.

(2) . سرت: من المدن القديمة في ليبيا، وأغلب سكانها من قبائل منداسة وفتاس، وتطلق سرت على المنطقة الواقعة بين قصور حسان والعقيلة، وهي من الأراضي الطرابلسية فتحها المسلمون عام 22 هـ، كان واليها زمن أبي الخطاب: عمرو بن يكتن. ينظر: الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 188.

(3) . القيروان: مدينة إسلامية في تونس، أسسها عقبة بن نافع في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وتقع في سهل فسيح، وتبعد عن البحر المتوسط حوالي 36 ميلاً، وحوالي 100 ميل من تونس، يحيط بها سور جميل من الآجر، وأصبحت من المراكز الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي لإشعاع الثقافة العربية الإسلامية. ينظر: الحسن الوزان.

وصف إفريقيا، ج 2 ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983، ص 87.

(4) . جاك تيري، المرجع السابق، ص 408.

الآخر أمام جيش أبي الخطاب بمغمداس⁽¹⁾ وأخيراً تمكن ابن الأشعث من هزيمة أبي الخطاب وقتله في معركة بتورغا*⁽²⁾.

وبعد وفاة أبي الخطاب سنة (144 هـ / 762م)، تراجع واليه على القيروان عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب الأوسط، ويشير الشماخي إلى ذلك قائلاً: " وقام عبد الرحمن بن حبيب يلتمس عبد الرحمن بن رستم وفر رحمه الله إلى المغرب ... وما معه إلا ابنه عبد الوهاب و غلام... حتى بلغوا بالمغرب سوفجح جبل منيع"⁽³⁾. وهناك قامت الدولة الرستمية . إلا أن جبل نفوسة ظل خارج سيطرة ابن الأشعث إلى أن انضم إلى الرستميين في عهد الإمام عبد الوهاب الرستمي .

-
- (1) . مغمداس: تقع ناحية مدينة سرت، أقام به جيش عقبة بن نافع سنة 49 هـ قبل إنطلاقه إلى الجنوب الليبي، ومغمداس تمر بما طريق القوافل التجارية التي تربط بين المشرق والمغرب الإسلاميين. ينظر ابن خرداذبة، المسالك والممالك، تقديم : محمد مخزوم، بيروت: دار أحياء التراث العربي، 1988، ص 80.
- * . تاورغا: بلد جنوبي مصراته بنحو 40 كم، بما نخل كثير، ينظر: الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 79
- (2) . الوارجلاني ، المصدر السابق ، ورقة 12 ، الشماخي ، المصدر السابق ، ص 132 .
- (3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 133 .

أ (جبل نفوسة والدولة الرستمية:

لم تشهد منطقة المغرب الأوسط قيام دول مستقلة عن المركز بالشرق الإسلامي إلا بعد قيام الدولة العباسية، فبعد هزيمة الإباضيين بتاورغاء سنة (144 هـ / 762 م)، وبمقتل أبي الخطاب، تراجع عبد الرحمن بن رستم إلى منطقة المغرب الأوسط وهناك أدام الدولة الرستمية سنة (160 هـ / 778 م)⁽¹⁾. وكانت عاصمتها تاهرت⁽²⁾، وحول تأسيسها أشار الدرجيني إلى ذلك قائلاً: "إن جماعة أهل الدعوة اتفقوا على أن ينتخبوا موضعاً ينون فيه مدينة تكون حصناً لهم، فأرسلوا رجالاً من ذوي المعرفة، وفرقوهم في الجهات يتخيرون مكاناً يصلح لما حاولوه، ورجعوا وقد وقع اختيارهم على تاهرت، فدلّوهم عليها، فاتفق جمهورهم مع أهل تاهرت القديمة على شيء معلوم يأخذونه على غلتها، وقد كانت قبل ذلك رياضاً لا عمارة فيها إلا السباع والهوم"⁽³⁾.

وتشير المصادر الجغرافية إلى الميزات الطبيعية التي تتمتع بها مدينة تاهرت مما سمح لها القيام بأنشطة اقتصادية هامة، ومنها على سبيل المثال: اعتدال مناخها ووفرة المياه وخصبة التربة، والأمر الثاني وقوعها على مفترق الطرق التجارية التي تربط الشمال بالجنوب والشرق بالغرب. فعلى المستوى الأول كانت تاهرت تتمتع بوفرة المياه فهي واقعة: "على نهر يأتيها من جهة القبلة... ونهر آخر يجري من

(1) الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 15.

(2) تيهرت: مدينة جزائرية، وهي اسم لمدينتين متقابلتين يقال لإحدهما تاهرت القديمة، وللأخرى المحدثه وهي مسورة ولها أربعة أبواب، اتخذها الرستميون عاصمة لدولتهم، وكان لها دور ثقافي وتجاري كبير لموقعها المميز حيث تتوسط الطرق العابرة للصحراء مما مكنتها من الثراء، ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 256؛ جاك تيري، المرجع السابق، ص 210 – 211.

(3) . الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، تحقيق: إبراهيم طلاي، قسنطينة: مطبعة البعث، 1974، ص 41.

عيون تجتمع تسمى تاتش شرب أرضها وبساتينها" (1)، ويؤيد ذلك قول الجغرافي الشريف الإدريسي: "بمدينة تاهرت مياه متدفقة، وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضرراً من الفواكه الحسنة" (2). ونتيجة لتوفر المياه ازدهر النشاط الزراعي ويشير الأصبخري إلى خصوبة التربة واتساع الأراضي المزروعة (3).

وبالإضافة إلى عناية المصادر التاريخية بالأهمية الزراعية لتاهرت فقد أسهبت تلك المصادر في الإشادة بالنشاط التجاري الذي انعكس بشكل كبير على التطور العمراني للمدينة خلال فترة بسيطة من تأسيسها، فيذكر ابن الصغير أنه قد: "استعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة فأقاموا على ذلك سنتين ... والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الأقطار تاجرون" (4).

والذي يعنينا من أمر هذه الدولة هو معرفة مدي علاقتها بجبل نفوسة في مختلف المراحل التاريخية؟ وهل استمر الجبل في ولائه للرسامين؟ وللإجابة على هذه التساؤلات نحاول إستقراء الأحداث التاريخية في المنطقة من خلال أبرز المصادر (5) التي تطرق البعض منها إلى المواقف الإيجابية الكثيرة للجبل تجاه دولة بني رستم

(1) . البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 733 – 734 .

(2) . الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 256 .

(3) . ابن إسحاق إبراهيم الأصبخري، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر وشفيق غربال، بور سعيد : مكتبة الثقافة الدينية، 1961، ص 34 .

(4) . ابن الصغير، أخبار الأئمة الرسامين، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986، ص 36 – 37 .

(5) . المصادر التي تناولت الأحداث التاريخية الخاصة بالحركات السياسية والاجتماعية المناوئة للرسامين: (النفاثة – الخلفية) أغلبها مصادر إباضية وهابية، ولم نثر على مصادر أخرى تعبر على وجهة نظر أصحاب تلك الحركات حتى تتمكن من تقييم الموقف التاريخي بشكل أكثر موضوعية وحيادية.

ودعمها الالامحدود من أجل حمايتها والدفاع عنها بكل الأساليب، وفي الوقت نفسه تحدثت تلك المصادر عن المواقف المعارضة لبعض مواطني الجبل لحكام تاهرت (سياسياً، واجتماعياً، وفقهياً)، وسنخرج عليها في حينها. إلا أن أهالي الجبل الموالين لتاهرت، وخاصة المشائخ والعلماء وقفوا في وجه تلك الحركات، ومنعوا انتشار أفكارها بمختلف الصور والوسائل ومنها: (المراسلات، وتأليف الكتب، والحوارات العلمية، وبالقوة العسكرية إذا تطلب الأمر).

في الحقيقة لم ينضوي الجبل سياسياً تحت هذه الدولة إلا في عهد الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم⁽¹⁾، أما في عهد مؤسسها عبد الرحمن بن رستم كانت العلاقة فيما يبدو روحية، تجمعهم وحدة المذهب، لأنهم جميعاً أساساً كانوا يناضلون في معركة واحدة من أجل إقامة كيانهم السياسي. ودور الجبل في هذه المرحلة المبكرة من عمر الدولة يكاد ينحصر في رحيل عدد كبير من شيوخه وأتباعهم، من منطقة الجبل إلى المغرب الأوسط حيث إقامة عبد الرحمن الرستمي، وهم بذلك سيشكلون الخلايا الأولى للدولة الرستمية. وهذا ما عبر عنه عبد الوهاب بن رستم في مقولته: "إنما قام هذا الدين على سيوف نفوسة وأموال مزانة"⁽²⁾، ويقصد بالدين هي قيام الدولة على قوة قبيلة نفوسة العسكرية ونفوذها السياسي لأنها هي القبيلة التي ساندت ثورة أبي الخطاب وإمامته في إقليم طرابلس وتستمر هنا لدعم دولة الرستميين. وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في قيام الدول،

(1) . عبد الوهاب بن رستم : هو الإمام الثاني للدولة الرستمية (171 - 208 هـ / 787 - 823 م) ، ودام حكمه حوالي 40 عاماً ، أقام في جبل نفوسة سبع سنوات ، وله كتاب (نوازل نفوسة) يرد فيه على المشكلات الفقهية النازلة في الجبل . وفي عهده امتدت الدولة الرستمية إلى أقصى حدودها من سرت شرقاً إلى تلمسان غرباً ، ينظر : ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 43 .

(2) . الوارجلاني ، المصدر السابق ، ورقة 37.

فقبيلة نفوسة تمثل الشوكة والعصية وهو المعبر عنه بالجند، وقبيلة مزاتة تمثل الجانب المادي (المالي) وهو قوام أولئك الجند⁽¹⁾. كما كان لقبيلة نفوسة (الجبل) الدور البالغ في استمرارية الدولة الرستمية في مختلف عهود أئمتها، ففي أوقات الحرب قدمت الرجال والعتاد، ودافعت الأعداء، ونجدها تساهم في التنظيم الإداري، وتسيير الشؤون الداخلية في السلم، فوظائف: " أحكام بيوت الأموال، وعقد تقدم القضاء، وأحكام المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق إنما يلي أمرها نفوسة الجبل "⁽²⁾، وفي فترات تاريخية أخرى من عمر الدولة اهتموا بإصلاح الأسواق، وقمع كل من يحاول نشر الفساد والفسق، ويقول الشماخي في هذا الصدد: " فأصلح الله الفساد على أيديهم حتى عاقبوا القصاب على نفخ الشاة، ومنعوا الحمال على دابته أن يحمل عليها فوق طاقتها، وانقطعت مادة الفتنة وعمرت المساجد "⁽³⁾. وفي عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن الذي ضيقت عليه المعتزلة⁽⁴⁾ في تاهرت وكثر القتل بين الطرفين: " فلما رأى الإمام شدة شوكتهم وكثرة عددهم أرسل إلي جبل نفوسة وإلي عامله بما أن يمدّه بجيش يتضمن شجعاناً وفرساناً عارفين بأبواب الحرب ومبارزة الأبطال، وعلماء بفنون التفسير والرد على المخالفين، والحلال والحرام " ⁽⁵⁾.

(1) . ابن خلدون، المقدمة، ط2، تقديم: محمد الأسكندري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1998، ص 153.

(2) . الشماخي، المصدر السابق، ص 221.

(3) المصدر نفسه، ص 221.

(4) .المعتزلة: اسم لإحدى الفرق الإسلامية، ولها مدرسة في علم الكلام، أنشأها واصل ابن عطاء، وعمرو بن عبيد وعُرفت الفرقة بهذا الأسم لاعتزاهما حلقة الحسن البصري لما خالفاه بالقول بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ولكنه فاسق في مترلة بين مترلتين، وانشقت المعتزلة فيما بعد إلي 22 فرقة، ينظر: إسماعيل العربي، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، المغرب: دار الآفاق الجديدة، 1993، ص 342.

(5) الشماخي، المصدر السابق، ص 154، سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية: ج 2، د ت، ص 118.

وهذا النص يبين مدى اعتماد الرستميين على الجبل في مختلف المستويات العسكرية والعلمية. وهذه الملاحظة تتكرر دائماً مع أغلب الأئمة الرستميين في علاقتهم بجبل نفوسة، وهؤلاء الأخيرون كان لهم الإسهام البالغ في إجبار أبي العباس عبد الله الأغلبي⁽¹⁾ في رضوخه لمصالحة عبد الوهاب بن رستم عندما حاصره في مدينة طرابلس سنة (196 هـ / 812 م)، واتفق الطرفان على أن تكون مدينة طرابلس والبحر للأغلبية، وما كان خارج الأسوار حتى سرت للرستميين⁽²⁾ وبذلك سيطر الإباضيون على كل دواخل البلاد أي الصحراء والجبل كما سيطروا على الطرق العابرة للصحراء من ليبيا نحو مصر وإفريقية وإلى بلاد السودان الغربي والأوسط.

ومن مواقف الجبل المعارضة للرستميين والتي أشرنا لها أنفاً، منها الحركة النفاثية: نسبة إلى الشيخ فرج بن نصر النفوسي المعروف بنفاث، وتعترف المصادر الإباضية بطول باعه في العلم والثقافة ودرايته بالهندسة والبناء⁽³⁾، وترى سبب معارضته طموحه السياسي، ورغبته في عمالة قنطرة⁽⁴⁾ بعد وفاة عاملها أبو يونس وسيم بن يونس النفوسي، إلا أن الإمام جعل سعد بن وسيم بن يونس النفوسي

(1) . أبو العباس عبد الله الأغلبي: ثاني أمراء الدولة الأغلبية (21 شوال 196 – 6 ذي الحجة 201 هـ / 812 م) شارك أباه في تسيير أمور الدولة، وخلفه في الحكم بعد وفاته، ينظر: محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ترجمة: المنجي الصيادي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985، ص 177 – 180.

(2) . الشماخي، المصدر السابق، ص 160 – 161.

(3) أبوزكريا الوارجلاني، السيرة وأخبار الأئمة، مخطوط: ورقة 33؛ أبو العباس الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج 1. ص 79 – 80؛

(4) قنطرة: (تجى حالياً) مدينة في وسط سهل الجفارة؛ طبقات وطيدة مع جبل نفوسة، برزت في ميادين العلم والثقافة. كما اشتهرت بالازدهار العمراني والزراعي، ينظر: سليمان الباروني، المصدر السابق، ص 196 – 197

عاملاً على قنطرة⁽¹⁾، الأمر الذي عجل بخروج نفاث على الحكم الرستمي. وكانت له أفكار وآراء في الحكم والفقہ ويبدو أنها لاقت قبولاً وإستحساناً في بعض القرى والمدن في الجبل وخاصة في الجهة الغربية. إلا أننا نلاحظ بروز بعض العلماء النفوسيين لصد آراء نفاث ومحاربتها منهم على سبيل المثال: الشيخ أبو نصر التمصصي، الذي : " دار الجبل أربعين مرة يحذر الناس من فتنة نفاث " (2)، وكذلك الشيخ مهدي الويغوي الذي ألف كتاباً في هذا الخصوص سيأتي الحديث عليه في حينه، وأيضاً للشيخ عمرو بن فتح دور فكري لمحاربة نفاث. وهذه الجهود تحسب لصالح دور الجبل في الدفاع عن الدولة الرستمية.

والحركة الثانية التي زعزعت أركان بني رستم في الجبل هي الحركة الخلفية: نسبة إلى خلف بن السمع المعافري، وكان والده والياً من قبل الإمام الرستمي على جبل نفوسة، ولما توفي السمع رأي بعض الناس تولية أبنه خلف بعده، الأمر الذي لم يستحسنه الإمام عبد الوهاب دون إذنه وموافقته. وأرسل إليهم كتاباً جاء فيه: " ... والذي كتبتموني به من وفاة السمع وتولية بعض الناس خلفاً، خلفاً منهم ورد أهل الخير ذلك، فإن مولي خلفاً بغير إذن إمامه قد أخطأ سيرة المسلمين، ومن أبي توليته فقد أصاب، فإذا أتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل استعمله السمع إلى عمله الذي ولي عليه إلا خلف بن السمع، فحتى يأتيه أمري وتوبوا إلى ربكم لعلكم تفلحون" (3). وكان رد فعل خلف واتباعه على كتاب الإمام عبد الوهاب هو المطالبة بإستقلال الجهة الشرقية من جبل نفوسة عن تاهرت والإعتراف بخلف إماماً بدل إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم

(1) . الدرجمي، المصدر السابق، ص78.

(2) . الشماخي، المصدر السابق، ص .

(3) . الدرجمي، المصدر السابق، ج1، ص69.

وتعللوا ببعدها المسافة بين البلدين⁽¹⁾، ويبدو أن أفكار الخلفيين أنتشرت في مناطق: (يفرن وككلة وبابل وتاكبال)، وقام ولاية الجبل المواليين للرستميين بالجهة الشرقية بالتوالي محاربة خلف وحركته، منهم الشيخ أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني، الذي اصطدم مع خلف في أكثر من معركة. ولم يتمكن من القضاء على هذه الحركة حتى توفي، وخلفه في الولاية الشيخ العباس بن أيوب الذي شن حرباً طويلة على خلف واتباعه حتى مات خلف⁽²⁾.

ونرجع مرة أخرى للحديث عن حاجة الرستميين لرجال الجبل وقوتهم العسكرية، فقد استنجد خامس الأئمة الرستميين الإمام أبو اليقظان بن أفلاح في محنته بتأخرت مع أبي مسألة" فلما رأى طول الحرب ما رأى كتب إلى جبل نفوسة يستنفرهم"⁽³⁾. ولم يتوان أهالي الجبل في تلبية النداء الرستمي وشاركوا في تلك الحروب. ولذلك ربما أدرك الأغلبة أهمية جبل نفوسة بالنسبة للدولة الرستمية فقاموا بالاستيلاء على بلاد الجريد(الجنوب التونسي) سنة (224 هـ / 838 م) لعزل جبل نفوسة عن الرستميين في تيهرت من ناحية، ومن ناحية أخرى للسيطرة على الطرق التجارية الصحراوية التي كانت محل صراع وقتذاك⁽⁴⁾.

(1) . أبو زكريا الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 28؛ الدرجيني، ج 1، ص 70؛ الشماخي، ص 181.

(2) . سليمان الباروني، المرجع السابق، ص 177.

(3). ابن الصغير، المصدر السابق، 86، كما يورد المحقق أن هناك رواية أخرى وهي (يستنفرهم)، وهي الأنسب والسياق اللغوي والتاريخي.

(4) . جاك تيري، المرجع السابق، ص 228.

ولما كانت منطقة الجبل تابعة للدولة الرستمية فالأخيرة كانت تعين الولاة لتسيير أمور الولاية، ومن أبرز من تولي أمور الجبل، نذكر منهم على سبيل المثال: أبا الحسن أيوب بن العباس، وعبد الحميد أبو عبيدة الجناوني نسبة إلى قرية إيجناون⁽¹⁾، والعباس بن أيوب، وإلياس بن منصور النفوسي، وغيرهم وسوف نتطرق لهذا الموضوع ببعض التفصيل في الفصل الثالث المعنون بـ: (الوظائف العامة للعلماء).

وكان الأئمة الرستميون يشجعون حركة العلم والعلماء، ومن بينهم من كان له نشاط علمي واضح، وكما تشير بعض المصادر أن بيتهم: " احتوى على علوم كثيرة من فقه وإعراب ولغة وفصاحة وعلم نجوم وعن بعضهم قال: معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم أين بات القمر، وقيل إن عبد الوهاب بات مع أخته يتعلمان مسائل الفرائض فلم يطلع عليهما الفجر إلا وهما قد تعلماهما جميعاً"⁽²⁾. وكان الإمام عبد الرحمن يهتم بالعلوم الإسلامية، وله تفسير للقرآن الكريم⁽³⁾ وأقام الإمام عبد الوهاب بجبل نفوسة سبعة أعوام وأخذ يدرس العلوم الفقهية بمسجد ميري في بني زمرور⁽⁴⁾.

(1). إيجناون: من قرى الجبل وتبعد عن مدينة جادو حوالي 4 كيلو مترات، وعن مدينة طرابلس حوالي 180 كلم تقريباً، وهي محاطة بثلاثة جبال من: الشرق والغرب والجنوب وهي أقرب إلى جبال الشرق، ويحدها من الغرب جبل تقع فوقه قرية مزغورة وتندباس وجماري، ومن الشرق جبل فوقه قرية يوجلين وأوشباري وثلاث أموران وقرية تموجط وهي في الأسفل منهم، وقرية إيجناون مرت عبر التاريخ بأكثر من مرحلة في بنائها الأولى كانت في (سيح أقمار) ومعناها: فضاء الحصان، والثانية تحت الجبل، وكانت تشتهر قديماً بصناعة الفخار أو القلال. زرقما عام 2004 ف، ينظر الصورة رقم (2) .

(2) . المصدر نفسه، ص 162.

(3) . أبو الربيع الوسياني، سير أبو الربيع، مخطوط، ورقة 104، مكتبة: أحمد الفساطوي، طرابلس، بدون تصنيف.

(4) . الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 26 ؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 159.

وكان الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب من الأدباء وله منظومة شعرية مشهورة، في ثمانية وثمانين بيتاً، تحت الطلاب على طلب العلم، والجد والاجتهاد، نقتبس⁽¹⁾ منها:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا
يحيي به ذكرهم طول الزمان وقد
حي وإن مات ذو علم وذو ورع
أو أنما غيرت أشخاصهم ومضوا
وذو حياة على جهل ومنقصة
حياته عدم في طول مدته
لله عصابة أهل العلم أن لهم
نالوا الأمان به طراً وبان لهم

وليلهم بشموس العلم قد نارا
يريك أشخاصهم روحاً وأبكارا
إن كان في منهج الأبرار ما مارا
ما مات عبد قضي من ذاك أوطارا
ولا يبالي أخيراً نال أم عارا
كفيت قد ثوى في الرمس أعصارا
في كل أفق من الآفاق أنوارا
فضل على الناس غياباً وحضّاراً

العلم علم كفى بالعلم مكرمة
كم جاهل بأمور الدين محتبط
العلم عند اسمه أكرم به شرفاً
ما للفتى غير نور العلم من رتب
يشرف العلم للإنسان منزلة
العلم فخر علا عن كل مرتبة
العلم در له فضل ولا أحد

ومن يرد غير خير العلم ما اختارا
والجهل جهل كفى بالجهل إدبارا
للمرء إذ يكتسي بالعلم أطمّاراً
والجهل عند اسمه أعظم به عارا
ويجتني من جناه العذب أثمارا
ويرفع العلم للإنسان أقداراً
محص له كل عقل دونه حاراً

(1) . نقلاً عن الشيخ سليمان الباروني، المرجع السابق، ص190.

كما كان للإمام أفلح: " عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة جامعة لنصائح ومواعظ وحكم دلت على ما له من الفضل والكمال والعدل من طول الباع وفي غزارة العلم وقوة الإدراك " (1). ويستطرد الباروني في حديثه عن هذا الإمام: " أنه تصدر للتدريس وإلقاء العلوم على اختلاف فنونها قبل أن يبلغ الحلم وكانت عليه أربع حلق ... وقد بلغ في العلوم كلها حتى الرياضية والتنجيم مبلغاً لا يدرك شأوه " (2).

ولما كان الحكام الرستميون بهذا المستوى العلمي، والاهتمام بتطور الحركة الثقافية، فمن الطبيعي أن ينعكس على رعاياهم، ومنهم أهالي جبل نفوسة الذين كانوا على الرغم من ذلك يهتمون أساساً بالجوانب العلمية والثقافية حتى من قبل انضوائهم تحت الدولة الرستمية، واستمر ازدهار الحركة العلمية والثقافية بالجبل حتى بعد سقوط الدولة الرستمية، وعبر الشماخي عن ذلك بقوله: " نفوسة بلغت في العلم والتقى والعدل والورع مبلغاً عظيماً يكاد أن يكون حاكبه كاذباً " (3). وتأكيذاً على أهمية جبل نفوسة بالنسبة للدولة الرستمية أود الإشارة إلى أن: من نتائج إخزام أهالي الجبل في معركة مانو (4) أمام جيش الأغالبة تراجع وإخيار الدولة الرستمية، كما وصف الباروني ذلك قائلاً: " وكانوا [نفوسة]

(1). سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ج 2، ص 187.

(2). المرجع نفسه، ص 194.

(3). المصدر نفسه، ص 267.

(4). معركة مانو: وقعت هذه المعركة بين جبل نفوسة والأغالبة عام (283 هـ / 896 م) في ولاية أفلح بن العباس على الجبل، بالقرب من قصر مانو (مارث) جنوب قابس، عندما أراد إبراهيم بن أحمد الأغلبي الزحف بجيشه لمحاربة ابن طولون فاعترضته نفوسة وقبائل أخرى بجيشها فتمكن الأغالبة من إلحاق الهزيمة بجيش الجبل وقدر عدد القتلى باثني عشر ألف قتيل، أربعة آلاف من نفوسة والباقي من غيرها، ومات في تلك المعركة أربعمئة عالم من أهل الجبل، منهم على سبيل المثال: عمرو بن فتح المساكني، ومعبد الجناوني، وجانا الترغتي، وميال التلجامي، وشيبة الدجي، وماطوس وغيرهم. ينظر: سليمان الباروني، المصدر السابق، ج 2، ص 280 — 284.

حصنها المنيع، وسيفها البتار، ودرعها المتين، ولما ضعفوا [أي بعد مانو] أخذت في التفتنتر [أي الدولة الرستمية] بطمع الأعداء فيها وتسلطهم عليها حتى اضمحل أمرها " (1). وتوارث البيت الرستمي حكم الدولة — التي كان من المفترض أن تكون دولة شورى وانتخاب — إلى أن سقطت في عام (296 هـ / 909 م) على يد العبيدين الفاطميين (2).

ويلاحظ بعد سقوط الدولة الرستمية، لم يدخل العبيديون الغالبون لولاية جبل نفوسة، وبقي خارج دائرة حكمهم بالمغرب، ونتيجة للمقاومة العنيفة التي لاقاها العبيديون من قبل أهالي الجبل اكتفوا منهم بالطاعة الاسمية (3)، وليس هذا فحسب بل ظلت منطقة الجبل بعيدة عن متناول أغلب الدول التي قامت في الغرب الإسلامي طيلة العصور الوسطى إلى مجيء الأتراك العثمانيين، الذين دخل الجبل تحت حكمهم في بداية العصر الحديث (4). إلا أن الجبل تعرض خلال تلك الفترة لعدة غزوات وغارات كان لها الأثر البالغ على تاريخ المنطقة السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

(1) . المرجع نفسه، ص 280.

(2) . الدولة الفاطمية في المغرب: (296 — 362 هـ / 909 — 972 م) قامت على يد عبيد الله المهدي الذي نزل بمدينة رقادة عاصمة الأغالبة في ضاحية القيروان في 29 ربيع الثاني 297 هـ بعد أن فتحها أبو عبد الله الشيعي في العام الفات، فبويع له بالخلافة، وبذلك قامت الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي، ينظر: سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج3، القاهرة: منشأة المعارف بالاسكندرية، 19، ص 57 — 248.

(3) . حسين مؤنس، المرجع السابق، مج2 — ج3، ص 407؛ وإحسان عباس، المرجع السابق، ص 83.

(4) . علي يحيى معمر، الحلقة الثانية، المرجع السابق، ص 145؛ جاك تيري، المرجع السابق، ص 360؛ محمود شاكر، المرجع السابق، ص 121. ولم أقف على أي مصدر حول ما ذكره الدكتور صالح مصطفى مفتاح: من أن إباضية ليبيا (وجبل نفوسة ضمناً منهم) كانوا يتبعون للأغالبة من الناحية السياسية، في كتابه: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، ص 270.

ومن ضمن ما تعرضت له منطقة جبل نفوسة من محن عام (310 هـ / 922 م) حيث يشير ابن عذارى: " أن نفوسة خالفت على عبيد الله وقدموا على أنفسهم أبا بطة، فاجتمع إليه عدد كبير واشتدت شوكته، فأخرج إليهم عبيد الله علي بن سلمان الداعي في جمع كثير" (1).

ومن خلال هذا النص نطرح بعض التساؤلات ونستخلص منه بعض المعطيات، فالتساؤل هو ماذا يعني ابن عذارى بقوله: " خالفت نفوسة على عبيد الله "؟ هل خالفت تعني: ثارت نفوسة على عبيد الله؟ وهذا ما ذهب إليه الاستاذ إحسان عباس (2)، إلا أنني أرى أن مخالفة نفوسة للعبيديين لا تعني الثورة، لأن الذين يثورون عادة ما تكون ثورتهم ضد قوى خارجية مسيطرة، ولا أعتقد — حسب المصادر المتاحة — أن العبديين قد سيطروا على جبل نفوسة سيطرة عسكرية وسياسية بالمعنى الصحيح. فالمخالفة هنا لا تعدو أن تكون إلا صد لخطر داهم ومؤقت، ولذلك قاوم أهالي الجبل العبديين وتمكنوا من إحراز النصر عليهم، إلا أن العبديين عاودوا الكرة مرة أخرى بقيادة: علي بن سليمان الذي رجع في العام الموالي (311 هـ / 923 م) للجبل وتمكن من تحقيق النصر، وهدم أحد الحصون، وقام بأعمال التخريب والفساد، وقتل الرجال وسبى الذرية (3)، ولم يشير ابن عذارى إلى اسم الحصن الذي هدمه العبديون، أو موقعه في الجبل (4)، كما نجد في نص ابن عذارى اسم لشخصية كانت على رأس المقاومة ألا وهي: شخصية أبا

(1) . ابن عذارى ، المصدر السابق، ج 1، ص 187 .

(2) . إحسان عباس، المرجع السابق، ص 82.

(3) . المصدر نفسه ، ص 188 ؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، مج 2 ، ص 407 .

(4) . أشار الدكتور إحسان عباس أن الحصن الذي تم هدمه بالجبل: (مدينة جادو)، ولا أدري ماذا يقصد بجادو، هل المقصود أن الحصن هو المدينة نفسها؟ وهذا لا يتأتى بداهة، أم أنه يعني: الحصن يقع في مدينة جادو، وهذا ما لم أقف عليه في المصادر التاريخية.

بطئة!، وهذه الشخصية لم أقف عليها في المصادر الإباضية، وعلى الأرجح يكون أبو يحيى زكرياء الأرجاني هو المعني وكنيته أبو بطة، لأنه كان والياً على الجبل في ذلك الوقت، وهو أحق من يكون مدافعاً عن الجبل، وهذا ما أشار إليه الشماخي قائلاً: " أغارت كتامة على الجزيرة فخرج إليهم [أبو يحيى الأرجاني] فهزمهم الله، وخرج إليهم مرة أخرى قرب تيركت فهزمهم الله وفيها ضرب ومات "(1). ويفهم من نص الشماخي أن المغيرين على الجبل قبيلة كتامة، وهم القبيلة التي قامت على أكتافها الدولة الفاطمية وكانوا جندها في بلاد المغرب.

ويبدو أن منطقة الجبل لم تتعرض كثيراً للضرر الناجم عن نزوح قبائل بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب الكبير، بالإضافة إلى بقائها بعيدة عن الصراعات بين المطالبين بالعرش الزيري خلال ق: (5ـ/ 11م)، إلا أنها تعرضت في النصف الثاني من ق: (6ـ/ 12م) لغارات من ستمتهم المصادر التاريخية بالمغامرين الذين أدخلوا بلاد الغرب الإسلامي عامة في دوامة من الحروب والقتال منها على سبيل المثال غارات قراقوش الأرمني⁽²⁾ — وهو مولى لصلاح الدين الأيوبي — المدعوم من بني دباب قبيلة من بني سليم فغاروا على جبل نفوسة واستولوا على مغنم ضخمة⁽³⁾. كما تعرضت في نفس الفترة لغارات بني غانية، بقيادة أبي يحيى بن غانية الميورقي الذي قام هو الآخر بأعمال التخريب والفساد في جبل نفوسة⁽⁴⁾.

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 243 .

(2) قراقوش: مولى لصلاح الدين الأيوبي وأصله من أرمينيا.

(3) . التيجاني، المصدر السابق ، ص 113 .

(4) . ابن خلدون ، العبر ، مج 6 ، ص 231 — 232 .

ب) الأهمية الاقتصادية لجبل نفوسة :

تشير كتابات البلدانين والجغرافيين إلى الأهمية الاقتصادية والسياسية لمنطقة الجبل، وتبرز معلومات هامة، فيتبين الموقع الإستراتيجي للجبل المشرف على إحدى الطرق الهامة التي تربط ما بين الشمال الإفريقي على سواحل البحر الأبيض المتوسط وبلاد إفريقيا فيما وراء الصحراء.

ولكي تتضح لنا حياة الجبل الاقتصادية وأهميتها نرجع مرة أخرى ونذكر بالبيئات الجغرافية الثلاث التي تحدثنا عنها سابقاً، وهي: (الجفارة، والجبل، والظهر)، فمن خلال هذا المثلث الجغرافي كانت تدور حياة السكان، وتقوم عليه معيشتهم، ومن هنا يتضح تأثير العامل البيئي/ الجغرافي في تشكيل وتكوين نمط الحياة بمختلف مناحيها، وسنركز هنا على الحياة الاقتصادية — بعد إسلام الأهالي بصورة موجزة — من خلال عناصرها التالية:

أولاً: الزراعة والرعي:

اتجه سكان الجبل للزراعة بفعل توفر شروطها من تربة خصبة، ووفرة مياه (أمطار، عيون)، وهذا ما أشارت إليه المصادر التاريخية: فقد وصف المؤرخ اليعقوبي (ت 248 هـ) المنطقة قائلاً: " أرض نفوسة ... ومنازلهم في جبال طرابلس في ضياع ، وقرى ومزارع وعمارات كثيرة " (1)، فالملاحظ هنا كثرة العمران البشري بالجبل وازدهار الاقتصاد. ويصف الرحالة ابن حوقل (ت 379 هـ / 988 م) جبل نفوسة بأنه: " جبل عالٍ منيف يكون نحو ثلاثة أيام في أقل

(1) . أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي ، كتاب البلدان ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1988 ، ص

من ذلك ، وفيه منبران لمدينتين تسمى إحداهما شروس في وسط الجبل ، وفيها مياه جارئة، وكروم وأعناب طيبة وتين غزير ، وأكثر زروعهم الشعير وإياه يأكلون ... وبالجبيل مدينة ثانية تعرف يجادوا من ناحية نفزاوة " (1).

كما يشير الجغرافي البكري (ت 487 هـ / 1049 م) إلى نفس المعنى قائلاً: " وفي وسط جبل نفوسة النخيل والزيتون الكثير والفواكه " (2). ومن خلال هذه الإشارات بالاضافة إلى المصادر الاباضية، وما تذكره في هذا الصدد نستطيع أن نكون فكرة ولو بسيطة عن الزراعة والرعي بالجبيل، والتي أدركنا من خلالها إشتهار الجبل بغراسة أنواع مختلفة من المغروسات مثل: الكروم والأعناب، والتين، والزيتون، وأشجار النخيل بمختلف أنواعها: الكركابي، والمغراسي، وتقننايت، والشبهاني، ويخزن إنتاجه من العام للعام في قلل كبيرة. وأشجار الفواكه المتنوعة. بالإضافة إلى زراعة الحبوب وأهمها: (القمح والشعير).

ولما توفرت البيئة الجغرافية على مراعي شاسعة سواء في الجفارة أو منطقة الظهر، وحتى في الوديان بين الجبال، والتي تنبت بها النباتات الطبيعية بكثرة، أهتم السكان بتربية الماشية من: أبقار وماعز وأغنام بالإضافة إلى تربية الإبل، ويشير البغطوري إلى أبو عثمان المزاتي — وهو من سكان قرية دجي — الذي كان يمتلك ثروة كبيرة من الأغنام ومن كرمه أنه يذبح لضيوفه أشكال متنوعة من أجناس الغنم (3). وسكان الجبل كما أشرنا سابقاً قسموا فصول السنة إلى شهور يقيموت فيها بيوتهم، وأخرى يرحلون فيها إلى الجفارة وهي أيام الربيع خصوصاً. كما نوه

(1) . ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 94 – 59 .

(2) . البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، (د . ت)، ص 9.

(3) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 121.

الإشارة إلى أن أغلب سكان الجبل أهتموا بتربية الأبقار، ونشير إلى الشيخ أبو ساكن عامر الشماخي الذي أرسله والده في صغره ليرعى بقرهم وجاز عليه أحد المارين فوجده ماسك بجبل البقرة، فقال له لما لا تتركها كبقية الأولاد، فرد عليه عامر الصغير وقتذاك: " خشية أن تغشى زرع الناس"⁽¹⁾.

وتتعدد الأغراض من تربية الحيوانات فمن الغرض الغذائي والإستفادة من لحومها وألبانها، إلى إستخدام البعض منها كمر كوب للسفر والتنقل إلى الأماكن البعيدة، ولنقل بضائعهم التجارية، كما أشتغلوا بتجارة الحيوانات نفسها. ونتيجة لتوفر تلك الغلال والمنتجات الزراعية والحيوانية في الجبل، قام الأهالي ببناء ما يعرف (بالقصور)⁽²⁾، لتخزين ما أنتجته المزارع والحقول من: (زيوت، وتمر، وقمح وشعير)⁽³⁾ وغيرها من الغلال، وكذلك انتاجهم الحيواني. بالإضافة إلى إستعمال تلك المنتجات في أنواع مختلفة من الصناعة.

ثانياً: الصناعة:

كان لصناعات أهالي الجبل علاقة بما يحتاجونه في حياتهم اليومية، بالدرجة الأولى من (مسكن، وملبس، ومأكل)، بالإضافة إلى صناعات أخرى غالباً ما تكون ثانوية، أو يقتنيها البعض فقط. فمن دواعي الإستقرار في أي مكان هو توفير

(1) . الشماخي، المصدر السابق، ص561.

(2) . شاهدتُ خلال زيارتي المتكررة إلى الجبل عدة قصور، بعضها مازال بحالة جيدة، وبعضها الآخر في حالات سيئة، وأخري قد تحولت إلى أكوام من الحجارة، وللقصور استخدامات عسكرية إلى جانب وظيفتها الأولى كمخازن للغلال والتموين. ينظر الصورة رقم (3) .

(3) . سعيد علي حامد، قصور تاريخية منافعتها شتى، مجلة تراث الشعب، العدد 2 ، السنة 1991 ، ص ؛ لمياء سالم شرف الدين، بعض ملامح أزمة أفريقية الاقتصادية ، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999 ، ص 18 .

السكن، ومن هنا أهتم الناس ببناء مساكنهم، الأمر الذي يقتضي صناعة بعض المتطلبات، وهو ما فام به الأهالي مثل: صناعة الجبس، وتحضير الطين والتراب، إلى تصنيع الأبواب من أغصان الأشجار وصنور النخيل. ومن أشهر المهندسين في بناء المنازل الفقيه والشيخ المهندس فرج بن نصر المعروف بنفاث، وفي هذا الصدد يقول أبو زكريا الوارجلاني: " وكان نفاث بناءً عظيماً، فأراد نفاث معاونته سعد في البناء وصار يبني له"⁽¹⁾. ويبدو بالفعل أن نفاث كان ماهراً في الهندسة والبناء لأن البناء هنا يخص أحد ولاة الجبل وهو سعد بن وسيم الطمزي، وبالتالي من الطبيعي أن يكون بيته راقياً، ويحتاج إلى مهندس بارع.

ولما كانت الحاجة ملحة للباس، فمن ضمن ما استخدمه أهالي الجبل في صناعة لباسهم وأعطيتهم الصوف الذي يقيهم برد الشتاء القارس. ويبدو أن هناك عمل جماعي بين النسوة في عملية تحضير الصوف وغزله، فقد أشار البغطوري لذلك في حديثه عن شخصية وهيلي من قرية تندميرة الذي استعانت زوجته بمجموعة من النساء لغزل الصوف⁽²⁾. ولأهمية صناعة وغزل الصوف في بيئة الجبل رخص الشيخ أبو حسان الفرستائي للعجائز والنساء اللاتي يحضرن مجلسه العلمي بأن يشتغلن في الصوف⁽³⁾، ومن ناحية أخرى تشجيعاً لمن لحضور تلك المجالس.

ومن ضرورات الحياة، ودوام نشاط وحيوية الإنسان الإهتمام بغذائه، والغذاء على أنواع منه الطبيعي، والآخر الذي يصنعه الإنسان، وعلى رأس المنتجات الغذائية التي قام بصناعتها سكان الجبل هي عصر الزيتون ليصير زيتاً وهو من أهم عناصر الغذاء، وهذه الصناعة تعد من أقدم الصناعات في الجبل، وهي

(1) . أبو زكريا الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 33.

(2) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 69.

(3) . المصدر نفسه، ورقة 48.

منتشرة بشكل كبير، لدرجة أن كل عائلة تمتلك معصرة⁽¹⁾ خاصة بها. كما استغلوا بعض أنواع الصخور المحلية في صناعة (الرحي) لطحن الحبوب وأهمها الشعير لصناعة الخبز، وكان لجبل نفوسة شهرة في ذلك حتى قال ابن حوقل: "وأكثر زروعهم الشعير وإياه يأكلون، وإذا خبز كان أطيب طعاماً من خبز الخنطة، ولشعيرهم لذة ليس لخبز من أخباز الأرض لأنه ينفرد بلذة"⁽²⁾. ويبدو أن أهالي الجبل لهم دراية بصناعة واعداد الحلويات، التي ربما كانوا يهتمون بإعدادها وتقديمها في الأعياد والمناسبات، ونفهم ذلك من نص أورده البغطوري في سيره قائلاً: " فلما أصبحت من الغد [أول أيام عيد الفطر] قدمت العجوز ... لعيالها طبقاً من الحلاوة"⁽³⁾. كما عرفوا صناعة العسل ويقول المؤرخ البغطوري في ذلك: " وقد كان أعطى قبل ذلك لأبي مرداس بطة عسل"⁽⁴⁾. ومن الصناعات الغذائية التي أهتم بها كثيراً سكان الجبل هي تحضير (البييسة)⁽⁵⁾.

(1). وذلك لكثرة أشجار الزيتون بجبل نفوسة.

(2). ابن حوقل، المصدر السابق، ص 92 .

(3). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 34.

(4). المصدر نفسه، ورقة 45. وللأسف لم أعثر على معلومات تفصيلية عن طريقة تربيتهم للنحل وغيرها من المعلومات التي تخص هذا الموضوع، ولربما قال قائل: أن العسل المذكور في نص (البغطوري) كان مستورداً من خارج الجبل، وهذا احتمال قائم، إلا أن ظروف وشروط تربية النحل ومن ثم صناعة العسل متوفرة في بيئة جبل نفوسة، وبذلك لا أستبعد معرفتهم لهذه الصناعة.

(5). الشماخي، المصدر السابق، ص 173. مازال إلى يومنا الحاضر يهتم أهالي الجبل بتحضير (البييسة)، وهي تتكون من عدة بقوليات منها: القمح والشعير، والحمص، والبقول المجروش، والعدس، والكمون الحلو، والسوسم، والينسون، والحلبة، واللوز والبندق، والكركم، كما يضاف إليها بعض الأعشاب مثل: الإكليل والزعتر، وطريقة تحضيرها هي بعدما تحمس كل تلك البقوليات على النار، يقومون بطحنها وتصير مسحوقاً مثل الدقيق، ثم يخلطونها مع بعضها البعض بإضافة زيت الزيتون، والتمر أو التين المجفف، وتقدم عادة مع فطور الصباح، كما يجهزونها في الأفران والمناسبات. ونلاحظ مدى فائدتها الصحية من خلال مكوناتها الغذائية.

وبالإضافة لذلك وعلى مزروعاتهم وثروتهم الحيوانية، قاموا بأنشطة صناعية مختلفة: فاستغلوا أشجار النخيل وصنعوا من سعفها المرواح والتفاف وأوعية الحمل والحفظ، وأدخلوا جذوع النخل في سقف المباني من مساجد ومنازل، وغيرها واتخذوها جسوراً للعبور في أماكن أخرى. ومن الصناعات الواسعة الانتشار صناعة النخار لتجهيز الأواني والقلور، والأوعية لحفظ أنواع معينة من الطعام والتموين كالتمر والتين. ومن أغصان الزيتون الصلبة صنعوا المحارث، وأدخلوا حطبه في صناعة الفحم. كما عرفوا دبغ الجلود، واستعملوه في صناعة الكتب. ونتيجة لذلك الإنتاج الزراعي وتوفر الثروة الحيوانية، وما أنتجه عقل ويد ساكن الجبل، قام تجارهم بتبادل تلك السلع والمنتجات مع المناطق الأخرى.

ثالثاً: التجارة:

يقع الجبل في منطقة جغرافية مميزة، جعلته يتوسط المراكز الحضارية الساحلية على البحر المتوسط وبين المراكز الحضارية فيما وراء الصحراء الكبرى وما يقع بينهما من مدن وقري وواحات هامة، فمن تلك البلدان والأقاليم المجاورة له شرقاً برقة ومصر. ومدن بلاد الغرب الإسلامي غرباً مثل: جزيرة جربة، والقيروان، وتاهرت، وسجلماسة غرباً، وإلى شماله تقريباً مدينة طرابلس وصريرة: وفي جنوبه مدينة غدامس، وزويلة، وفزان، بالإضافة إلى بلاد السودان الغربي، والأوسط. الأمر الذي مكن سكان الجبل الإشتغال بالتجارة مع تلك البلدان، والحواضر، بالإضافة إلى التبادل الفكري، كما توضح إشارات الجغرافيين معلومات، تفيد ما توفرت عليه منطقة الجبل من مقومات اقتصادية اعتمد عليها أهالي المنطقة في التجارة الداخلية والخارجية.

فتاجروا بكل ما ينتجونه مع المناطق القريبة، ومنها درج⁽¹⁾ التي تاجروا معها بزيت الزيتون وكانوا يخرجون إليها في قوافل ويبيعون ما لديهم من الزيت ويربجون من جراء ذلك الربح الكثير⁽²⁾. أما تجارتهم مع المناطق البعيدة فهم في الغالب وسطاء ما بين مناطق الشمال الإفريقي، وبضائع ما وراء البحر وبين مناطق ما وراء الصحراء (السودان الغربي والأوسط)، وهذا ما سيتضح بصورة أكثر تفصيلاً في الفصل الرابع من هذا البحث، إلا أن أهم الواردات من تلك المناطق: الرقيق والذهب.

وتبرز من خلال النصوص السابقة أهمية بعض المدن مثل: شروس وجادو حيث كانتا تشكلمان مركزين حضاريين بالنسبة للجبل، ولا يعني هذا عدم وجود مدن أخرى بالجبل بل برزت مدن وقرى وأسهمت بأدوار اقتصادية وثقافية في الجبل خلال العصور الوسطى منها على سبيل المثال لا الحصر: مدينة نالوت، ومدينة كباو، ومدينة يفرن، وطمزين، وقرية إيجناون وويغو، وتندميرة، وغيرهما من المدن والقرى التي ذكرتها بالتفصيل أنفاً، والتي احتوت على تجمعات سكانية هائلة أقبلت على الدين الجديد عقيدة ومنهاجاً، وعנית بتعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، ومن هناك صار التوجه نحو العلم والتعليم فأخذت الحياة العلمية في جبل نفوسة بالنشؤ والتطور.

(1). درج: مدينة لبية تقع جنوب جبل نفوسة وشمال مدينة غدامس.

(2). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 60.

الفصل الثاني

(الحياة العلمية في جبل نفوسة)

1. المؤسسات التعليمية وطرق التدريس.
(المساجد — المدارس — المكتبات).
2. التعلم في البيوت والتعليم المتنقل.
3. الحلقات والمجالس العلمية.
4. المراحل التعليمية ومناهجها الدراسية.
5. الرحلات العلمية (الدراسة خارج الجبل).
6. الرحلات العلمية للجبل (طلاب وافدون للجبل).
7. الإجازات العلمية.

1 .المؤسسات التعليمية وطرق التدريس:

حينما استقرت الأوضاع السياسية والعسكرية ببلاد المغرب الكبير عامة، وجبل نفوسة خاصة بعد الفتح الإسلامي ق: (1هـ/7م)، ودخول الأهالي في الدين الإسلامي شهدت المنطقة تغييرات شاملة لمختلف نواحي الحياة فيها، لاسيما التغييرات التي شهدتها الحياة الفكرية⁽¹⁾، بحيث توجه اهتمام الأهالي للعلوم والفنون، وخاصة الدراسات العربية والإسلامية⁽²⁾، وكان لهم دور كبير في هذه المجالات، ولم يقل مجهودهم العلمي عن مجهودات باقي المراكز الحضارية في العالم الإسلامي، محاولين تفهم الدين الجديد بصورة واضحة، بحيث أثارهم تعاليم الإسلام في حب العلم والتعلم، فقد تعددت الآيات القرآنية الدالة على تلك المعاني، ومنها على سبيل المثال: قوله عز وجل: في أول سورة نزلت على سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾⁽³⁾. وقال سبحانه وتعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات، والله بما تعملون خبير﴾⁽⁴⁾. وقوله عز وجل: ﴿رب زدني علماً﴾⁽⁵⁾. وقال جل ذكره: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾⁽⁶⁾.

(1). في الحقيقة لم اتطرق في هذه الدراسة إلى الحياة العلمية والفكرية عند سكان جبل نفوسة، وبلاد المغرب عموماً في الفترة قبل الإسلام، الأمر الذي يوضح الكثير من المسائل في هذه المواضيع الفكرية: وربما في دراسات لاحقة يتسنى لنا ذلك إن شاء الله تعالى.

(2). أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، طرابلس: منشورات الجامعة الليبية، 1971، ص 129.

(3). سورة: العلق، الآية 1 .

(4). سورة: المجادلة، الآية: 11.

(5). سورة: طه، الآية: 114.

(6). سورة: فاطر، الآية 28 .

كما أوردت السنة النبوية الشريفة، عدة أحاديث في هذا الصدد منها قوله
صلي الله عليه وسلم: ﴿إني بعثت معلماً ولم أبعث تاجراً، فتعلموا العلم لوجه
الله وعلّموا الناس لوجه الله تكونوا ورثة أنبياء الله﴾⁽¹⁾، وقال أيضاً صلي الله
عليه وسلم: ﴿من يرد به الله خيراً يفهمه وإنما العلم بالتعلم﴾⁽²⁾. وقوله صلي
الله عليه وسلم: ﴿خيركم من تعلم القرآن وعلمه﴾⁽³⁾، ولكي يرسخ الرسول
الكريم صلي الله عليه وسلم حب العلم لدي المسلمين، والسعي لتعليمه للآخرين
قال: ﴿مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً
فكان منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها اجادب
أمسكت الماء فنفخ الله بها الناس فشرّبوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة
أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله
ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدَى
الله الذي أرسلت به﴾⁽⁴⁾.

كما يرجع الفضل إلى جهود العرب المشاركة في تشكيل النواة الأولى
للحياة العلمية والثقافية ببلاد الغرب الإسلامي فقد دخل إلى إفريقية عدد كبير
من صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم، نذكر منهم على سبيل المثال: عبد الله
بن عمر ابن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحمزة بن عمرو الأسلمي،
وسلمة بن الأكوع، وبلال بن الحارث المزني، وكعب ابن عمرو، وعبد الله بن

(1) حديث شريف.

(2) . أبو عبد الله محمد البخاري، صحيح البخاري، ج 1، دار إحياء الكتب العربية، (د. ت.)، ص 27.

(3) . أبي عيسى محمد الترمذي، الجامع الكبير، ج 5، ط 2، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب
الإسلامي. 1998، ص 30.

(4) . أبو عبد الله البخاري، المصدر السابق، ج 1، ص 30.

العباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق⁽¹⁾. كما لحق بهم في فترات لاحقة عدد آخر من التابعين⁽²⁾، إلا أن المصادر التاريخية لم توضح بالتفصيل ما قاموا به من مجهودات علمية، ولكن لا شك في أن مثل هؤلاء الرجال لا بد أن يتركوا أثراً علمياً بين أهالي إفريقية، كما ينبغي الإشارة إلى جهود البعثة العلمية والمتكونة من عشرة أشخاص وهم: (موهب بن حي المعافري، وحبان بن أبي جبلة، وإسماعيل بن عبيد الله الأعمور القرشي، وإسماعيل بن عبيد، وطلق بن حبان، وبكر بن سوادة الجذامي، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي، وأبو عبد الرحمن الحبلي، وسعيد بن مسعود التجيبي)، أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية (100 — 101 هـ)⁽³⁾، لترسيخ الدين الإسلامي، ونشر العلوم الدينية واللغوية بين الأمازيغ.

ولا ندري ما هو نصيب جبل نفوسة من تلك الجهود الدعوية والعلمية وما هي الأسماء والشخصيات التي استقرت هناك لإرشاد الأهالي وتعليمهم، إلا أن الوسائل كانت — فيما بعد — متنوعة ومتعددة أمام طلاب العلم، فمنهم من شد الرحال خارج الجبل لطلب العلم في الحواضر الإسلامية المختلفة شرقاً وغرباً، ومن أعددته ظروفه المعيشية والمادية كان يكفيه العلماء المستقرون بالجبل في مختلف القرى والمدن الذين يقومون بالتدريس في المساجد والكتاتيب وفي فترات لاحقة أسست المدارس وانتشرت على طول الجبل للقيام بمهام التعليم، كما تعدد الحلقات العلمية

(1) . أبو العرب محمد القرواني، طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1968، ص 73 — 78 .

(2) . المصدر نفسه، ص 79 — 83 .

(3) . أبو بكر عبد الله المالكي، رياض النفوس، ج 1، ط 2، تحقيق: بشر البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994، ص .

من وسائط التعلم والتعليم، حيث كان لبعض المشائخ حلقاتهم العلمية والتي تعقد في مختلف الأماكن في المساجد أو منازل العلماء أو حتى في الساحات، كما لاحظت بعض الحنقات يتجول بما شيخها بصحبة طلابه في مختلف مدن وقرى الجبل، بالإضافة إلى المجالس العلمية فهي الأخرى فرصة من الفرص المتاحة لطلاب العلم والمعرفة.

وأمام كل هذا المناخ العلمي الذي يشجع الطلاب على الحوار والمناقشة والسؤال، وقول آرائهم دون تردد، ويروي البغطوري محاورة بين الطالب أبي الربيع بن أبي هارون الملوثائي وشيخه أبي زكريا يحيى بن أبي سفيان، الذي أخذ يفتي بالرخص في إحدي مجالسه العلمية، الأمر الذي لم يروق لأبي الربيع فقام من المجلس بعد أن أعطاه شيخه الإذن بالقيام، ثم طلب الشيخ من الطلاب أن يردوه لتمييزه وقوة فهمه، إلا أنه ما لبث أن رجع لوحده⁽¹⁾. كما يشجع العلماء طلابهم على طرح الأسئلة ويقولون في ذلك: "السؤال نصف العلم، وقيل العلم كله، معنى ذلك أن السؤال سبب العلم ومفتاحه"⁽²⁾. ويبدو أن بعض العلماء والمشائخ بالجبل قسموا شهور السنة كما يشير لذلك المؤرخ البغطوري قائلاً: "إن الماضين يحرثون شهرين، ويحصدون شهرين، ويتفرغون لطاعة الله ثمانية أشهر، وقالوا أيضاً: لولا تلك الأربعة ما تصح هذه الثمانية، فصار ذلك كله عبادة"⁽³⁾، ونفهم من هذا النص أن التفرغ لطاعة الله تعني العبادة وطلب العلم في نفس الوقت، وهذا التقسيم من شأنه ينظم حياتهم العلمية والعملية، وهو كذلك من تقديرهم لأهمية الوقت

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 17،، ورقة 10.

(2). أبو العباس أحمد الفرستاني، الألواح، مخطوط، ورقة 46.

(3). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 6.

الذي لم يضيعوه هدراً حتى في وقت أسفارهم وترحالهم كانوا يتناقشون في المسائل الدينية والعلمية، ويشير البغطوري إلى جماعة من جبل نفوسة كانوا مسافرين وفي طريقهم كانوا يتذكرون مسائل التوحيد والفقہ⁽¹⁾. والأهم من كل هذا وذاك أنهم وظفوا كل علمهم وثقافتهم في إصلاح المجتمع، والوصول به إلى بر الأمان، مهما كلفهم الأمر ولا يخشون في ذلك لومة لائم، وكان بعضهم: " يتتبع الأمراء ويشدد عليهم في أمور الإسلام"⁽²⁾، وفي نفس الوقت كان هناك العديد من الأمراء يستمعون إلى آراء العلماء، ويتقبلون نقدهم ومنهم: " أبو زكريا بن أبي عبد الله حين تولى الأمور، فقال له أبو محمد الدرني: إذا نزلت عليك مسألة فعليك بأبي يحيى الفرسطائي، وأبي محمد الكباوي، فكل ما أتفقا عليه فأحكم به وما اختلفا فيه فاتركه، فكان يمشي إليهما"⁽³⁾.

و لم يكن طلب العلم مقصوراً على الرجال فحسب بل أسهمت النساء أيضاً بنصيب وافر في إنعاش الحياة العلمية ، وبلغت مراتب عالية إلى درجة الاجتهاد، وتزخر المصادر التاريخية بالعديد من الشواهد الدالة على نشاط النساء العلمي والثقافي ومنها: تلاقي إمرأتين بشكل دائم واحدة من (توغرت) ، والأخرى من (إكراين)⁽⁴⁾ في إحدى المصليات وتثار بينهما المسائل والقضايا

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 33.

(2). المصدر نفسه، 41.

(3). المصدر نفسه، ورقة 65.

(4). إكراين: هو في الواقع اليوم وادي ينحدر من جبل كباو ويتجه ناحية الشمال صوب الجفارة وبه عدة قرى قديمة قمت بزيارتها عام 2004 وهي: إيمزولن، تصرارت، وآت بارون، ولاحظت وجود آثار لأبنية مطمورة تحت الأرض تحتاج إلى دراسات أثرية وتاريخية.

العلمية ويتذاكرونها ثم ترجع كل منهما إلى منزلها⁽¹⁾. ويبدو أن الرجال في مجتمع جبل نفوسة أدركوا قيمة المرأة وأهميتها فكانت محل استشاراتهم في مختلف الأحوال والمسائل، وهذا الشيخ أبو هارون الملوشاني كان دائم الزيارة لعجوز في قرية إينانين، وعلى ما يبدو أنه كان يستشيرها في قضايا علمية وفقهية⁽²⁾.

كما يذكر أبو العباس الفرستائي رواية تشير لنفس المعنى السابق، وهي أن: "عجوز جبل نفوسة أتت إليها العزابة ليزورها فقالوا: أوصنا يا عجوز، فقالت: وكيف أوصيكم وأنتم الرجال، منكم الرسل والأنبياء، ومنكم الأمراء والوزراء، ومنكم المؤذنون والأئمة، قالوا: ولا بد فإن الذكرى تنفع المؤمنين، فقالت: إياكم وكثرة الكلام لئلا تكذبوا، وإياكم وكثرة الأيمان لئلا تحتثوا، وإياكم وكثرة الدلالة لئلا تسرفوا، وإياكم والتهمة لئلا تظلموا، قالوا: زيدنا، قالت: زيادتكم طلب حوائجكم، ومصافحتكم مقارعة وأكلكم أكل النهما ومشيتكم مشي المرضى، ونومكم نوم الموتى، ... ثم ذكرت كلاماً بالبربرية يرجع معناه إلى قول بعض الحكماء: نق العمل فإن النافذ يسير، جدد السفينة فإن البحر عميق، كثر الزاد فإن السفر بعيد، خفف الحمل فإن العقبة كؤود"⁽³⁾.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل حتى الإماء والخدم كانت لهم اهتمامات بالعلم والمذاكرة خلال فترات زمنية لاحقة⁽⁴⁾. وكان بعض المشائخ يعطي وقته لتعليم بعض الخدم ويروي أن أبو محمد التغرميني: "لقي يوماً آمة فقال: ما أحسن هذه الآمة لو أنها تعرف توحيدها، فقالت الآمة: علمني يا شيخ، فوقف

(1) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 19.

(2) . المصدر نفسه، ورقة 20.

(3) . أبو العباس الفرستائي، المصدر السابق، ورقة 99 – 100.

(4) . الوسياني، المصدر السابق، ورقة 13.

يعلمها توحيدها" (1) وليس هذا فحسب بل سمح العلماء لأبناء الأقليات الدينية الأخرى من الدخول في مدارس المسلمين حيث يفيدنا أبو عمران الشماخي في هذا المعنى بقوله: " وأنه لا بأس بترك اليهودي يدخل أولاده عند معلم أهل القبلة ليتعلموا الخط " (2).

وهذا يدل على رقي الحضارة الإسلامية التي تتعايش فيها كافة الأقليات الدينية والعرقية وغيرها. وهذا الاهتمام بطلب العلم لم يأت من فراغ وإنما جاء نتيجة أن المنطقة كان يسودها الاستقرار السياسي والاقتصادي من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت على قدر من العمران البشري كما يشير ابن خلدون: " في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة" (3). وتأسست مجموعة من المساجد والمدارس في منطقة الجبل فكان لها إسهام بارز في احتضان طلبة العلم على فترات متتالية.

أولاً (المساجد (4) :

إهتم أهالي الجبل ببناء وتشيد المساجد، في مختلف مدنها وقراها، وذلك لما يمثله المسجد من أهمية دينية للمجتمع الإسلامي، فهو المكان المخصص للعبادة من صلاة وذكر لله ودعاء، بالإضافة لذلك اتخذت أماكن للتعليم والتدريس

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 169.

(2). أبو عمران موسى بن عامر الشماخي، لفظ أبو عمران، طبعة حجرية، ص 119 .

(3). ابن خلدون، المقدمة، ص 402 .

(4). تنتشر المساجد الأثرية على طول الجبل في مختلف القرى والمدن، واتخذت أغلبها أماكن للدراسة والتعلم في القرون الوسطى، حيث تخرج منها فحول العلماء الذين أثروا الحياة الفكرية في جبل نفوسة، وتلك المساجد في حاجة ماسة إلى الصيانة والترميم من قبل مصلحة الآثار، وحميتها من الاندثار والضياع، كما هي في حاجة إلى الدراسات الأثرية والتاريخية، لأنها تمثل ثروة وطنية في غاية الأهمية. وقد زرت أغلب المساجد القديمة في الجبل ووقفت عليها، وهي تفوق الستين مسجداً أثرياً. انظر الملحق ص 290.

فإن مسجد يعد المكان الأول لذلك الغرض وتكاد لا تخلو مدينة أو قرية في الجبل من وجود مسجد أو أكثر، وأغلبها تم تأسيسه في وقت مبكر بعد الفتح الإسلامي لجبل نفوسة. وكان علماء الجبل يرون أن للمساجد حقوقاً على الناس وهي: " الصلاة فيه، والآذان، وأخذ المعلم"⁽¹⁾.

و بنهاية كتاب السير للشماخي (ت 929هـ / 1522م)، ملحق بعنوان "تسمية مشاهد الجبل"⁽²⁾، ورد فيه أسماء للأماكن الدينية في جبل نفوسة، وقد أحصى الباحث المساجد المذكورة فوجد ما اثنين وعشرين مسجداً، إلا أنها في الواقع تفوق هذا العدد بكثير فالمساجد التي زرقتها أكثر من ستين مسجداً أثرياً⁽³⁾.

نلاحظ أن المساجد اتخذت مجالس للعلم والدراسة، وكانت النساء تحضر تلك المجالس العلمية في أماكن خاصة بمن في المسجد يفصلهن عن الرجال ستار⁽⁴⁾ وهذا يدل على انتشار العلم في المنطقة، واهتمام كافة الشرائح الاجتماعية بطلب العلم. وينبغي الإشارة إلى أن أول مسجد أذن فيه المؤذن بجبل نفوسة كان في موضع يسمى أجلمم⁽⁵⁾ بقرية ويغو⁽⁶⁾.

(1) . أبو عمران موسى بن عامر، المصدر السابق، ص 42، هكذا وجدنا في الأصل: " وأخذ المعلم" ولعل صوابها: (أخذ العلم).

(2). الشماخي، المصدر السابق، ص 598 – 600.

(3). انظر: الملاحق ص: 290 أسماء لبعض مساجد جبل نفوسة التي زرقتها خلال الرحلات العلمية.

(4). الشماخي، المصدر السابق، ص 636. لاحظت هذا الستار الفاصل في أغلب مساجد مدن وقرى الجبل. وهو في الغالب مبني بالحجارة وطوله من المتر ونصف إلى المترين تقريباً.

(5). الوسياني، المصدر السابق. ورقة 13.

(6). ويغو: تقع فيما بين قرية بقالة بالحراة شرقاً ووادي شروس غرباً وقرية مرقس بالحراة شمالاً ومنطقة الظاهر جنوباً، و يبدو أن ويغو كانت تشغل مساحة كبيرة وهذا يتضح من خلال آثار البناء الذي ما زال قائماً ويحتاج =

كانت هناك العديد من المساجد التي أدت دوراً كبيراً في الحياة العلمية في الجبل وارتادها الطلاب، ويمكن أن نتساءل عن أبرز تلك المساجد؟ وكيف كانت طرق التدريس والتعليم المتبعة فيها؟ وإلى أي حد نجحت في ذلك؟ ولعل من أبرزها:

1 (مسجد أبي خليل صال الدركلي ق: (2هـ/8م).

عاش أبي خليل صال الدركلي خلال ق: (2هـ / 8م)، وينتسب إلى قرية دركل⁽¹⁾، وبعدهما أنمي أبو خليل تعليمه على مشائخه قام بتأسيس مسجد بقريته، قصده العديد من طلاب العلم الذين تعلموا على يديه، ومن تلاميذه الذين التحقوا بهذا المسجد: أبان بن وسيم الويغوي، وأبو صالح الدركلي.

وهو عبارة عن بناء تحت الأرض (غار) أسفل ربوة دركل⁽²⁾، طوله من الغرب إلى الشرق حوالي 10 أمتار، وعرضه حوالي 6.5 متر، وبابه يفتح جهة الجنوب الغربي، وهناك باب آخر في نفس الإتجاه غير أنه مسدود، والمسجد متسع وينقسم إلى بيتين، وتوجد به ثلاث أعمدة كبيرة وقوسان، وتوجد على سقفه في البيت الثاني كتابة وهي: (بسم الله الرحمن الرحيم [...]⁽³⁾ على محمد عمل له

= إلى صيانة وترميم من قبل مصلحة الآثار، كما هي في حاجة لدراسات تاريخية وأثرية. قمت بزيارتها عام 2004، ينظر الصورة رقم (4).

(1) . دركل: قرية من قري الجبل القديمة، تقع فوق ربوة عالية وكبيرة وآثار مساكنها متناثرة حول الربوة وفي أعلاها يوجد القصر، ويحدها من الشرق والغرب وادي أم صفار ومن الشمال امتداد مجري وادي شروس، ومن الجنوب وادي يفصل دركل عن جبل قرية الجزيرة، زرتها عام 2004، ينظر الصورة (5) .

(2) . بنيت نسبة هذا المسجد للشيخ أبي خليل الدركلي على إعتبار قدم المسجد الذي يعود إلى فترة كانت المساجد عبارة عن غيران تحت الأرض بعد أن يتم تسويتها من الداخل وإقامة الأقواس فيها وبناء الخراب وغيره، وهو الأمر الذي يتوافق وكيفية بناء المساجد في زمن الشيخ أبو خليل ق: (2هـ/8م). زرت هذا المسجد عام 2004، ينظر الصورة رقم (6).

(3) . كلمة غير واضحة .

هدية المسجد في سنة خمس مائة وخمس وثلاثين [...] (1) الله من عمل يوم
الثلاثاء) . ونستخلص من هذا التاريخ أنه يرجع إلى النصف الأول من ق:
(6هـ / 12م)، وهو ربما يكون تاريخ صيانة وترميم وبذلك يكون تاريخ البناء
أقدم. وعلى ظهر المسجد توجد بقايا آثار وهي أساسات لبناء ربما تكون مدرسة
تعليمية أو مسكن أحد المشايخ.

2) مسجد أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني (2):

بعد أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني — وينتسب إلى قرية إيجناون — من
علماء ق: (3هـ / 9م)، وكان مسجده متسعاً حتى ورد أنه: " اجتمع به سبعون
عالمًا من كبار علماء إيجناون في وقت واحد " (3).

وهذا النص يفيد الأهمية العلمية للمسجد، بالإضافة إلى ظهور هذا العدد
الكبير من العلماء في قرية واحدة الأمر الذي يفسر ما أورده الشماخي بأن هذه
القرية لا تحتاج الدار فيها إلى فتوى دار أخرى (4)، وكأنه يقول: إن لكل عائلة
عالمًا قادرًا على الإفتاء في المسائل العلمية والدينية. ونفهم من هذا النص أيضاً أن
تواجد هذا العدد الكبير من العلماء يدل دلالة واضحة على ازدهار الحركة العلمية

(1) . كلمة غير واضحة، ربما تكون (هجرية) حسب السياق اللغوي للعبارة.

(2) . يعد هذا المسجد من أقدم مساجد الجبل وللأسف تم هدمه وبنى على أنقاضه مسجد جديد من قبل الأهالي
عام 1971 ف، ولم يبق من المسجد القديم سوى جدار مازال تحت البناء الجديد في قرية إيجناون على بعد 5 كلم
من مدينة جادو، ومساحة المسجد القديم حوالي 80 متر مربع على حسب ما رواه لي أحد مواطني القرية، وكان
يقال له مسجد جامع، زرته سنة 2004، ينظر الصورة رقم (7) .

(3) . الشماخي، المصدر السابق، ص 545 .

(4) . نفس المصدر والصفحة .

في الجبل ، والمصادر لا تعطينا معلومات كافية عن كيفية التدريس بهذا المسجد ،
ومن هم العلماء الذين درّسوا به ! .

3 (مسجد سعد بن أبي يونس الطمزي(1)):

أسسه الشيخ سعد بن أبي يونس في مدينة طمزين⁽²⁾ خلال ق: (3هـ /
9م)، وذلك بعدما أنمي تعليمه على يد الإمام عبد الوهاب الرستمي بتاهرت،
وتوجه طلاب العلم إلى هذا المسجد الذي امتد نشاطه التعليمي إلى نهاية ق (8هـ
/ 12م)⁽³⁾. ويقع هذا المسجد في منطقة أبي خروبة بطمزين وهو متسع إلى حد
ما، فطوله حوالي 9 أمتار وعرضه 8 أمتار ونصف، بابه من الناحية الشرقية، وفوق
سطحه مئذنة صغيرة ، مازال بحالة جيدة لاهتمام الأهالي بصيانتته.

4 (مسجد أبي معروف(4)):

يعد هذا المسجد من أقدم المساجد بجبل نفوسة ويرجع بناؤه إلى القرن
(3هـ / 9م)، وهو يقع في مدينة شروس حاضرة الجبل وقتذاك، وأسهم بشكل
كبير في تجذير الحياة العلمية وخاصة الدراسات الإسلامية واللغوية ، ومن العلماء

-
- (1) . مسجد الشيخ أبي عثمان سعد بن أبي يونس : زرته عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (8) .
 - (2) . طمزين : مدينة من مدن جبل نفوسة ، وتقع على حافة جبل عرف باسمها ، وتأسست في أواخر القرن الثامن
المجري تقريبا، وذلك لوجود تاريخ مكتوب (775هـ) على صخرة بجانب قصر طمزين ، وقبل تأسيسها
كان الأهالي يسكنون الجنوب منها في ما يعرف (تحارت) ومازالت بقايا آثارهم دالة على ذلك مثل: بقايا القصر،
ومسجد صغير يعرف بمسجد تحارت وهو بناء قديم تحت الأرض (غار)، كما تتناثر مجموعة غيران في المنطقة كانت
تتخذ مساكن، زرتما في عام 2004، ينظر الصورة رقم (9) .
 - (3) . الهادي الدالي، مملكة مالي الإسلامية، ط 2، الزاوية: مطابع الوحدة العربية، 1999، ص 168.
 - (4) زرت هذا المعلم التاريخي سنة 2004 ف، ينظر الصورة رقم (10) .

الذين درّسوا به الشيخ أبو معروف ويدران بن جواد (كان حيا بعد سنة 283هـ / 896 م)، وما زال المسجد يحمل اسمه إلى اليوم والعلماء الذين تعلموا وتخرجوا من هذا المسجد كثر، من أبرزهم على سبيل المثال: الشيخ أبو مسور يسجا اليراسني، الذي قدم من خارج الجبل، (ت 350هـ / 96 م)⁽¹⁾.

ونلاحظ تضارب المصادر التاريخية حول وجود الجوامع في مدينة شروس من عدمها ففي حين يصف ابن حوقل ق: (04هـ / 10م) مدينة شروس، بأنها: " يوجد بها منبر وأما تقع وسط جبل نفوسة"⁽²⁾، نجد البكري ق: (5هـ / 11م) يقول: عن مدينة شروس: " ليس بها جامع ولا ما في حولها من القرى وهي أزيد من ثلاثمائة قرية أهلة"⁽³⁾. ويتضح وجود الجوامع من خلال السبق الزمني لابن حوقل عن البكري، كما إنني لا أستبعد وجود الجوامع في مدينة شروس أو غيرها من مدن وقرى جبل نفوسة في ذلك الوقت المتأخر عن زمن البكري، والإسلام دخل إلى الجبل منذ أكثر من أربعة قرون فكيف يستقيم عدم وجود الجوامع إلى ذلك الزمان. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى هناك قائمة مساجد مذكورة في ملحق سير الشماخي⁽⁴⁾، وهي تقريباً اثنان وعشرون مسجداً. كما نجد كل من صاحب الاستبصار⁽⁵⁾، ق: (6هـ / 12م)، ياقوت الحموي⁽⁶⁾، ق: (7هـ /

(1) .الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 157.

(2) . ابن حوقل، المصدر السابق، ص 92 .

(3) . البكري، المسالك والممالك، ج 2، ص 656 .

(4) قد يتبادر للذهن لأول وهلة أن عصر مؤلف: (الملحق بسير الشماخي) وهو: أبو زكريا إبراهيم الباروني متأخر عن البكري، هذا صحيح من الناحية الزمنية، ولكن المساجد المذكورة بالملحق ترجع أسماء مؤسسيها إلى فترات سابقة لعصر البكري.

(5) . مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 144.

(6) . الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 297.

13م)، ينكرون وجود الجوامع بشروس ويبدو أنهما نقلًا عن البكري، ولم يتقوما
بزيارة الجبل (1)!

وما زال هذا المسجد / الجامع قائماً وبحالة جيدة، وهو متسع وكبير، طوله
حوالي 15 متر وعرضه 15 متر، وله بابان شرقي وغربي، وهو حالياً المبنى الوحيد
القائم في شروس وبقية المباني خرائب وأطلال دارسة، وبجانبه بقايا قصر فوق ربوة
عالية، وذكر لي بعض أهالي الجبل أن جدران المسجد وأركانه كانت مقسمة على
القرى والقبائل المجاورة لشروس، وكل منها مسؤولة عن صيانة المسجد والاهتمام
به، وهو السبب الذي منع المسجد من الخراب وحافظ على بقائه طوال العصور،
كما توجد كتابة على أحد سقوف المسجد تدل على أن المسجد قد قام بإصلاحه
وصيأته: محمد بن فرج الوزاني أو الوزاني، يوم الخميس أوائل شهر ذي الحجة عام
1275 هـ (2)، كما كانت توجد فوق الباب الغربي من الخارج كتابة عربية
بالخط الكوفي إلا أنها سقطت، كما توجد فوق المسجد مئذنة صغيرة من الناحية
الجنوبية، والمسجد يحتاج إلى صيانة وترميم واهتمام.

(1) . من خلال زيارتي للجبل شاهدت عدة مساجد وجوامع قديمة بعضها مبني تحت الأرض وأقدم تاريخ مكتوب
شاهدته هو 535 هـ بمسجد نسبه: لأبو خليل الدركلي، وربما يكون هذا التاريخ للصيانة والترميم، وتاريخ البناء
أقدم منه، على أساس أن أبو خليل عاش قبل هذا التاريخ بوقت طويل، راجع ص 75 - 76.
(2) 1275 هـ / 1858م، ربما في هذه السنة كانت آخر صيانة لمسجد شروس.

5 (مسجد أبي منصور إلياس⁽¹⁾):

أسس أبو منصور مسجده في قرية تدميرة⁽²⁾، خلال ق: (3هـ / 9م)، وأسهم بدوره في ازدهار الحركة العلمية والثقافية بجبل نفوسة. وتم إنشاؤه قبل أن تنتقل القرية إلى حافة الجبل، ويعد من المساجد الكبيرة في الجبل فطوله حوالي (18.5 متر أما عرضه 16 متر)، ويتألف من خمسة بيوت، والمسجد له بابان شرقي وشمالي، وتوجد به عشرة أعمدة.

كما توجد به (لوحة حجرية، حمراء اللون، مربعة الشكل، وصغيرة الحجم، مقاسها: 15 سم X 15 سم تقريباً) مثبتة على أحد الجدران على يسار المحراب عليها كتابة واضحة وهي: (بسم الله الرحمن الرحيم صلي الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً [...]⁽³⁾ المسجد في شهر الله المبارك محرم عام خمس وسبعين سنة بعد ثمن مائة في القرن التاسع، وكتب سعيد ابن مصباح ابن إبراهيم رحمه الله رحمه الله).

(1) . مسجد أبو منصور إلياس: زرته عام 2004، ينظر الصورة رقم (11). وأخبرني شاهد عيان أحد أهالي القرية (الحاج محمد صالح التدميري) أن آخر صيانة تمت للمسجد كانت في سنة 1946 ف، قام بها أهالي قرية تدميرة.
(2) . تدميرة: من قرى جبل نفوسة القديمة، وتقع فوق قمة جبل يطل على وادي تدميرة وهو أحد فروع وادي شروس، ومساكن القرية تتجه ناحية الشرق، وأما كانت في مراحل سابقة تقع إلى الشمال من موقعها الحالي وسكن أهلها حينها الغيران ثم اتجهت ناحية الجنوب على حافة الجبل، ويحدها من الشرق غابات الزيتون والتين والكروم، وكذلك من الغرب حتى مدينة تملوشايت، أما الشمال فهو امتداد لقرية تدميرة القديمة، ومن الجنوب وادي تدميرة، زرناها عام 2004، ينظر الصورة رقم (12).

(3) . طمس في الكتابة، ربما: (بني هذا) أو (جند هذا)، تمشياً مع السياق اللغوي للعبارة.

6 (مسجد عمروس بن فتح المساكني⁽¹⁾):

قام الشيخ عمروس ق: (3 هـ / 9 م) بتأسيسه بقرية إمساكن (قطرس حالياً)، وكان لهذا المسجد إلى جانب المساجد والمدارس الأخرى في الجبل الدور الكبير في نشر العلوم والفنون الإسلامية، إلى جانب نشر الثقافة واللغة العربية، وكثيراً ما كان الشيخ عمروس يعقد فيه المجالس العلمية ويحضرها علماء قريته. والمسجد يتوسط القرية، وهو من المساجد الكبيرة طوله من الشرق إلى الغرب (15 متراً وعرضه من الشمال إلى الجنوب 7 أمتار) له بابان من الناحية الغربية أقلل أحدهما، والمسجد يتكون من بيتين تفصلهما مجموعة أعمدة وأقواس.

7 (مسجد إيبانين⁽²⁾) :

الذي بناه الشيخ أبو هارون موسى التملوشايي بقرية إيبانين⁽³⁾ خلال القرن (4هـ / 10 م)، وتحديدًا بعدما تولى أمور الجبل⁽⁴⁾، وهذا المسجد يأوي إليه طلاب العلم بأعداد كبيرة فصار كهفًا ومأوي لهم⁽⁵⁾، ومن الطلاب الذين درّسوا فيه : أبو محمد عبد الله بن مطكود ، وأبو زكرياء يحيى الجنائوني (هـ / م) ، اللذان درسا على الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون التملوشايي .

(1) . مسجد عمروس بن فتح : زرته عام 2005 ، ينظر الصورة رقم (13) .

(2) . مسجد إيبانين : زرته عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (14) .

(3) . إيبانين : قرية قديمة تقع فوق جبل عال يعرف باسمها ، وما زالت آثارها باقية منها : بقايا القصر الذي يعلو قمة الجبل وحوله وأسفل منه تنتشر المساكن والبيوت ، وهي حالياً مهجورة ، وينبسط وادي إكران غرب القرية ، ومن الشرق وادي إكران وجبل كباو ، ومن الشمال سلسلة جبلية تفصل القرية عن سهل الجفارة ، ومن الجنوب ملتقى وادي إكران ووادي آخر يفصلها عن قرية جليمت الواقعة فوق قمة جبل ، زرتهما عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (15) .

(4) . الشماخي، المصدر السابق، ص20.

(5) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 20 ؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 301 .

يقع هذا المسجد في وسط جبل القرية، طوله حوالي 8 أمتار وعرضه 10 أمتار له بابان أحدهما للرجال والآخر للنساء، والمسجد مشيد على أعمدة وأقواس ونجواره في الخارج توجد ساحة فسيحة، ومصطبة على جانبي المسجد وماجل لحفظ مياه الأمطار.

8 (مسجد أمسراتن⁽¹⁾):

يبدو أن الذي قام ببنائه أو شارك في بنائه الشيخ أبو المهاصر جعفر بن موسى الأفظماني كما أورد الشماخي ما ذكر من أن أبا المهاصر كان يحمل الخبز في الفخار من منزله وقت أن كان بيني مسجد امسراتن⁽²⁾، يوجد هذا المسجد في مدينة جادو ، وقام بدوره العلمي في منطقة الجبل وكان يفد إليه طلاب العلم طيلة القرون الوسطي ، ودرّس به العديد من العلماء والمشائخ منهم على سبيل المثال : الشيخ أبو سهل البستوني (ق هـ) وكان يدرّس التلاميذ في أوقات منتظمة من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس⁽³⁾، ولم يذكر البغطوري (ق 6هـ / 12 م) ، مرحلة التعليم ولا ماهية العلوم التي كان يدرّسها هذا الشيخ غير أنما لا تخرج عن العلوم الإسلامية كما هو سائد في ذلك الوقت. ويعطينا البغطوري صورة واضحة للبرنامج اليومي للشيخ أبو سهل البستوني حيث يقول: " وكانت عادته إذا صلى الفجر واستفتح مضى لشغل دنياه إلى وقت القائلة فيرجع فيقبل، فإذا قرب الظهر

(1) . مسجد امسراتن : وهذا المسجد ضمن مساجد مدينة جادو ، وتم هدم المسجد القديم أكثر من مرة، وبني مكانه مسجد جديد ، زرته عام 2004 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 334 – 335 .

(3) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 154 – 155 .

قام وأغتسل للصلاة، ويلبس قميصين معقودين بطوق واحد وعمامة حسنة وكساء سجلماسية، ثم يمضي إلى مسجد مصراتن، فيؤذن المجلس للتلاميذ إلى غروب الشمس ويصلي، ويشغل في العبادة والصلاة حتى يصلي العصر، ثم يجعل المجلس لتلاميذه إلى غروب الشمس، ثم يصلي المغرب حتى العشاء"⁽¹⁾.

9) مسجد أبي يحيى زكرياء بن يونس الفرستائي⁽²⁾:

يعد مسجد الشيخ أبي يحيى زكرياء بن يونس الفرستائي من المساجد الهامة في الجبل لما قام به من أدوار في التعليم والتدريس ونشر العلوم العربية والإسلامية، أنشأه الشيخ أبو يحيى الفرستائي خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، بقرية فرسطا⁽³⁾ وذلك بعدما أجازته عدة مشائخ من أبرزهم الشيخ أبو هارون موسى الجلالمي . ويقع هذا المسجد في وسط جبل القرية، أسفل البيوت بساحة واسعة ، وهو من المساجد الكبيرة طوله 11 متر، وعرضه 14 مترا، له بابان شمالي وجنوبي أقفل أحدهما ، والمسجد مازال بحالة جيدة.

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 154 — 155.

(2) مسجد أبي يحيى زكرياء الفرستائي: زرته عام 2004، ينظر الصورة رقم (16) .

(3) قرية فرسطا القديمة تبعد عن مدينة كبار حوالي 2 كلم، وبما قرنتان قديمتان الأولى: بن غوري على غربها، والأخرى تمايلت على شرقها، زرتهما عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (17) .

ثانياً (المدارس :

أدت المدارس في جبل نفوسة دوراً كبيراً في إثراء الحركة الفكرية وتنوعها، وكانت في الأصل موصولة بالمساجد وكان هدفها تحفيظ الصبيان القرآن الكريم وتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة ومبادئ الشريعة الإسلامية⁽¹⁾، ويطلق عليها : (الكتّاب) ، أو (المكتب)، ثم تطورت فيما بعد إلى المدرسة: بمفهومها المتعارف عليه . كما أن هناك مدارس أسست منذ بدايتها مستقلة عن المسجد ، والمدرسة عموماً : " تمثل أسمى إنجازات النظام التربوي الإسلامي " ⁽²⁾.

ومن الملاحظ أن العديد من العلماء بمجرد تفرغهم من مرحلة التعلم، يتوجهون بدورهم إلى مهنة التدريس وتعليم غيرهم من الطلاب، ويبدو أن هناك تفاهماً وإنسجاماً كبيراً بين بعض الطلاب وأساتذهم، كما كان الأساتذة على معرفة بمستويات وقدرات طلابهم، ونعطي مثال على ذلك ما حدث بين التلميذ أبان بن وسيم وشيخه وأستاذه الشيخ أبو خليل الدركلي، حيث كان أبان من الطلاب المجتهدين عند شيخه المذكور بقرية دركل أو (درشل) : " وطلع ذات مرّة من درشل حتى خرج من الجبل، فعد سبعين مسألة فنسى منها أربعة مسائل أو خمسة، فعاد كما هو، ولما رآه أبو خليل شيخه، قال له: نسيت مسائل كذا وكذا، فقال له أبان: من أخبرك بها، فقال أبو خليل: يعرف الراعي النفورة من غنمه " ⁽³⁾.

ومن أبرز المدارس التي اشتهرت في المنطقة : —

(1) . دبور : المرجع السابق، ج3 ، 369 .

(2) منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين، ترجمة: سامي الصقار، الرياض: منشورات دار المريخ للنشر، 1981، ص 11.

(3) . البغطوري. المصدر السابق، ورقة 96 — 97.

1. مدرسة عمر بن يمكتن : ق: (2هـ/8م):

ويعد الشيخ عمرو بن يمكتن، من علماء القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، وحفظ القرآن وتعلم العلم بطريقة عجيبة تذكرها المصادر التاريخية عندما كان في منطقة مغمداس حيث يجلس بالقرب من طريق القوافل المارة ما بين المشرق والمغرب ، ويلتقي بالمسافرين فيكتب عنهم القرآن في لوحته ثم يذهب لحفظه ويرجع للكتابة مرة أخرى ، وهكذا حتى تمكن من حفظ القرآن الكريم وتعلم العلم⁽¹⁾.

بعدها أفنى الشيخ عمر بن يمكتن تعليمه وحفظه للقرآن الكريم بمنطقة مغمداس ورجع إلى موطنه بالجبل، في وقت كانت يخلو فيه الجبل من وجود المدارس والمعلمين فرأى ضرورة إنشاء مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وأنشئت بالفعل هذه المدرسة في حدود عام (140هـ / 758م) بمدينة إفاطمان⁽²⁾ وتعد مدرسته من أولى المدارس بالجبل لتحفيظ القرآن

(1) .الشماخي، المصدر السابق ، ص 142.

(2) إفاطمان : تقع مدينة إفاطمان الأثرية على قمة رافد من روافد وادي تالة (أم القرب) ويمجدها من الشرق وادي تالة ، وكذلك من الغرب ، أما من الشمال فيحدها جبل خشم الحرارة ، ومن الجنوب منطقة الظاهر ، وتبعد عن مدينة الرحيبات حوالي 25 كلم تقريباً، و كانت قديماً تشغل مساحة كبيرة وهذا يلاحظ من خلال آثارها الماثلة للعيان، وفي الحقيقة أغلب آثارها قد تساقط وتآكل ما عدا قصبة ما زالت تعاند الزمان بشموخها، والمنطقة في حاجة إلى دراسات تاريخية وأثرية ، وتعد من أهم مدن جبل نفوسة في التاريخ الوسيط ، لم أتمكن من تحديد مكان المدرسة وسط ركام الآثار، زرت هذه المدينة عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (18). ولم بجانب الصواب الدكتور الفاضل صالح الصادق السباني في تحديده لمنطقة إفاطمان بدقة عندما قال: " افاطمان الواقعة بين الرحيبات والرجبان"، والصواب أنها تقع بين الرحيبات والحراية، وجاء ذلك في كتابه القِيم: ليبيا أثناء العهد الموحدوي والدولة الحفصية، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2006، ص553 .

الكريم ، ويشير المؤرخ ابن سلام الإباضي (ت بعد 273هـ / 887 م) ، إلى ذلك قائلاً : " أن أول من علم القرآن يجبل نفوسة عمر بن يمكن بمثل يقال له إفاضان "⁽¹⁾ ، وهذه المعلومة كررها أبو العباس الشماخي في كتابه السير⁽²⁾ ، بدون الإتيان بمعلومات جديدة بالرغم من الفارق الزمني بينهما حوالي أكثر من خمسة قرون .

نفهم من النص السابق أن هذه المدرسة سبقت في إنشائها كثيراً من المدارس التي أنشئت في منطقة الجبل، من الناحية الزمنية وأن هذه المدرسة قد تكون الأولى من نوعها في تحفيظ القرآن الكريم، ولكن في نفس الوقت هناك معلومة أخرى تفيد: أن الشيخ محمد بن مغطير الجناوني هو أول من جمع القرآن الكريم كله في جبل نفوسة وحفظه⁽³⁾ . والسياق هنا يطرح السؤال التالي: إذا كان ابن مغطير هو أول من جمع القرآن وأتم حفظه لماذا لم يقوم بتدريس القرآن الكريم بالجبل، في وقت كانت المنطقة بكاملها تخلو من معلمين للقرآن؟!⁽⁴⁾ ، هذا إلا إذا كانت هناك معلومات تاريخية تفيد قيام ابن مغطير بذلك وما زال لم يكشف عنها بعد. والمتاح لنا حالياً أن مدرسة ابن يمكن هي من أول المدارس التي أنشئت من أجل تحفيظ القرآن الكريم وذلك من ضمن اهتمامات أهل الجبل التي تفرعت عنها

(1) ابن سلام الإباضي ، بدء الإسلام وشرائع الدين ، تحقيق فيرنر شفارتس و سالم بن يعقوب ، بيروت : دار صادر ، 1986 ، ص 126 ؛ حسن حسني عبد الوهاب و رقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، القسم الأول ، تونس : مكتبة المنار ، 1972 ، ص 80 .

(2) . الشماخي، المصدر السابق، ص 142 .

(3) أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص 133 — 134 . صالح معيوف ، المرجع السابق ، ص 90 . ليست هناك إحالة إلى مصدر معين لإثبات تلك المعلومة من قبل كلا الباحثين .

(4) . في الحقيقة ليس لدي حالياً إجابات وافية، أو بالأحرى معلومات تاريخية دقيقة نستدل من خلالها على الحقيقة العلمية، أرجو من الله أن تتمكن مستقبلاً من العثور على ما يفيد في هذا الخصوص.

الدراسات الإسلامية واللغوية الأخرى فيما بعد مثل: الحديث، والفقه، والتفسير، وأصول الدين، وعلوم اللغة العربية، من نحو وصرف وبيان وشعر وأدب وعلم المنطق والجدال، والحساب، وغيرها في المدارس الأخرى التي ظهرت في فترات متتالية بالجليل. وبذلك تكون شخصية عمر بن يمان من الشخصيات العلمية والتربوية البارزة في المنطقة لإسهامه في إبراز أهمية الثقافة والتعلم.

2) مدرسة أبي المنيب محمد بن يانس الدركلي⁽¹⁾:

أنشأها الشيخ أبو المنيب خلال القرن الثاني الهجري / القرن الثامن الميلادي ، في قرية الجزيرة⁽²⁾ ومن الملاحظ أنه لم يؤسسها في قريته بدركل وذلك على عادة علماء الجبل حيث يؤسسون المدارس وبينون المساجد خارج قراهم وبلداتهم إسهاماً منهم في نشر العلوم في ربوع الجبل . وهو من تلاميذ إسماعيل ابن درار الغدامسي (2 هـ / 8 م)⁽³⁾ ويعد بذلك من الطلاب الأوائل الذين تفرغوا للعلم ، وكذلك من العلماء الرواد في نشر العلوم وذلك من خلال مدرسته التي أنشأها بالجليل، واستمر إشعاعها الثقافي إلى القرن الحادي عشر، كما كان لها مجموعة فروع في مختلف مدن وقرى الجبل⁽⁴⁾، ويبدو أنه كان مهتماً بتدريس علم

(1) . مدرسة الشيخ محمد بن يانس الدركلي : تقع هذه المدرسة في قرية الجزيرة وهي عبارة بناء تحت الأرض موصولة بالمسجد ، وهذا يدل على قدم المسجد والقرية ، زرقما عام 2004 .

(2) . الجزيرة : قرية من قرى الجبل ، سميت بالجزيرة لوقوعها فوق جبل ويحيط بها الوديان من كل الجهات ماعدا شريط ضيق من جهة الشرق حيث مدخلها ، ويحيط بها وادي شروس من الغرب ، ووادي دركل من الشمال ، ووادي ايندل من الجنوب الشرقي، وهي شبه مثلث في شكلها قاعدته عند الغرب ورأسه إلى الشرق، وطولها حوالي كيلو متر ونصف من الشرق إلى الغرب، وعرضها يبدأ من المدخل بحوالي من 15 — 25 متر وكلما توغلت إلى الداخل زادت المساحة حتى تبلغ في القاعدة حوالي نصف كيلو متر. زرقما عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (19) .

(3) . أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص 116 .

(4) المرجع نفسه والصفحة.

التفسير إلى جانب العلوم الأخرى . وهذا يستتج من نص أورده الشماخي حيث يقول : " وهو أحد الأربعة الذين تكفلوا رد الواصلية⁽¹⁾ الباغين على الإمام ، وهو خصوصاً تكفل علم تفسير كتاب الله "⁽²⁾. ومن العلماء الذين تخرجوا على يدي الشيخ أبي المنيب، الشيخ أبي خليل صال الدركلي عاش خلال (ق 3هـ / 9 م).

3 (مدرسة أبي ذر أبان بن وسيم الو يغوي :

أسس مدرسته في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي في قرية ويغو بعدما أفى أبان الو يغوي تعليمه على شيخه أبي خليل الدركلي توجه إلى نشر رسالة العلم والمعرفة ، وتخرج على يديه علماء كان لهم الأثر البالغ في الحياة العلمية بالجليل أمثال : أبي القاسم سدرات بن الحسن البغطوري (ت 313 هـ / 925 م) وأبي محمد عبد الله بن الخير (عاش ما بعد 283هـ — / 896 م) وأبي معروف ويدران بن جواد ، وأبدين الفرستائي ، والعالمة زورغ الأرجانية، وكذلك العالمة أم يحيى⁽³⁾.

4 (مدرسة أبي القاسم سدرات البغطوري:

أسس مدرسته في ق: (3هـ/9م)، لم تشير المصادر إلى مكان المدرسة وعلى الأرجح تكون في قرية بغطورة التي ينتسب إليها الشيخ أبو القاسم، وكان

(1). الواصلية: يقصد بم المعتزلة وهي إحدى الفرق الإسلامية، وتنسب إلى واصل بن عطاء (80 — 131هـ / 700 — 751م)، وسبب تسميتهم بالواصلية اعتزالهم جماعة الحسن البصري بسبب خلاف فكري، ينظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 397 — 401.

(2). الشماخي، المصدر السابق. ص 166.

(3) معجم أعلام الإباضية، محمد بابا عمي و آخرون، ج 2، بيروت: دار الغرب الإسلامي،(د.ت)، ص 7 .

يحث طلابه على الكتابة، أي كتابة المعلومات التي يلتقيها عليهم، وتدوين الأفكار التي يشرحها لهم، ويبين لهم أهمية التدوين. فقد سأله التلامذة : " أنكتب عنك ما سمعنا، قال: أكتبوا ولو بأقلام النحاس، صمت أذن نسيت ما سمعت منذ أربع سنين"⁽¹⁾، ومن طلابه الذين درسوا عليه منهم:

4) مدرسة أبي عثمان سعد بن أبي يونس الطمزي⁽²⁾:

أسس مدرسته في ق: (3هـ/9م). بمدينة طمزين التي ينتسب إليها، ودرس بها عددٌ كبير من الطلاب، ويشير بعض الباحثين المعاصرين أن نشاط هذه المدرسة امتد حتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي⁽³⁾.

4) مدرسة أبي يحيى ماطوس الشروسي :

أسست هذه المدرسة في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، في مدينة شروس ، وكانت مدرسته على درجة علمية عالية وأسهمت بشكل كبير في نشر العلوم والفنون في مختلف بقاع الجبل⁽⁴⁾، وسبب ذلك راجع إلي ازدهار تلك الفترة التاريخية من الناحية العلمية ، وليس ذلك وحسب وإنما يكون للمكان الجغرافي والبيئة دور و تأثير على الأهالي ، فمدينة شروس حينذاك هي عاصمة الجبل ، وكانت على درجة كبيرة من النشاط الاقتصادي .

(1) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 114.

(2) هذا الأسم الصحيح لمؤسس هذه المدرسة وهو من علماء طمزين، وليس كما ذهب الدكتور: صالح السباني حيث قال: " مدرسة أبي عثمان المزاتي، ، (ليبيا أثناء العهد الموحد وال دولة الحفصية)، المرجع السابق، ص 554.

(3). قناطر الخيرات هامش: (1)، ص 161.

(4) . محمد بن بابا عمي ، المرجع السابق ص 157 .

كما أشار إلى ذلك الرحالة ابن حوقل (ت 379هـ / 988 م) :
" شروس في وسط الجبل وفيها مياد جارية وكروم وأعناب طيبة وتين غزير وأكثر
زروعهم الشعير"⁽¹⁾ بالإضافة إلى تكتلها البشري كما ذكر الحموي (هـ /
م) قائلاً : " شروس ... مدينة جليلة في جبل نفوسة من ناحية أفريقية وهي
كبيرة أهلة بالسكان ، وهي قسبة ذلك الجبل"⁽²⁾. وعندما أراد أبي يحيى
الفرسطائي (ت ما بين 300 – 50 هـ / 912 – 961 م) الذهاب إلى شروس
للتعلم في مدرسة أبي يحيى ابن ماطوس لم يجد بيتاً يسكن فيه على كبر المدينة، فقال
: ما أوسع شروس وما أضيقتها نظراً لازدحامها بالسكان⁽³⁾. فلاحظ أن مدينة
شروس كانت من أغزر مدن الجبل علماً وكانت مقصد طالبي العلم ، وهذا ما
سيوضح في أوراق البحث التالية .

5) مدرسة أبي هارون بن يونس الجلاملي :

أسسها صاحبها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وكان،
الشيخ أبوهارون من التجار المعروفين في منطقته بالإضافة إلى كونه من المزارعين،
الكبار ، وكانت مدرسته تحوي مبيتاً يؤمه الطلاب الذين يأتون من أماكن نائية ،
فاستطاع الإنفاق عليهم وذلك بأن خصص لهم نصيباً مما تنتجه مزارعه، وأرباح
تجارته⁽⁴⁾.

(1) . ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 94 – 95 .

(2) . الحموي، المصدر السابق، ج3 ، ص 217 .

(3) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 50 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص 310

(4) . المصدر نفسه ، ص 278 .

وتخرج العديد من العلماء على يدي الشيخ أبي هارون الجلالمي ومن أبرزهم أبو يحيى زكرياء بن يونس ، وأبو الربيع سليمان بن هارون، وغيرهم من العلماء.

6) مدرسة أبي الربيع سليمان اللالوتي :

ويرجع تأسيس هذه المدرسة بالجبل إلي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بمدينة لالوت⁽¹⁾، على يد الشيخ أبو الربيع اللالوتي ، وكان يتبع طريقة في التعليم مغايرة لما هو موجود في ذلك الزمان ، فكان يصطحب تلاميذه في رحلات علمية لدراسة البيئات المتنوعة⁽²⁾، ولاختبارهم في مختلف الظروف والمناسبات ليعد كلا منهم مستقبلاً للمكان الذي يناسب قدراته وإمكانياته⁽³⁾، وقتل في إحدى رحلاته العلمية كما تشير المصادر : " أنه خرج هو وتلاميذه في الخصوص في أيام الربيع فصادفهم بنو تيجين ... فقتلوه هو وعزابته ... وبلغنا أن أبا الربيع مات وهو ابن سبع وعشرين سنة والتلاميذ يتعلمون عنده "⁽⁴⁾، وتخرج على يدي الشيخ أبي الربيع العديد من العلماء الأعلام .

(1) . لالوت: من المدن القديمة والكبيرة في جبل نفوسة، وتكتب حالياً (نالوت) تقع في أقصى غرب الجبل، مرت لالوت بثلاثة مراحل من البناء والسكن عبر العصور إلي أن استقرت على حافة الجبل، وتنقسم إلي لالوت العليا والسفلي ويفصل بينهما القصر الذي ما زال قائماً وبجالة جيدة، زرقتها عام 2004، ينظر الصورة رقم (20) .

(2) . إن هذه الطريقة في التدريس أو الأسلوب ، توحي أن بعض علماء الجبل لهم دراية واسعة بالنفس البشرية ، وكيفية التعامل معها ، وهذا الأسلوب يعد في وقتنا الحالي من أساليب التربية الحديثة ، فمثلاً يرى جان بياجيه : " أن من أول مبادئ التربية والتعليم هو أن يكون التعلم شيئاً نشيطاً ... وإتاحة الفرصة أمام الطفل ليقوم بتعلم ذاتي ، وهذه الطريقة مبنية على الاكتشاف ، بمعنى أن الاكتشاف ما يريد المعلم أن يكتشفه المتعلمون " ينظر : مريم سليم ، علم تكوين المعرفة ابستمولوجيا بياجيه ، بيروت : معهد الإثناء العربي ، 1985 ، ص 238 .

(3) . علي يحيى معمر، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 90 .

(4) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 8 .

7 (مدرسة أبي محمد خصيب التمصصي⁽¹⁾):

أسس مدرسته في قرية تمصص⁽²⁾ خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وكانت هذه المدرسة مختلطة من الجنسين الذكور والإناث ، ودرست بها أم ماطوس ، وأشار الشماخي إلى ذلك قائلاً : " أم ماطوس كانت تتعلم عند أبي محمد خصيب وهي بكر "⁽³⁾. وهي من أوائل الفتيات اللاتي تعلمن في مدارس الفتيان ، كما يدل دلالة واضحة على أن طلب العلم كان شائعاً في منطقة جبل نفوسة وبشكل مزدهر ، فلم يقتصر الأمر على الرجال فقط بل حتى النساء شاركن فيه وبلغن درجة الاجتهاد . ومن أبرز طلاب هذه المدرسة أيضاً أبو زكرياء يحيى بن سفيان اللالوتي (عاش ما بين 350 — 400 هـ / 961 — 1009 م) ، وأبو هارون موسى بن هارون (هـ / م) ، اللذان صاروا من العلماء فيما بعد .

(1) . مدرسة ومسجد أبو محمد التمصصي : تقع في قرية تمصص وهي موصولة بالمسجد وطولها 9 أمتار وعرضها 6 أمتار بإمنا من الشمال الشرقي ، والبناء مربع الشكل تقريباً وهو يقع في الطرف الغربي للقرية وهي مازالت بحالة جيدة ، زرتها عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (21) .

(2) . تمصص : وهي من القرى القديمة في الجبل من المحتمل أن تكون تأسست خلال القرن الثالث أو الرابع الهجري ، وتقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة طمزين ، وتبعد عنها بحوالي كيلو متر تقريباً ، ولم يبق من آثارها سوى الغيران التي كانت تستعمل لغرض السكن ، ويبدو أنها كانت كبيرة المساحة ويتضح ذلك من خلال الآثار المتناثرة على رقعة جغرافية ممتدة ومتسعة ، كما يوجد بها مسجد ومدرسة الشيخ أبو محمد التمصصي ، وإلى الجنوب من المسجد يوجد بقايا آثار قصر تمصص وهو عبارة عن ركام من الحجارة والتراب يبدو أنه تعرض إلى دمار وتخريب مقصود ، وتحيط بالقرية من مختلف الجهات غابة زيون ، ولم يعثر الباحث عن مآل سكان القرية هل هاجروا إلى مكان آخر ؟ أم هم الذين أسسوا مدينة طمزين فيما بعد على حافة الجبل ؟ زرتها عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (21) .

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 56 — 57 .

8 (مدرسة أم يحيى (أمسين)⁽¹⁾):

أسست هذه المدرسة في منطقة أمسين بالرحيبات ، أسستها أم يحيى خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وهي خاصة بتعليم البنات ، وكان بما مبيت تأوي إليه الفتيات القادمات من أماكن بعيدة ، وأما الفتيات اللاتي يسكن بالقرب من المدرسة يحضرن الدروس ثم يرجعن إلى أهاليهن⁽²⁾.

9 (مدرسة أبي يحيى زكرياء الباروني :

أسسها صاحبها في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي في منطقة وكان الشيخ أبو يحيى الباروني يملك ثروة طائلة ينفق منها على الأقسام الداخلية في مدرسته العامرة ، وكانت تشتمل على عدد كبير من الطلاب في حدود المائة طالب ، وتذكر بعض المراجع حادثة مفادها : أنه في بعض سنوات الجفاف الصعبة همّ طلاب المدرسة بالرحيل ليخففوا الوطأة على شيخهم ، غير أنه صمم على بقائهم ، واضطر إلى الكشف لهم عن ثروته المخبأة ، وكل ذلك في سبيل بقائهم والاستمرار في مواصلة التعلم والتعليم⁽³⁾. ومن أبرز تلاميذه الذين تخرجوا من مدرسته : يحيى ابن وجدليش ، وابن أخته الفقيه والشاعر أبو نصر فتح ابن نوح الملوثائي (ق 7هـ / 13 م) .

(1) . أمسين : تقع نطاق هذه التسمية في مدينة الرحيبات حالياً ، وتعرف أيضاً بوطن أمسين ، تمتد من قرية إمساكن (قطر حالياً) إلى قرية توكيت ، وهناك وادي أمسين الذي يجري من خربة إمرساون القديمة ويتجه شمالاً ناحية سهل الجفارة ، وتقع في نطاق هذا الوطن قرية تميمجار ، وعين إجلازن . زرت هذه المناطق عام 2005 .

(2) . أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص 117 .

(3) . علي يحيى معمر ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 197 – 199 .

10) مدرسة أبو عبد الله محمد بن سليمان الأبديلاني النفوسي:

أسس الشيخ أبو عبد الله محمد الإبديلاني ق: (هـ / م) — ينتسب
إلى أبديلان⁽¹⁾ — مدرسة واستقبل فيها طلاب العلم من مختلف بقاع الجبل، كما
كان يهتم بالتلاميذ اهتماماً بالغاً إلى درجة أنه ينفق عليهم من ماله الخاص،
ويشتري لهم الأطعمة والأكسية، فإذا دخل فصل الشتاء اشترى لهم ملابس ثقيلة
تقيهم البرد والصقيع، وإذا أقبل فصل الصيف اشترى لهم ملابس خفيفة تناسب
حرارة الصيف⁽²⁾. وعلى ما يبدو أن هذه المدرسة كانت تحوي على قسم داخلي
لإقامة الطلاب الذين يقطنون بعيداً عن المدرسة

11) مدرسة أبو موسى عيسى الطرميسي⁽³⁾:

تأسست هذه المدرسة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي في قرية
طرميسة⁽⁴⁾ وهي موصولة بأحد المساجد، وما زالت المدرسة بحالة جيدة طولها 114

(1) . إبديلان : من المدن الكبيرة في جبل نفوسة، ويدل على ذلك اتساع وامتداد خرائبها وآثارها، وهي واقعة
ما بين وادي إبديلان ووادي تالة، تحيط بما غابات الزيتون من جميع الجهات تمتد المدينة من ناحية شمالها الشرقي وتطل
على وادي إبديلان كما تمتد ناحية الجنوب الغربي باتجاه قرية إمسكن، ويحيط بما من الجنوب غابة زيتون وتمتد إلى
منطقة الظاهر، كما تحدها قرينا الشياب والسلامات من الشمال الغربي، وهي حالياً عبارة عن خرائب وأطلال
دارسة، لم يبق منها سوى مسجد من المحتمل أن مسجد أبي الحسن الأبديلاني، كما يوجد آثار لكنيسة مازال أجزاء
منها قائماً. زرقاً عام 2005 .

(2) . الوسياني، المصدر السابق، ورقة 181؛ الشماخي، المصدر نفسه، ص 406 .

(3) . مدرسة عيسى الطرميسي : زرقاً عام 2004، ينظر الصورة رقم (22) .

(4) . طرميسة: وهي من قري مدينة جادو وتبعد عنها 5 كلم تقريباً، تقع طرميسة على قمة جبل في موقع يعتبر
استراتيجياً بالنسبة للعصور الوسطى، تحيط بها حافة الجبل من جميع الجهات وكأنها جزيرة يحيطها الفضاء ماعداً
الناحية الجنوبية التي تعد المدخل الرئيسي للقرية وبالمدخل أقام الأهالي خندقاً لغرض الدفاع والتحصين

متر، وعرضها 5 أمتار تحيط بما غابات الزيتون من كل ناحية. قصدتها الطلاب من مختلف مناطق الجبل، وكان الشيخ عيسى الطرميسي يوجههم نحو تأليف الكتب والمؤلفات وعدم الوقوف على الرواية الشفوية، ويشجعهم على ذلك ومن ثمرة عطائه وتوجيهه أن أنجبت مدرسته عالين اتبعا نصائح أستاذهما هما الشيخ إسماعيل الجيطالي، والشيخ عامر الشماخي، اللذان كانت لهما عدة مؤلفات سيأتي الحديث عنها⁽¹⁾.

12 (مدرسة أبي زيد المزغورتي⁽²⁾):

أنشأها الشيخ أبو زيد المزغورتي في قرية مزغورة⁽³⁾، وهي عبارة عن بناء تحت الأرض (غار)، وقد بني فوقها حديثاً مسجد سمي على اسم الشيخ أبي زيد، وطول المدرسة حوالي 10 أمتار وعرضها تقريباً 6 أمتار، وتتكون من حجرتين توافد عليها العديد من طلاب العلم من مختلف قرى ومدن الجبل، كما درس بها عدة علماء ومشايخ مثل: الشيخ أبي موسى عيسى الطرميسي انتقل للتدريس فيها عام (700 هـ / 1300 م)، فور تخرج كل من الشيخ عامر الشماخي، والشيخ إسماعيل الجيطالي من مدرسة طرميسة على يد الشيخ أبي موسى قاما بالتدريس في مدرسة الشيخ أبي زيد المزغورتي، بالإضافة إلى الشيخ أبي عزيز الشماخي قام بالتدريس أيضاً .

= وبذلك تكون القرية محصنة بشكل طبيعي . ويوجد بما مسجد تحواريت ، وتشتهر بغراسة أشجار الزيتون ، زرقماً في سنة 2004 ، ينظر الصورة رقم (23) .

(1) . إسماعيل الجيطالي، قناطر الخيرات، ج 1 ، تحقيق عمرو النامي ، ص 11 .

(2) . مدرسة الشيخ أبي زيد: زرقماً عام 2004، ينظر الصورة رقم (24) .

(3) . مزغورة: من قرى مدينة جادو، وتقع في قمة الجبل تجاورها قرية تندباس وجماري، زرقماً عام 2004

13 (مدرسة عامر بن علي الشماخي (الأولى)) :

بعدهما تخرج الشيخ عامر الشماخي من مدرسة شيخه الطرميسي سنة (756 هـ / 1355م)، انتقل للتدريس بمدرسة المزغورتي فترة من الزمن، ثم توجه نحو قرية مينيون⁽¹⁾ وأسس بها مدرسة سنة 743 هـ وأقام يدرس بها حوالي ثلاثة عشرة عاماً⁽²⁾، وتخرج منها العديد من الطلاب الذين أسهموا في الحياة العلمية في داخل الجبل وخارجه .

14 (مدرسة عامر الشماخي (الثانية)) :

بعد إن اطمأن الشيخ عامر الشماخي على أحوال مدرسته في أتميتيون قرر العودة لمدينة يفرن في أقصى شرق جبل نفوسة، وهي مسقط رأسه، ومرتع صباه وبها أخذ أول تعليمه، فأنشأ مدرسة بقرية المعانيين⁽³⁾ حوالي عام (756 هـ /

(1) . مينيون : تقع على قمة الجبل تحيط بها غابات الزيتون من جميع الجهات، وهي إلى الشمال الشرقي من وادي أمسين وقرية تيميجار ، يوجد بها آثار لغيران يبدو أنها كانت تتخذ للسكن، وبها مسجد يعرف باسم (المينيونية) يبدو أنه اسم لأحد نساء القرية لم نثر على اسمها بالكامل، زرتها عام 2005 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 559 — 560 .

(3) . المعانيين : قرية من قرى مدينة يفرن تقع فوق ربوة عالية، وهي تتوسط باقي القرى إذ تحدها من الشرق قرية البخاجة، ومن الغرب قرية الشقارنة ويفصل بينهما وادي عيسي الذي تنتشر فيه أشجار الزيتون والستين ، ويوجد به بئر ماء كانت تشرب منه القرية قديماً، ومن الشمال قرية قصبه مادي والقصر، ومن الجنوب قريتي القرايين والمشوشين، ومن معالمها التاريخية مدرسة ومسجد الشيخ عامر الشماخي وللأسف فقد هدم الأهالي جزءاً مهماً من المدرسة وهي الخلاري التي كان يدرس بها الطلبة كما أزيلت مقبرة الطلبة الغرباء في إطار توسيع المسجد . وهذا ناتج عن عدم تقدير واهتمام ، وقد جددت المدرسة في الوقت الحالي في صورة منارة عامر الشماخي لتحفيظ القرآن الكريم، ومن المعالم الأثرية مشهد زكوان، ومعاصر الزيتون القديمة، ومازال خرائب أطمعان وآثارها قائمة: وفي حاجة ماسة إلى الصيانة والترميم، وترجع أصول كاتب هذه السطور لهذه القرية ينظر الصورة رقم (25) .

1355 م⁽¹⁾، ودرّس بما حتى وفاته عام (792 هـ / 1425 م)، وتخرج من هذه المدرسة العديد من الطلاب، الذين صار البعض منهم علماء وفقهاء كبار منهم على سبيل المثال: ابنه أبو عمران موسى (807 هـ / 1439 م)، وابن ابنه سليمان، وأبو الفضل بن إبراهيم البرادي⁽²⁾ (حي في عام 810 هـ / 1407 م)، ونوح ابن حازم المرساوي (806 هـ / 1403 م)، الذي طلب من شيخه عامر أن يؤلف كتاباً في العقيدة فقام الشيخ بتأليف: متن الديانات، وغيرهم من طلاب العلم والمعرفة.

ويلاحظ إسهام أغلب العلماء الذين درّسوا في مختلف المساجد و المدارس التي تم ذكرها أنفاً نتاج علمي غزير ومؤلفات متنوعة، يكون مآلها عادة أرفف المكتبات .

(1) هذا الصواب وهو ما تؤكد المصادر التاريخية، وليس كما قال الدكتور صالح السبائي: أن الشيخ عامر الشماخي بعد تخرجه من مدرسة شيخه أبي موسى الطرميسي رجع إلى مدينة يفرن وأنشأ بها مدرسة ثم انتقل إلى مدرسة مزغورة وشارك في إدارتها، ثم انتقل إلى الرحيات وأسس في ميتين مدرسة. المرجع السابق، ص 570.

(2) أبو الفضل بن إبراهيم البرادي الدمري: كان حياً في سنة: (810 هـ / 1407 م)، ولد بجبل دمر في الجنوب التونسي، درس في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى جزيرة جربة حيث تلقى العلوم فيها على عدة مشايخ منهم: يعيش بن موسى الزواغي، ثم انتقل إلى يفرن بجبل نفوسة وتلمذ على الشيخ عامر الشماخي، [ونلاحظ هنا اختياره منطقة جبل نفوسة لمواصلة تعليمه بعد دراسته في كلا من: الجنوب التونسي وجزيرة جربة، وهذا يؤكد على أن الدراسة في الجبل وقتذاك كانت على درجة عالية من الإزدهار العلمي والثقافي، وإلا لاختار البرادي مكان آخر أو أكفى بذلك وتفرغ للتدريس]، ثم رجع إلى دمر ومنها إلى جربة، وأخذ ينشر ما تعلمه وقام بالتدريس، كما تولى رئاسة حلقة الغزابة، وترك البرادي عدة كتب منها: الجواهر المنتقا، رسالة الحقائق، رسالة في تقييد كتب أصحابنا، البحث الصادق، جواب لبعض أهل الخلاف، شرح الطهارات، وغيرها من الكتب. للمزيد انظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص340.

ثالثاً (المكتبات:

كان من ثمار ازدهار الحياة العلمية في جبل نفوسة تراكم الكتب والمؤلفات والتي منها ما جاء عن طريق تجارة الكتب التي كانت معروفة آنذاك، ومنها ما جاء من المشرق العربي في إطار حركة التبادل الثقافي ما بين المشرق والمغرب الإسلاميين خلال العصور الوسطى، والقسم الأخير انتاج قرائح علماء الجبل الذين أكثروا من التأليف في فترة كانت فيها المنطقة العربية والإسلامية على قمة التطور الحضاري في العالم قاطبة.

وهنا يطرح السياق السؤال التالي: ما هي أول مكتبة تأسست في المنطقة؟ وكيف جاءت الفكرة؟ وكيف تطورت؟ قبل تتبع نشوء المكتبات وتطورها تنبغي الإشارة إلى وجود نوعين من المكتبات في الجبل كما هو الحال في أي مكان آخر وهي:

أ (المكتبات الخاصة: وهي التي يملكها شيوخ وعلماء يتوارثها أبناؤهم جيلاً بعد جيل، وربما تؤول بعضها إلى المكتبات العامة بفعل تنفيذ وصايا بعض المشايخ والعلماء بعد وفاتهم بأن تورث وتوهم مكتباتهم لطلبة العلم، وهذا ما فعله الشيخ أبو الربيع ابن أبي هارون عندما أوصى وقال: " مصاحفي وكتبي وجبابي كلها حبس لوجه الله تعالى، لا تورث ولا تباع ولا توهم حتى يرثها الله وهو خير الوارثين " (1).

وكذلك الأمر مع الشيخ أبي موسى عيسى الطرميسي الذي حبس مكتبته على طلبة العلم وفقهاء نفوسة (2).

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 28 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 552 – 553 .

ب) المكتبات العامة: وهي مفتوحة أمام القراء وطلاب العلم، وملكيتهما لجميع أفراد المجتمع. وهي إما تكون في المساجد، بمعنى بعض المساجد تحتوي على مكتبة أو تكون المكتبة في بناء مستقل وسيأتي الحديث عن هذا لاحقاً.

إن المصادر التاريخية، وكذلك المراجع الحديثة لا تتحدث باستفاضة عن ظهور المكتبات في الجبل، ولا عن تطورها وما يتعلق بها من معلومات تفصيلية. سوى أن هناك من يشير إلى كثرة المكتبات بالجبل والحاوية للكتب النفيسة إلا أن معظمها تعرض للضياع والحرق، بسبب الفتن والقلاقل التي شهدتها الجبل بعد القرن العاشر الهجري⁽¹⁾، فلذلك سوف يتلمس الباحث معلوماته بهذا الصدد من بطون المصادر.

يشير الوسياني (كان حيا عام 557 هـ / 1161 م) إلى وجود مكتبة بالجبل حيث يقول : " وكان الديوان [المكتبة]⁽²⁾ في نفوسة"⁽³⁾، وهذه المكتبة تعد من المكتبات الكبيرة وتحوي على عددا هائلا من المؤلفات كما أشارت بعض المصادر التاريخية : أن الشيخ أبا العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن بكر (ت 504 هـ / 1111 م) ، اجتهد في قراءة الكتب بهذه المكتبة لفترة أربعة أشهر لم ينم خلالها سوى ساعات بسيطة ويقدر عدد الكتب التي رآها بثلاثة وثلاثين ألف كتاب⁽⁴⁾، وذلك العدد الكبير من الكتب نفسه مشار إليه في رواية الباروني (ت 1359 هـ / 1940 م) ، عندما تحدث عن مكتبة بمدينة

(1) . دبور، المرجع السابق، ج 3 ، ص 388 .

(2) . جاء عند الشماخي الديوان بمعنى المكتبة حيث يقول على لسان أبي العباس الفرسطاني : " فدخلت إلى الديوان، وكان بجبل نفوسة ديوان اشتمل على تأليف كثيرة " ص 424 .

(3) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 282 .

(4) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 282 ؛ الدرجيني ، الطبقات ، مصدر سابق ، ص 445 .

شروس المشهورة بخزانة نفوسة ، ورأى أنما جامعة للآلاف المؤلفه من الكتب⁽¹⁾. ويتضح من خلال لغة الأرقام (ثلاث و ثلاثون ألف كتاب) في مكتبة واحدة ، ناهيك عن الخزائن والمكتبات الأخرى المعروفة وغير المعروفة وما تحتويه من مؤلفات ومصنفات لذلك يعد الجبل على درجة من الرقي العلمي والازدهار الفكري.

كما تشير المصادر التاريخية إلى مكتبة أخرى موجودة في (قصر ولم)⁽²⁾، التي مكث فيها الشيخ أبو محمد بن مهدي وارسفلاس (النصف الأول ق: 5 هـ / 11 م)، مدة طويلة قدرت باثني عشرة سنة ، للدراسة وطلب العلم⁽³⁾. وأن هذه المكتبة موجودة داخل (قصر ولم)، في مدينة شروس، وربما تكون هذه المكتبة هي نفسها المكتبة الآنفه الذكر التي ذكرها الباروني والمشهورة (بخزانة نفوسة) ، لأن كليهما بمدينة شروس ، والأولي تحتوي على أعداد كبيرة من الكتب ، والأخيرة تبدو في نفس المستوى ، بدليل مكوث الشيخ أبي محمد وارسفلاس مدة اثنتي عشرة سنة يدرس بداخلها .

(1) . سليمان عبد الله الباروني، المصدر السابق، ج2 ، ص 209 .

(2) . قصر ولم : يقع هذا القصر في أعلي قمة جبل (ولم) الذي سمي القصر على ما يبدو باسمه، وما زالت آثار القصر باقية ، ومن خلال بناء القصر يتضح أنه كان يستعمل كغيره من قصور الجبل لتخزين قوت وتموين الأهالي، إلا أن هذا القصر على حسب ما ذكرت المصادر استعمل جزء منه مكتبة عامة للقراءة والمطالعة والتأمل، لأن موقعه النائي والبعيد عن حركة المدينة وضجيجها يوفر الهدوء والسكون: كما يبدو أنه يحوي على حجر للإقامة تسمح لطلاب العلم والقراء المكوث لفترات طويلة دون الحاجة للتزول من قمة الجبل، ويطل القصر على مدينة شروس إلى الشمال الشرقي منها، وتعد هذه المكتبة من أكبر المكتبات العامة في جبل نفوسة قاطبة، زرت هذا القصر عام 2004 . ينظر الصورة رقم (26) .

(3) البغطوري، المصدر السابق، ورقة 104 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص 327.

من هنا نستنتج إن جبل نفوسة احتوت مدنه وقراه مكتبات (خاصة وعامة)، امتلأ معظمها بالكتب والمؤلفات ، واستفادت منها طبقة المتعلمين والفقهاء وغيرهم من القراء ، في دراساتهم وبجثهم عن العلوم والمعارف .

وهذه الحركة العلمية، والنهضة الثقافية التي انتشرت في ربوع الجبل بفعل نشاط المراكز الثقافية والتعليمية من (مساجد، ومدارس، ومكتبات)، اعتمدت على الموروث العلمي والثقافي الذي خلفه العلماء السابقون للأجيال اللاحقة، من مناهج تعليمية وطرق تدريس، وكم هائل من المؤلفات والكتب النفيسة وكل ذلك شكّل ركائز الحياة العقلية في الجبل على مر القرون . كما نشط علماء الجبل في حركة الترجمة وتعريب عدة مؤلفات فارسية ورومية وغيرها⁽¹⁾. كذلك استفاد علماء الجبل من مكتبات المناطق المجاورة مثل : مكتبات مدينة طرابلس الملحقة بمساجدها، والمكتبة المعصومة بتاهرت ، بالإضافة إلى مكتبات تونس في كل من جربة والقيروان⁽²⁾. وبذلك يتضح وجود مناخ علمي مزدهر ساد مدن وقرى الجبل ، مما ساهم في انتشار العلوم، وتعدد مصادر وأنواع التعليم والتعلم.

(1) . دبو، المرجع السابق، ج 3 ، ص 405 .

(2) . أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 109 .

2. التعلم في البيوت والتعليم المتنقل:

وتشير بعض المصادر إلى أن هناك العديد من الطلاب من تعلم العلم في بيته وصار من العلماء فيما بعد ، ولم يدرس في المساجد أو المدارس وذلك راجع إلى أن العلماء يمكثون في بيته لفترات طويلة. كما حدث مع أبي محمد عبيدة بن أفلح (ق 4 هـ / 10 م) : " قيل: يمكث عنده بعضهم أربعة أشهر، وقيل: ستة يطعمهم من ماله "⁽¹⁾، ومن العلماء الذين يكثرون الإقامة عنده أستاذه الشيخ أبو عبد الله بن جلداسن اللالوتي⁽²⁾.

وكذلك نجد أبا موسى عيسى ابن زرعة التملوشايتي، نسبة إلى مدينة تملوشايت⁽³⁾، عاش خلال (ق 4 هـ / 10 م)، الذي كان كريماً وسخي الكف ، تعلم العلم هو الآخر في داره لكثرة ما يتردد عليه العلماء والمشائخ و يقيمون عنده⁽⁴⁾. والتعليم في المنازل إذا جاز لنا التعبير هو أمر يحدث في نطاق ضيق ، للذين لهم قدرة مادية تمكنهم من إطعام المشائخ والصرف علي ما يحتاجونه . وهذا ما يتضح و يتوفر في كل من الشخصيتين السابق ذكرهما : أبي محمد عبيدة بن أفلح الذي كان يطعم شيوخه ويؤويهم ، وكذلك الأمر مع أبي موسى عيسى بن زرعة الذي وصف بالسخاء والكرم، ويوجد بمدينة تملوشايت مسجد يعرف

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 158 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 335 .

(3) . تملوشايت : من مدن الجبل، كانت قديماً تشغل مساحة كبيرة جداً ويتضح ذلك من آثارها فهي تتكون من سبع قرى : قرية القصر نسبة لقصر المدينة، وقرية ماجر، وقرية آبدليل، وقرية أميطار، وقرية إجميجل، وقرية توزنرت. قرية ثلاث خرب، ويحدها من الغرب مدينة طمزين، ومن الشرق تدميرة: ومن الشمال جبل أبو نصر، ومن الجنوب شعبة السانية ويليها جبال ووديان، زرقتا عام 2004، ينظر الصورة رقم (27) .

(4) . المصدر نفسه، ص 316 .

باسمه⁽¹⁾. وكذلك الشيخ أبو علي النفوسي من فساطو، وهو من علماء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، كان يقصده المشايخ وطلاب العلم ويمكثون عنده فترات طويلة من الزمن، ويقوم بإطعامهم والإنفاق عليهم⁽²⁾.

كما لاحظت من خلال المصادر التاريخية وجود أساليب وطرق أخرى للتعليم والتعليم في الجبل تمثلت في تنقل بعض العلماء برفقة طلبتهم أحياناً، يطوفون بين القرى والمدن بالجبل من أجل تعليم الآخرين، ونشر العلم والثقافة، وربما تطول فترة التجوال لسنين قبل أن يعود الأستاذ إلى موطنه وأهله، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى ذلك المعنى: " ومنهم أبو النجاة يونس التملوشايبي ، وكان عالماً ورعاً وله حلقة ، وكان يطوف بطلبته في جبل نفوسة غادياً ورائحاً ، يُذكر ، ويوعظ⁽³⁾ ، ويأمر ، وينهي ، وقيل رجع مرة إلى بلده على سبعة أعوام ، وقيل أقام بيفرن عاماً "⁽⁴⁾. وهذه المسألة تتكرر مع علماء آخرين قاموا بنفس الدور، فالشيخ أبو زكريا يحيى بن سفيان اللالوتي، ويبدو أنه كان يخرج بجلقته ومعه تلاميذه ويطوف بهم في مختلف أرجاء الجبل ويذكر البغطوري: " أنه بات وتلاميذه في تمايلت "⁽⁵⁾. وكذلك الشيخ أبو عبيدة جلددين البغطوري المنتسب لقرية بغطورة، وأخذ علومه عن الشيخ أبي عبد الله محمد ابن جلداسن اللالوتي، وكان معروفاً بكثرة الأسئلة إلى شيوخه لشغفه بالعلم والثقافة، عاش جلددين في بداية حياته فقيراً وخصوصاً فترة التعلم فكان لا يأكل الطعام المطهي سوى مرة كل

(1) . مسجد الشيخ أبي موسى عيسى بن زرعة : مازال بحالة جيدة، زرته عام 2004 .

(2) . البغطوري، المصدر السابق ، ورقة 158 .

(3) . الصواب : يعظ .

(4) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 555 .

(5) البغطوري، المصدر السابق، ورقة 12.

أسبوع ، أما في سائر الأيام فانتصر طعامه على الشعير ييله في الماء ثم يصره ويأكله ، كما كان يأكل بعض أنواع النباتات وخاصة ما يعرف بالخبيز⁽¹⁾. غير أن إصراره على مواصلة تعليمه وحبه للعلم والعلماء جعله يتحمل كل الظروف المادية الصعبة ، حتى صار عالماً كبيراً فيما بعد وومن يشار إليه بالبنان. ودرس عليه عدد من الطلاب نذكر منهم على سبيل المثال: توزين بن أبي محمد عبيدة بن زارود التغميني.

كانت له حلقة علمية، ويتبع نظام التجوال بحلقته وطلابه في مختلف قري ومدن الجبل " وكثيراً ما يتزل بأصحابه الذين يتعلمون عنده إلى أوتلجام⁽²⁾ عند أبي يعقوب فيمكث عنده شهراً"⁽³⁾. والشيخ أبو يعقوب هذا كما يصفه الشماخي: " كان غنياً يمكث عنده أبو عبيدة شهراً في بعض الأوقات هو وأصحابه وهو مع ذلك من العماء المشار إليهم"⁽⁴⁾ ويمكن أن نطلق على هذا النوع من التعليم نظام (الحلقات المتجولة) حيث كان يطوف الشيخ أو العالم بحلقته وطلابه في مدن

(1) المصدر نفسه ، ورقة 115 — 116؛ الجيطالي، المصدر السابق، ص 147؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 328 — 329 .

(2) . أوتلجام: من القرى القديمة بالجبل، وتقع فوق ربوة في وسط واد عميق محاطة بالجبال، مازالت آثار مساكنها باقية حول الربوة وفي أعلاها آثار قصر القرية الذي كان يستعمل للتخزين، ويقابله من الجهة الجنوبية آثار بناء آخر يبدو أنه قصبة كانت تستعمل للحراسة والمراقبة، كما توجد بها آثار مقبرة تقع إلى الشمال من القرية، ويحدها من الشمال مجرى وادي أوتلجام الرئيسي، ومن الجنوب جبل عال فوقه قصر الباروني، ومن الغرب قرية ترغست في أعلي جبل ترغت وتبعد عنها حوالي 4 كلم، ومن الشرق وادي مجري وادي أوتلجام، وتبعد عن قرية دجسي إلى الغرب حوالي 6 كلم تقريباً، وأقرب مياه الشرب للقرية آبار آوزقر إلى الجنوب الغربي منها، زرتمًا عام 2004، ينظر الصورة رقم (28) .

(3) الشماخي، المصدر السابق، 228 — 229 .

(4) . المصدر نفسه، ص331.

وقرى الجبل ويجلس إليهم الناس من مختلف الأعمار رجالاً ونساء وبذلك ينتشر العلم في البقاع.

ويمكن للدراسة أن تتساءل عن أسباب ذلك التنقل والترحال بين المدن والقرى؟ لوحظ أن بعض علماء الجبل لا ينتظرون مجيء الطلاب والتلاميذ للجلوس عندهم لتلقي العلوم! بل كانوا يرون ضرورة الخروج إلى الناس عامة، ومشاهدة ما يجري بينهم حتى يتسني لهم تقييم الأوضاع عن قرب، ومن ثم يتمكنون من محاربة الجهل، ويُقَوِّمون الانحرافات والأخطاء. خاصة في المناطق والأحياء التي ينعدم فيها وجود العلماء والعلمين والمدارس، ومن ناحية أخرى ليتمكن الذين لم تتوفر لهم الإمكانية للسفر وطلب العلم وخاصة النساء والعجائز، كما فعل الشيخ أبو حسان خيران بن ملال الفرسطائي: "عاداته التنقل في المنازل [القرى] لإحياء الدين، وتقوية الضعفاء، وتعليم الجهال، وتبنيه الغفال وربما مكث في ذلك زماناً لا يرجع إلى أهله، وتحضر العجائز والنساء مجالسه"⁽¹⁾ ومن عاداته أيضاً زيارة إحدى نساء الجبل وكانت معروفة بالعلم والكرم، وهي أم الربيع من قرية وربوري⁽²⁾ ويمكث عندها فترات طويلة ويقوم بمجالسه العلمية في بيتها، وليس هذا فحسب بل كانت تساعده من الناحية المادية في بعض الظروف والمناسبات⁽³⁾، وهنا يتضح دور المرأة العلمي والاجتماعي في الجبل إلى جانب

(1) المصدر نفسه، ص 309 .

(2) . وربوري : من قري الجبل القديمة، وهي تقع في وادي الشيخ، إلى الغرب من مدينة كباو .

(3) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 18. ومن تلك المناسبات يذكر البغطوري في نفس الورقة: "أن الشيخ أبا حسان كان فقيراً، وفي إحدى زيارته لأم الربيع الوريورية، وكان الوقت قريب من عيد الأضحى، وفكر هو أن يمكث عندها في هذه المناسبة، إلا أنها وبدون علمه أرسلت مع خادمها إلى أهل بيته شاة ومعها كل مستلزمات العيد، وفي يوم الوقوف بعرفات، قالت للشيخ قم وألحق بأهلك، ولما رجع إلى بيته كارهاً، وجد لديهم كل ما يحتاجه الناس في عيدهم".

الرجال دون أي تخرج. كما أن الشيخ أبا زكرياء يحيى بن أبي يحيى⁽¹⁾ ق: (5م/11م) الذي يتنقل بحلقته وطلابه في مختلف بلاد يفرن⁽²⁾ لنشر العلم ، ولتذكير الناس ووعظهم⁽³⁾.

ويفهم من خلال ما تقدم أن نزول العلماء إلى الناس والذهاب إليهم ، وعدم انتظارهم تعد سمة حسنة لأولئك العلماء ، ودلالة على تواضعهم ، ورغبتهم الصادقة في بذل الجهد من أجل نشر العلم وتعميمه بين الناس ، وأن هذا الأسلوب لوحظ تكراره مع أكثر من عالم على مختلف القرون الوسيطة ، وبذلك يمكن أن نقول أن التعليم المتنقل يعد ظاهرة إيجابية تسير في خط ازدهار الحياة العلمية في جبل نفوسة . كما أن تنقل العلماء في أرجاء الجبل يتيح لهم فرصة لقاء علماء آخرين، ومن الطبيعي أن تثار بينهم المسائل العلمية ، والنوازل الفقهية والكلامية ، فيقومون بالمناقشات والحوارات ، وبذلك تتلاقح الأفكار وتنتشر العلوم والفنون، وتزدهر الحلقات والمجالس العلمية.

(1) . لم تحدث المصادر الإباضية عن هذه الشخصية سوى الشماخي في سيره، وروى عنه المؤرخ أبو زكريا يحيى الوارجلاني في كتابه: (الأخبار وسير الأئمة). محمد بابا عمي، المرجع السابق، ص453.

(2) . لا يقصد بيفرن هنا (مدينة يفرن الحالية) فقط ، وإنما على كل المناطق المجاورة لها التي يطلق عليها وقتذاك (وطن يفرن)، أو (جزيرة يفرن)، وتحدد حوزتها من سفيط إلى هنشير البحيرة، ومن زارة إلى حجرة مزغورة وهي تمثل القسم الثالث والشرقي لجبل نفوسة . ينظر : حبس لأملاك معتوق بن سالم بن جراد الميكاطي الشقروني الورسطفي ، وثيقة ، مكتبة الاستاذ عبد الله الشماخي ، يفرن ، بدون تصنيف . ورقة 1 .

(3) الشماخي ، المصدر السابق ، ص 553 – 554 .

3. الحلقات والمجالس العلمية:

وتعد الحلقات والمجالس العلمية من الوسائط التعليمية والثقافية المتوفرة أمام طلاب العلم في جبل نفوسة، إضافة للوسائط الأخرى التي ذكرناها سابقاً والمتمثلة في: (الكتاتيب، والمدارس، والمساجد، والمكتبات)، وإلى الرحلات العلمية لمن تسمح لهم ظروفهم وإمكانياتهم المادية وغيرها للسفر إلى المراكز الحضارية الإسلامية المعروفة وقتذاك. وكانت تلك المجالس مفتوحة أمام الجنسين رجالاً ونساءً ويشير البغطوري إلى هذا المعنى قائلاً: " أن المشائخ كانوا قد اجتمعوا بموضع يسمى تين درشل⁽¹⁾، فوجهت [أي آمة الواحد] أبا عامر وضارتها، وقالت لهما: احضرا انتما مع الجماعة ... ثم أرسلت إليهما أن أجتهدا فيما كنتما فيه من الخير⁽²⁾". وفي الحقيقة هناك العديد من الأمثلة التاريخية التي تؤكد على مشاركة المرأة في المجالس العلمية إلى جانب الرجال، وليس هذا فحسب بل إنها كثيراً ما تشارك بآرائها وأفكارها.

وهناك نص آخر للبغطوري يشير إلى أهمية المكان في (تين درشل) المذكور في النص السابق، ويبدو أنه كان من الأماكن المعروفة لإنعقاد المجالس العلمية حيث يقول البغطوري: " أن جماعة اجتمعوا بموضع يسمى تين درشل في طلب العلم، وفيهم أبو نصر من أهل تمصص وكان هو المفتي لهم، وفيهم نفاث بن نصر، وكان يلقي عليهم مسائل ولم يعلم بما أبو نصر حتى جاءهم مهدي وعمروس بن فتح ولما وصلا سكت نفاث⁽³⁾، ونستنتج من هذا النص أن بعض المجالس العلمية كانت تعقد من أجل المناظرات والمحاورات العلمية والكلامية خاصة

(1). تين درشل: هي نفسها قرية: دركل التي ذكرناها فيما سبق، راجعها صفحة 75، هامش (1).

(2). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 84.

(3). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 108 – 109.

هنا وبحضور الشيخ نفاث بن نصر وهو المعروف بمعارضته لمشائخ وعلماء الجبل في العديد من المسائل الفقهية والكلامية.

إذن فالحلقات والمجالس العلمية برزت في المنطقة وأثرت بشكل كبير في الحياة الفكرية، ومن خلال المصادر التاريخية نلاحظ تنوع واختلاف الأماكن التي تعقد بها تلك الحلقات والمجالس⁽¹⁾، فتارة تكون في المدارس والمساجد وتارات أخرى في منازل العلماء والمشائخ، وحتى في الساحات العامة والغابات. وكان يقصدها من يرغب فيها دون قيود، ومن المشائخ الذين كانت له حلقة علم، الشيخ يحيى بن يونس السدراتي أبو زكريا الوزيري، ق: (3هـ/9م)، وينتسب إلى قرية وتزيرف، تحدثت عنه كتب السير والطبقات مشيرة إلى صلاحه وتقواه، وأدائه للمعروف، قال عنه الدرجيني: " أبو زكريا يحيى بن يونس رحمه الله كان من أهل الورع والزهد، ومن أخذ نفسه بالمعهد والجهد ساعياً في الصلاح، داعياً إلى طرق الفلاح، هادياً إلى الرشاد، مغيراً للفساد"، ويذكر له آثار تدل على كرم أخلاق، ورفعة نفس وطهارة قلب. وشيخنا أبو زكريا هذا كانت له حلقة للتعليم درس عليه فيها طلاب صاروا فيما بعد علماء أجلاء لهم شأنهم في التاريخ العلمي والثقافي ببلاد الغرب الإسلامي منهم تلميذه: أبو مسور يسجا بن يوجين اليهراسني، ذلك العالم الكبير الذي قدم من الجنوب التونسي، وفور تخرجه رحل لجزيرة جربة وكان له فيها شأن علمي كبير.

(1). لاحظت في المصادر التاريخية أن هناك داراً يطلق عليها: دار بني عبد الله، وهي دار أبو محمد الدرقي، وكانت بمدينة جادو، والدليل على أنما بجادو ما أورده البغطوري قائلًا: " ورورى أنه [الشيخ ابن اكبث]، لما وقع في مرضه الذي مات فيه في دار بني عبد الله في سوق جادو"، وفي هذه الدار كان يجتمع فيها العلماء والمشائخ من الجبل وقيمون فيها مجالسهم العلمية، وبعض العلماء كان يطلق عليها دار الجهاد، وموضع الرباط، وذلك لدورها العلمي والثقافي في جبل نفوسة. البغطوري، المصدر السابق، ورقة 27؛ الشماخي، المصدر السابق، ص ؛

ومن حلقات العلم بالجبل، حلقة الشيخ أبو ميمون بن أحمد الجيطالي (ت: 283هـ/896م)، وهذه الحلقة لا تعرف الإنقطاع أو الفتور في مختلف الأحوال في الإقامة والترحال⁽¹⁾. ومن العلماء الذين كانوا يعقدون مجالس علمية الشيخ أبو الشعثاء السننوي نسبة إلى قرية سنتوت⁽²⁾، وكان عالماً عاملاً ورعاً، وكانت النساء تحضر مجالسه ليلاً ومعهن أولادهن، ويأتون إليه من مسافات بعيدة تقدر بعضها بأربعة وعشرين ميلاً⁽³⁾.

ويبدو أن لمعركة مانو أثر كبير على الحركة العلمية والثقافية بالجبل، كيف لا، وقد مات فيها عددٌ هائل من العلماء قدره البعض بأربعمائة عالم ولهذا السبب كان على عاتق العلماء والمشائخ الناجين في هذه الموقعة عبء كبير في الحفاظ الجانب الفكري والعلمي: من استمرار المجالس العلمية، وإنشاء الحلقات الدراسية وغير ذلك. ومن أولئك العلماء الشيخ أبو القاسم البغطوري الذي صار: " يصل بهم مجلس الليل مجلس النهار، فيمد رجله، فيقول: أذنوا أن أمد رجلي فإن الكبير ذو عيوب، وكان له من العمر مائة وعشرون سنة "⁽⁴⁾.

ومن خلال كل تلك الوسائط التعليمية المتعددة أمام طلاب العلم في جبل نفوسة اختار كل طالب ما يناسبه ويلئم ظروفه الاجتماعية والاقتصادية، للوصول إلى تحقيق أهدافهم العلمية والثقافية تدرجاً في مراحل التعليم والتعلم.

(1). الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص294 – 295.

(2). سنتوت: من قرى جبل نفوسة، وحالياً من ضمن مدينة الرجبان، وصيغة الإنتساب إليها السننوي، وموقعها بالنسبة للشماخي هي: قصر يقع في قمة صخرة ضخمة يوجد بها مسجد، وهذا الموضع من أقدم المواقع بالجبل.

(3). الشماخي، المصدر السابق، ص246.

(4). البغطوري، المصدر السابق، ورقة114.

4. المراحل التعليمية ومناهجها الدراسية :

تعد المؤسسات التعليمية: (مساجد، مدارس، مكتبات) هي اللبنة الأولى التي أسهمت بشكل كبير في تجدير وترسيخ الحركة العلمية في بداياتها خاصة وإبراز أهمية الثقافة والتعلم في المنطقة طيلة القرون الوسطى عموماً. وكان التلاميذ والطلاب يجتازون ثلاث مراحل تعليمية وهي: مرحلة التعليم الابتدائي ، فمرحلة التعليم المتوسط، ثم مرحلة التعليم العالي، وبين المراحل الثلاث تناسق وترابط من حيث المواد المدروسة لكل مرحلة ومناهجها .

ويشير الشماخي إلى تلك المراحل التعليمية: فيبدأ الطلبة بتعليم السير وآداب الصالحين، ثم ينتقلون إلى مرحلة تالية ومتوسطة فيدرس فيها قراءة القرآن واللغة العربية والإعراب ، وأخيراً يصلون إلى المرحلة العالية ويدرس فيها الطالب علم الكلام وأصول الدين والمنطق⁽¹⁾. وتلك المراحل التعليمية الثلاث شبهها العلماء والمشائخ ، بعمل ثلاث نجارين الأول يقطع الأخشاب من الغابة ، والثاني يشقها ثم ينشرها ، والثالث يركب الألواح ويدق مساميرها، وأخيراً تكون في صورة شيء يصلح استعماله⁽²⁾. والعلوم التي ذكرت سابقاً ليست هي فقط ما درسه طلاب الجبل في مراحل تعليمهم ، وإنما هناك علوم أخرى سيأتي ذكرها .

ومن طرق التدريس المتبعة في مساجد ومدارس الجبل، التي هي نفس الطريقة المتبعة في أغلب مدارس ومساجد العالم الإسلامي، وهي طريقة الإملاء، أي أن يملي الشيخ على طلابه وهم يكتبون في كراريس خاصة بهم، ثم يقوم المعلم أو الشيخ بتصحيح ما كتبه التلاميذ⁽³⁾.

(1) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 397 – 398 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 517 .

(3) . البغظوري، المصدر السابق، ورقة 37 .

1 (مرحلة التعليم الابتدائي :

وهي المرحلة الأساسية والأولي للتلاميذ، وحرص الأباء في ذلك العهد — كما هو في وقتنا الحالي — على أن يبدأ أولادهم التعليم في سن مبكرة، كما يقول الشاعر : (بسيط)

عَلِمَ بَنِيكَ صِغَاراً قَبْلَ كِبَرَتِهِمْ
إِذْ لَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْكِبَرَةِ الْأَدَبُ
إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا اعْتَدَلَتْ
وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهَا الْخَشْبُ .

وتتضح أهمية التعليم في الصغر من خلال تلك الأبيات، التي يرى ابن خلدون أنها فترة أشد رسوخاً، وهي أصل وأساس لما بعدها من مراحل تعليم الإنسان⁽¹⁾. ويتعرفون فيها مبادئ القراءة والكتابة، وغالباً ما تتراوح أعمار تلاميذ هذه المرحلة ما بين الخامسة والخامسة عشرة، وهي مرحلة الصبا، ويطلق على أستاذها معلم الصبيان، وكان أهالي الجبل يحرصون على تحفيظ القرآن الكريم لأبنائهم منذ صغرهم، وهذا ما تعارفت عليه أغلب بلدان العالم الإسلامي كما أشار لذلك ابن خلدون قائلاً: " واعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده... وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعد من

(1) . ابن خلدون، المقدمة، ص 494 .

الملكات" (1). وبذلك تتبين أهمية تعليم القرآن للصغار ليتربوا على تعاليمه، ويتخلقوا بأخلاقه الفاضلة، في تلك المرحلة التعليمية المبكرة، ومن أجل ذلك أنشأ عمرو ابن يمكتن مدرسته بالجبل لتحفيظ القرآن الكريم في وقت قلّ فيه المعلمون (2)، ويتم التعليم في هذه المرحلة في مختلف المساجد بقرى ومدن الجبل.

2 (مرحلة التعليم المتوسط :

يبدأ الطالب هذه المرحلة المتوسطة من تعليمه بعد اجتيازه المرحلة الابتدائية بنجاح، وليس هناك سن محددة لولوجها وإنما هي مفتوحة للجميع، ويتم التعليم فيها بمختلف مدارس ومساجد الجبل، وغالباً ما تكون الدراسة في فترات المساء مثل ما يقوم به الشيخ أبو سهل البستوني مع طلبته بمسجد امسراتن حيث يبدأ في التدريس بعد صلاة العصر وإلى صلاة المغرب (3). وبرنامج الدراسة يقتصر على الكتب المبسطة في اللغة والنحو والفقہ والحديث والمنطق وغيرها. ومن بين الكتب الفقهيّة التي يدرسونها كتاب الوضع لأبي زكرياء يحيى الجناوني (4)، وكتاب ديوان العزابة الذي ألف من أجل أن يكون سهل الحفظ على المبتدئين في دراسة الفقہ (5) ومن الكتب اللغوية التي يدرسها الطلاب على سبيل المثال: كتاب جمل الزجاج في النحو، ومقامات الحريري، وكتاب الدعائم، والأشعار الستة. وكان بعض أغنياء

(1) . ابن خلدون ، المقدمة ، ص 493 – 494 .

(2) . ابن سلام الاباضي ، المصدر السابق ، 126 .

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 334 .

(4) ا لشماخي، المصدر السابق، ص 551، والشماخي يذكره الجادوي، وأظنه تصحيحاً من النسخ، لأن كتاب الوضع ألفه أبو زكرياء يحيى الجناوني .

(5) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 455 – 456 .

البلد ومياسيرها يصرفون على الطلبة ما يحتاجونه من متطلبات وأحياناً يقوم المعلمون أنفسهم بذلك ، وهذا يكون دافعا كبيرا للذين تكون حالتهم المادية صعبة لإتمام دراستهم وتعليمهم .

3) مرحلة التعليم العالي :

وتعد هذه المرحلة هي أعلى مراحل التعليم في الجبل ، ولم تكن هناك سن معينة لدخولها ، وغالباً ما يصل إليها الطلاب الأذكياء والراغبون في مواصلة تعليمهم ، والملاحظ أنها غير محددة بسنوات للدراسة ، فقد ظل أبو هارون الجلاملي، يتعلم عند الشيخ أبي القاسم البغطوري، مدة ثلاثين سنة⁽¹⁾. ومكث ابن معبد الجناوني (ق 3هـ / 9 م) ، يتعلم عند سعد بن أبي يونس الطمزي، مدة عشرين سنة⁽²⁾. وكذلك ظل أبو يوسف مجدول الترعغي (ق 4هـ / 10 م)، في تعليمه على يد شيخه أبي محمد الكباوي (ق 4هـ / 10 م) ، خمس عشرة سنة وبعد وفاة شيخه المذكور انتقل إلى الشيخ أبي محمد الدرني (ق 4هـ / 10 م) ، وتعلم عنده مدة سبع عشرة سنة⁽³⁾. فالملاحظ أن فترات الدراسة في هذه المرحلة تطول سنين عديدة وذلك راجع إلى نوعية العلوم التي يدرسونها من ناحية، ومن ناحية أخرى للتخصص في اتجاهات علمية معينة ، فكل ذلك يحتاج إلى دراسة التفصيلات بشكل موسع ، ومناقشة المسائل على مستوى أمهات الكتب المعروفة لديهم حينذاك .

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 278 .

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة ، 141 .

(3) . الجيطالي ، المصدر السابق ، ص 92 .

وكانت المدارس وكذلك المساجد هي الأمكنة التي يتعلم بها طلاب هذه المرحلة ومنها علي سبيل المثال : مسجد أبنان الذي يعد مدرسة للتعليم العالي ومن أشهر من درّس به الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون التملوشايتي (ق 4 هـ / 10 م) ، وتخرج على يديه علماء كثيرين منهم : أبو زكرياء يحيى بن الخير الجناوني، الذي كان طالباً بتلك المدرسة ويقوم بالتدريس في نفس الوقت⁽¹⁾. وأيضاً من المدارس التي كانت على مستوى عالٍ في التعليم هي مدرسة أبي موسى عيسي الطرميسي، ونجحت مدرسته نجاحاً فريداً بين المدارس الأخرى بكونها تشجع الطلاب والمتميزين منهم على التأليف وعدم الاكتفاء بالراوية ، وقد استجاب عدد منهم لتوجيه شيخهم، منهم علي سبيل المثال : الشيخ أبو ساكن عامر ابن علي الشماخي الذي ألف كتاب الإيضاح في الفقه ، والشيخ إسماعيل الجيطالي، صاحب كتاب قناطر الخيرات وغيرهما من المؤلفات لكلا الشيخين .

ومن ضمن العلوم التي تدرس في تلك الفترة هي : أصول الدين وعلم الكلام ، والمناظرة ، والمنطق وغيرها . وفيما يتعلق بنماذج من الكتب التي تداولها طلاب المرحلة العليا : كتاب العدل في أصول الفقه للشيخ أبي يعقوب بن إبراهيم الورجلاني⁽²⁾، وكتاب مختصر ابن محبوب (ت 260هـ / 873 م) في

(1) . دبور ، المرجع السابق ، ص 408 .

(2) . هو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الورجلاني: ولد بمدينة وارجلان (500 هـ/1106 م) جنوب شرقي الجزائر، تعلم بما على يد مشائخها مثل : الشيخ أبي سليمان أيوب بن إسماعيل، وأبي زكريا يحيى بن أبي زكريا، وأبو عمار عبد الكافي التناوي الورجلاني، وتعدده المصادر الإباضية من أبرز العلماء وخاصة في علم الكلام، وكان شغوفاً بطلب العلم فشد الرحال إلى الأندلس وأقام بقربة متعلماً، كما سافر إلى بلاد السودان في رحلة علمية وتجارية. ووصل إلى منطقة خط الاستواء، له عدة مؤلفات منها : تفسير القرآن الكريم، كتاب الدليل والبرهان، كتاب العدل والإنصاف، كتاب مرج البحرين، كتاب فتوح المغرب في تاريخ بلاد المغرب، القصيدة الحجازية وغيرها من الكتب . ينظر : محمد بابا عمي ، المرجع السابق ، ص 481 — 483 .

أصول الدين، وكان الطلاب يستعينون في مذاكرتهم وبحثهم في العلوم بمكتبات
الجبل التي تزخر بأنواع التصانيف والمؤلفات ويقفون فيها لفترات طويلة للدراسة
والتعلم⁽¹⁾.

وبذلك يلاحظ الازدهار العلمي والثقافي لجبل نفوسة الأمر الذي جعله
مركزاً من مراكز العلم والحضارة في العالم الإسلامي ، ومن ثم توجه طلاب العلم
من مختلف المناطق المجاورة إلى الجبل للدراسة وطلب العلم .

(1) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 445 .

5. الرحلة العلمية خارج الجبل:

يعد جبل نفوسة من ضمن بلدان العالم الإسلامي، وكانت تربطه بذلك المحيط الكبير علاقات مختلفة سيما الثقافية منها، وعلى ذلك شد بعض العلماء وطلاب العلم الرحال لأهم الحواضر الإسلامية، طالبين للعلوم والمعارف، وناشرين في نفس الوقت ما لديهم في هذا الحقل الإنساني. والبعض منهم بعد أن ينهي مهامه (معلماً أو متعلماً) يرجع إلى وطنه ليساهم في نمضته الفكرية، والبعض الآخر ينتقل بين عدة أماكن وفي النهاية يحط رحاله في مكان معين يتخذه مستقراً ومقاماً وربما يتزوج في تلك البقاع وينجب أولاداً فينتسبون لذلك المكان. وهناك تثمر إبداعاته وتنضج ويحين أكلها، بمعنى أن البعض من العلماء كان لجبل نفوسة دور التكوين والمخاض، والبقاع الأخرى تشهد مرحلة إنتاجهم وعطائهم. ولنا أمثلة كثيرة في هذا الصدد سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

وتعد رحلة الشيخ محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني⁽¹⁾ (كان حياً عام 160هـ/778م) إلى مدينة البصرة⁽²⁾ بالعراق، أول الرحلات العلمية التي خرجت من جبل نفوسة. وتلمذه هناك على يد الشيخ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة⁽³⁾ (ت: 145هـ/762م)، فدرس عليه الفقه وغيرها من العلوم، وبعدما أنهى

(1) لم تتوفر لدي معلومات حالياً حول المدة التي بقي فيها ابن مغطير بالبصرة طالباً للعلم. واسمه بالكامل هو: محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني النفوسي، وليس كما ذكره الدكتور: صالح مفتاح بأنه: محمد بن عبد الحميد مفيطر النفوسي الجذاوي، صالح مصطفى مفتاح، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، طرابلس: الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1978م، ص 251.

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 140 .

(3) . أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: من أبرز علماء الإباضية في المشرق وهو تلميذ الإمام جابر بن زيد.

ابن مغطير تعليمه بالعراق قفل راجعاً إلى موطنه في حدود عام (135هـ / 753م)، ونقل أساليب التعليم التي عرفها بالبصرة لنشرها بين سكان الجبل، وصار مفتياً إلى رجوع البعثة العلمية⁽¹⁾ لبلاد المغرب فسكت عن الفتوى⁽²⁾. وبذلك يكون ابن مغطير الجناوني هو رائد الرحلات العلمية في جبل نفوسة، "وتعد الرحلة من أعلى مراحل التعليم الإسلامي، وأسهمت بشكل كبير في توحيد ثقافة العالم الإسلامي"⁽³⁾.

ويبدو أن ابن مغطير كان يتمتع بمكانة علمية واجتماعية عالية في مجتمعه إلى درجة أن الامام عبد الوهاب بن رستم (ت211هـ / 829م)، أثناء تواجده بالجبل أوكل إلى ابن مغطير أن يحكم بين متخاصمين في حضوره⁽⁴⁾. وهذا يشهد على المستوى العلمي والفقهي الذي بلغه ابن مغطير الجناوني. وهذا ليس بغريب على شخص فقيه، وجاد، يرى فيه بعض الباحثين المعاصرين إلى أنه: أول من جمع

(1) البعثة العلمية وتتكون من: أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري من: (اليمن)، وعبد الرحمن بن رستم، (أصله فارسي) من: القيروان، وإسماعيل بن درار الغدامسي من: (غدامس)، وأبي داود القبلي النفاوي من: (نفزة) بالجنوب التونسي، وعاصم السدراتي من: (سدراته) غربي الأوراس، سافر هؤلاء الخمسة إلى البصرة من أجل طلب العلم، فتلمذوا على يد الشيخ أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة، ومكثوا عنده خمس سنوات من (135هـ / 752م - 140هـ / 757م)، وهي أول رحلة علمية جماعية اتصل بها المغرب بالشرق لنشر الثقافة العربية الإسلامية والفكر الإنساني، ينظر: الوردجلاي، المصدر السابق، ورقة 6.

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 143 .

(3) . محمد عيسي، تاريخ التعليم في الأندلس، القاهرة: دار الفكر العربي، 1982، ص 409. وللتأكيد على توحيد ثقافة العالم الإسلامي، والرموز التي ناضلت من أجل ذلك الهدف النبيل ستظل الأجيال القادمة تذكر دوماً رحلة هذا العالم اللبي الذي قطع المفاوز والقفار في ظروف شديدة الصعوبة من أجل المعرفة والثقافة.

(4) . الوردجلاي، المصدر السابق، ورقة 26.

القرآن الكريم كله في جبل نفوسة وحفظه⁽¹⁾، وفي الحقيقة لم أقف على هذه المعلومة في المصادر التاريخية، وكتب السير والطبقات الإباضية المعروفة⁽²⁾.

ومن كبار علماء جبل نفوسة الذين فضلوا الرحلة لطلب العلوم ونشر الثقافة الإسلامية في ربوع المعمورة، الشيخ الجليل: لو اب بن سلام الأغرميماني التوزري ق: (3هـ/9م)، يرجع أصله إلى قرية أغرميمان نشأ وترى في أحضان عائلة تتم بالعلم والثقافة، ومن مشائخه الذين تتلمذ عليهم في أول أمره الشيخ: أبي كبة التنكيسي، ويبدو أنه أستقر في توزر⁽³⁾ وهذا نفهمه من خلال اللقب الأخير (التوزري)، وكان عالماً بالأصول والفروع كما أهتم بعلم الكلام، سافر للحج وألتقي هناك بعلماء من عمان، له كتاب في السير والتاريخ ومسائل في الفقه والكلام وهو: (بدء الإسلام وشرائع الدين). كما يبدو أن ابن سلام قد راسل خلف بن السمح، وألتقي به في جندوبة (27هـ/884م). ونفهم من ذلك أهمية شخصية ابن سلام في الأحداث التاريخية وقتذاك، بالاضافة إلى كثرة أسفاره ورحلاته.

(1) . أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 133 - 134. صالح معيوف، المرجع السابق، ص 90. ليست هناك إيالة إلى مصدر معين لإثبات تلك المعلومة من قبل كلا الباحثين .

(2) . كتب السير والطبقات التي اهتم بتاريخ الجبل وعلمانه مثل : كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي بكر الوارجلاني (ق 5 هـ / 11م)، وسر أبي الربيع الوسياني (ق 6 هـ / 12م)، وسر البغطوري (ق 6 هـ / 12م)، وطبقات الدرجيني (ت 750هـ)، وسر الشماخي (ت 928 هـ / 1521م)، جواهر البرادي (ق 8هـ/14م) ..

(3) . توزر: عاصمة بلاد الجريد وهي مدينة في أقصى أفريقية من نواحي الزاب الكبير من أعمال الجريد، وهي معمورة، وأرضها سبخة، لها نخل كثير، وعليها سور مبني بالحجر والطوب، انظر: صالح باجيه، الإباضية بالجريد، تونس: دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1976، ص9.

ومن علماء الجبل الذين شدوا الرحال من أجل طلب العلم ونشره بين الناس في مختلف الأوطان، الشيخ أبو الربيع سليمان بن زرقون التابديوتي النفوسي، ق: (4هـ/9م)، وهذا الشيخ الجليل من قرية تابديوت النفوسية، ودرس في تعليمه بقري الجبل، ولما وفد الشيخ ابن الجمع من المشرق سافر بصحبته إلى توزر بتونس أولاً، ثم رافقه إلى مدينة سجلماسة⁽¹⁾ فيما بعد، وخلال تلك الرحلات والتنقلات مع شيخه كان يجلس عند للتعلم. ومكث بسجلماسة حتى وفاة شيخه، فعاد إثر ذلك إلى قسطالية وعين مفتياً فيها. وكان شيخه معجباً به لكثرة علمه وذكائه، فأوصى له بجميع كتبه، وتصدر للتدريس فتخرج على يديه علماء كبار أمثال: أبو القاسم يزيد بن مخلد، وأبو خزر يغلي بن زلتاف. ترك ديواناً مشهوراً بديوان أبي الربيع.

ومن علماء جبل نفوسة الذين هاجروا إلى مدينة وارجلان، الشيخ أبو عمرو عيسى بن سجميمان النفوسي، ق: (4هـ/10م)، وكان معاصراً للمؤرخ أبو الربيع الوسياني، وروى عنه في كتابه التاريخي: (سير أبو الربيع)⁽²⁾، بعض

(1) . سجلماسة: مدينة وسطية من حد تاهرت إلا أنها منقطعة لا يسلك إليها إلا في القفار والرمال، وهي قرية من معدن الذهب، بينها وبين أرض السودان وأرض زويلة، انظر: ابن إسحق الأصبخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد الحيني، مصر: وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1961، ص34.

(2) . سير أبي الربيع الوسياني: مؤلفه أبو الربيع سليمان بن عبد السلام ابن حسان بن عبد الله الوسياني، الذي لم يعرفنا للأسف بنفسه، يرجع إلى بني وسيان من قبائل بني يفرن، وهو يعد من علماء ومؤرخي الاباضية المشهورين خلال القرن (6هـ/12م)، وكتابه في السير والمناقب، ومعروف بسير الوسياني، كما يمكن أن يصنف ضمن كتب الفقه، وبالإطلاع على المخطوط تبين أنه يحتوي على ثلاث أجزاء يبدأ كلاً منها بمقدمة وينتهي بخاتمة. للمزيد انظر: سعد زغلول عبد الحميد، هامش على مصادر تاريخ الاباضية في المغرب (دراسة لكتاب السير)، أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، ج1، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، 1979، ص53 — 91.

الروايات التاريخية، كما عاصر الشيخ العالم الكبير أبو الربيع سليمان بن زرقون التابديوتي وتلقي عنه بعض علومه⁽¹⁾.

وهناك أسرة بجبل نفوسة لها شأن كبير في العلم والثقافة، وهي (أسرة بكر الفرستائي)، وترجع أصول هذه الأسرة إلى قرية فرسطا، وأختارت الرحيل والهجرة من الجبل على ما يبدو في (أوائل ق: 4هـ/10م) إلى الجنوب التونسي ومنه الإستقرار بالجنوب الجزائري، (بلاد أريغ)، ومن أفراد تلك العائلة جدهم: بكر بن أبي بكر الفرستائي النفوسي ق: (4هـ/10م)، الذي تلقى تعليمه أولاً بجبل نفوسة على يد الشيخ سليمان بن ماطوس الشروسي، ثم رحل من الجبل واستقر بأريغ وصار من أعلامها وفقهائها الكبار، ويذكر المؤرخ أبو الربيع الوسياني: أن للشيخ بكر عدة مسائل فقهية وله حكم وفتاوي تحويها بطون الكتب⁽²⁾. انجب ولداً سيكون من أقطاب العلماء وأبرز المصلحين والمفكرين. وهو الشيخ أبو عبد الله محمد الفرستائي.

ومن العلماء الذين هاجروا من الجبل وذاع صيتهم في الآفاق، الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستائي ولد: (345هـ/956م)، بقرية فرسطا، أي قبل رحيل والده من الجبل، وفي تلك القرية تلقى تعليمه الأول، ثم أخذ في التنقل والترحال بين القري والمدن طالباً للعلم، فمن القيروان إلى جربة فالحامة، وفي كل مركز حضاري أقام فيه نهل منه ما يروي عطشه الثقافي والفكري، ففي الأولى أخذ علم اللغة العربية (الإعراب والنحو)⁽³⁾، والمنطق، وفي

(1). الوسياني، المصدر السابق، ورقة ؟

(2). المصدر نفسه، ورقة ؟

(3). يورد المؤرخ الوسياني في هذا الصدد رواية تبين كيف وصل أبو عبد الله إلى القيروان، والطريقة التي أستقبل بها قائلًا: " توجه ... إلى القيروان يتعلم الإعراب والنحو، فقصد مؤدباً يعلمه قبل ذلك، فقال له المؤدب أوصني بك

الثانية أهتم بعلوم الشريعة من فقه وحديث وتفسير وغيرها، متلمذاً على يد الشيخ أبي زكريا فصيل بن أبي مسور، وفي الأخيرة جلس إلى شيخه أبي نوح سعيد بن زنگيل. ثم سافر إلى قسطنطينية عازماً الأخذ عن الشيخ أبي عمران موسى بن زكريا، إلا أن الوفد القادم من جربة أقنعه بضرورة التفرغ لتأسيس نظام العزابة⁽¹⁾، وبالفعل قام بهذه المهمة خير قيام وهي التي جعلته كثير الأسفار والتنقل في بلاد المغرب من جبال نفوسة شرقاً إلى وادي ميزاب⁽²⁾ غرباً، ومن المناطق التي استقر بها لتعليم الناس أمور دينهم ولنشر الثقافة والمعارف: جبل نفوسة، طرابلس، لماية، جربة، تين يسلي، قسطنطينية، تفاجالت، وادي أريغ، وغلانة، قنطرة⁽³⁾، وارجلان، بادية بني مصعب، ولهذا عرف بين العامة (بسيدي محمد السائح)، ومن

إلى مؤدب أعلى مني في هذا الباب، فكتب إليه كتاباً... ودخل أبو عبد الله محمد فسلم إلى المؤدب الكتاب، ووقف أبو عبد الله بعتبة الباب، فصار المؤدب يقرأ الكتاب حتى سمع أبو عبد الله قول السلام عليكم خاتمة الكتاب، فدخل أبو عبد الله فسلم على المؤدب، فوجد أبو عبد الله صبيانه يتعلمون في علة العلل" للمزيد انظر: أبو الربيع الوسياني، المصدر السابق، ورقة 65.

(1) . نظام العزابة: يعد الشيخ أبو عبد الله محمد الفرستاني المؤسس لنظام العزابة وهو نظام تربوي: (ديني اجتماعي)، وجاء تأسيسه بناء على طلب من شيخه أبو زكريا فصيل بن مسور، ويسير نظام العزابة وفق قوانين وأنظمة صارمة، ومعنى العزابي: من العزوب عن الدنيا والإقبال على الآخرة، وحلقات العزابة مقسمة إلى ثلاث مجموعات وهي: الأصاغر والأواسط والأكابر.

(2) . وادي ميزاب: يقع في جنوب الجزائر (اليوم) وفي شمال الصحراء الكبرى في ناحية تسمى الشبكة وهي منطقة جميلة تتخلها الأودية، وتبعد ميزاب عن العاصمة الجزائر حوالي 600 كلم، ويتكون الوادي من سبع مدن وهي: العطف، وبنورة، ومليكة، وبني يزقن، وغرداية، وبريان، والقرارة، ولفظ ميزاب يعني: اسم آلة، وزوب الماء: أي إنحداره وانصبابه كالميزان آلة الوزن، جرى تسمية أهل القرى السبع ببني ميزاب وذلك نسبة إلى ميزاب الكعبة.

www. Google. Com.

(3) . قنطرة: يري الشيخ سليمان الباروني أن قنطرة هي تيجي الحالية، بينما يري صالح باجيه أن قنطار أو قنطرة هي بنفطة (شرقي درجين)، ببلاد الجريد التونسي، هاجر إليها عددٌ من إباضية جبل نفوسة بعد معركة مانو وازدهرت فيها الحركة العلمية، وبقيت زمناً مقصداً للعلماء إلى أواسط ق: 5هـ/11م.

الأعمال التي أنجزها بناؤه مسجد بقريته فرسطا بجبل نفوسة، محاوراته لفرقة السكاكية، جهوده الإصلاحية لقبيلة بني وزمار، وله تلاميذ عديدون في مختلف البلدان ونذكر أبرزهم على سبيل المثال: زكريا ويونس أبناء أبي زكريا بن فصيل، وأبنة أبو العباس أحمد، وأبو بكر بن يحيى، ويعقوب بن يعدل، ومصالة بن يحيى، وأبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، وتذكر المصادر التاريخية أنه خلف عدة مؤلفات، فيقول أبو زكريا الوارجلاني: "وله في كل فن تأليف كثيرة" (1)، كما أكد هذه المعلومة كل من الدرجيني في طبقاته، والشماخي في سيره (2). غير أنهم أشاروا للموضوعات التي أهتم بها، وهي: "وأكثرها الحجج والبرهان" (3)، وأغفلوا عن ذكر عناوين تلك الكتب ولو البعض منها. إلا أن المتصفح لكتب التراث الإباضي يلاحظ أنها مليئة بآرائه وأفكاره وفتاويه.

ويعد الشيخ أبو يعقوب يوسف بن نفاث التيمي جاري النفوسي (ت: 440هـ/1049م) من العلماء الذين شدوا الرحال خارج الجبل للإستزادة في العلم ونشره في البلدان والأقاليم. نلاحظ أنه استقر ببلاد أريغ (4)، وتشهد له المصادر التاريخية أنه كان شيخاً فقيهاً عالماً، وكانت له مراسلات علمية مع غيره من العلماء، وله فتاوي كثيرة في بطون الكتب والمؤلفات. وعاصر علماء كبار أمثال: الشيخ سعيد بن زنغيل، وأبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، وتبوأ بينهم مكانة علمية رفيعة وكانوا يرجعون إليه في المسائل الصعبة (5).

(1) . أبو زكريا الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة .

(2) . الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص377؛ الشماخي، المصدر السابق، ص .

(3) . الدرجيني، المصدر السابق، ص377.

(4) . بلاد أريغ: تقع اليوم ضمن نطاق الجمهورية الجزائرية.

(5) . معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص494.

كما نشير إلى الشيخ إبراهيم بن مطكوداسن أبي إبراهيم بن يخلف بن مالك الدجعي الغرماني ق: (5ـ/11م) أصله من قرية تغرمين⁽¹⁾ بجبل نفوسة، ومن هناك رأى الرحيل ناحية الغرب ويبدو أن أول استقراره كان ببلاد أريغ ثم انتقل إلى قرية تين ماطوس بالقرب من وارجلان، أخذ علومه على عدة مشائخ من أبرزهم: الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف (ت: 471ـ/1078م)، وكان مهتماً بالتاريخ ورواية السير، روى عنه المؤرخ أبو زكريا يحيى بن أبي بكر. ويرى المؤرخ أبي الربيع الوسياني أن إبراهيم الغرماني واحد من العلماء الذين أشرخوا في تأليف ديوان العزابة المشهور. بعد وفاته ترك مكتبة كبيرة تحوي العديد من المؤلفات والمصنفات، قدرت بحوالي أربعين مخلاة، أوصى بها جميعها للشيخ أبي العباس أحمد الفرستائي.

ومن العلماء الذين ترجع أصولهم لجبل نفوسة إلا أن ظروف الزمان جعلتهم يضربون في الآفاق، الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستائي، ق: (5ـ/11م)، وهو سليل بيت العلم والحكمة، أصوله ترجع إلى فرسطا، إلا أنه عاش أغلب حياته في وارجلان لإستقرار والده بها، وأخذ علومه على والده وكذلك على الشيخ أبو الربيع سليمان المزاتي وأبي محمد ويسلان، وسعد بن ييفاو. ويبدو أنه سافر لجبل نفوسة قصد التعلم حيث يذكر: أنه جلس في مكتبة (خزانة نفوسة) ووجد بها كتب كثيرة، تفوق الثلاثة وثلاثين ألف

(1). قرية تغرمين: من قري جبل نفوسة، (وهي حالياً في الزنتان)، وحدودها من قصر شماخ شرقاً إلى وادي متلالة (وادي الآخرة) غرباً، ومن الشمال إلى ما يعرف أرض الطابو. وتغرمين: جمع توغرمت، وتوغرمت تعني: القصبة أو القصر أو القرية، ومن هنا يمكن أن نقول أن تغرمين هي مجموعة قري. رواية شفوية، الاستاذ إحمد البوجديدي، طرابلس، 2008/1/26م.

كتاب⁽¹⁾ — هذا الرقم للكتب التي جاءت من المشرق فقط، ناهيك عن الكتب الأخرى فالمكتبة تحوى كتباً يفوق بكثير هذا الرقم المذكور — وقام بمهام التدريس ودرس عليه تلاميذ كثيرون منهم: أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفني، وصالح بن أفلاح، وأبو عبد الله بن محمد النفوسي، ويحيى بن زكريا، وعبد السلام بن عبد الكريم، وابنه إسحاق بن أبي العباس، وغيرهم كثيرون. وأهتم الشيخ أبو العباس بتأليف الكتب سوف نذكرها في الفصل الثالث في مبحث الإنتاج العلمي. توفي في قرية تصوانت بأريغ، وذلك يوم الخميس من شهر ذي الحجة من عام (504هـ/1111م).

كما نذكر أحد الشيوخ الذين ترجع أصولهم إلى جبل نفوسة، وهو الشيخ يخلف بن يخلف التيميغاري النفوسي ق: (6هـ/12م)، المنتسب إلى قرية تيميغاري⁽²⁾ ورحل منها إلى بلاد الجريد⁽³⁾ (بتونس)، وهو فقيه، وقاض، ونسابة. — وهو جد المؤرخ المشهور الشيخ: أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني — تعلم على مشائخ أريغ ووارجلان أمثال: الشيخ أبي سليمان أيوب بن إسماعيل بوارجلان. وكان

(1) . الدر جيني، المصدر السابق، ج2، ص445.

(2) . تيميغار: من مدن الجبل القديمة (أولاد أبو جديد حالياً) تقع في صدر الجبل من الجهة الشمال شرقية لوادي أمسين، ومن الغرب يحدّها مجري وادي أمسين، ومن الجنوب قرية إمرسان والكرومة، ومن الشمال منطقة أولاد أبو جديد الحديثة، من معالمها التاريخية مسجد الشيخ علي بن يخلف التيميغاري، وقصراً: المالطي وأولاد أبي جديد. زرتما عام 2004.

(3) . بلاد الجريد: ويشمل مدينة توزر وضواحيها، ونفطة وضواحيها، قنطرار، الحامة، سدادة، تقيوس، وهو تقريباً المفهوم الذي يطلقه البكري على (قسطيلية)، وهو في سهل مستطيل بين شط الجريد (سيخة تاكمرت)، وشط الغرسة. وهو مجموعة من الواحات الجميلة يسميها الاباضية (القصور) أو بلاد قسطيلية، وكانت عاصمتها الاباضية تسمى (قنطرار) أو (قنطراة)، للمزيد انظر: صالح باجيه، المرجع السابق، ص6.

فقيهاً بارعاً وأشتغل بالقضاء، ويبدو أنه كان مهتماً بالزراعة والفلاحة ويمتلك جنان في نفطة يتقوت منه، وفي نفس الوقت كانت له حلقة علمية يقيمها للطلاب في ذلك الجنان.

ويعد الشيخ علي بن يخلف بن يخلف التميمجاري ق: (6م/12م) من أعلام الجبل الذين عاشوا خارجه بسبب رحيل العائلة التميمجارية إلى بلاد الجريد التونسي، ويبدو أن استقراره كان بدرجين⁽¹⁾، وسيأتي الحديث عن هذه الشخصية في الفصل الرابع ودوره في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية ببلاد السودان الغربي.

وكذلك من أفراد عائلة التميمجاري الراحلين من جبل نفوسة إلى بلاد الجريد (بتونس)، الشيخ سليمان بن علي بن يخلف التميمجاري ق: (6م/12م)، وكما هو معلوم أن هذه الأسرة (التميمجارية)، بعد رحيلها من الجبل استقرت بكنومة وهي من قري تقيوس⁽²⁾ بوادي أريغ بالمغرب الأوسط، أما الشيخ سليمان فقد حط رحاله بقرية نفطة⁽³⁾، ومنها انتقل إلى درجين ومنها أخذ في التنقل والترحال لطلب العلم والمعرفة فسافر إلى وارجلان وجلس للتعلم عند الشيخ أبي سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي، كما ألتقاء بكبار علماء وارجلان وقتئذ، منهم: الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السوارجلاني، وأبي عمار عبد الكافي، وأبي عمرو عثمان السوفي، وتعلمت عليهم، وكان اهتمامه بتعلم

(1) . درجين: مدينة من ضمن مدن بلاد الجريد الواقعة في الجنوب التونسي.

(2) . تقيوس: بالفتح ثم بالسكون، وباء مضمومة، وواو ساكنة، وسين مهملة: مدينة بالريفية لرية من توزر، بالقوت الحموي، المصدر السابق، ج 2، ص 37.

(3) . نفطة: تلي بلدة توزر في الأهمية، وكانت تعرف بشجر الصحراء وهي مدينة بالريفية من أعمال الزاب الكبير وأهلها شراة لياضة ووهبة، المصدر نفسه، ص 304.

علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية، كما كان شاعراً مفوهاً، وإلى جانب أشعاره التي تركها ترك معنا مؤلفات في علم الكلام والفقه. ومن خلال تنقلاته بين بلدان المغربين الأدبي والأوسط قام بمهام التدريس وتعلم عنده تلاميذ عديدون.

ومن علماء الجبل الذين رحلوا خارج حدوده الشيخ أبو جعفر مسعود الزناتي (ت: 563هـ/1167م) وهو من فساطو، رحل مع أخيه الحاج محمد سنة (470هـ/1084م) إلى الجنوب الجزائري (وادي ميزاب) وقام بمهام التدريس والتعليم في كل من: العطف (لمدة سنتين)، ثم أستقر بغرداية وكان يذهب يومياً لقرية مليكة للتدريس. وفي سنة (485هـ/1092م) خلف الشيخ أو عيسى في المشيخة العلمية والاجتماعية والسياسية لبلدة مليكة⁽¹⁾. ويرجع (بني ويسرو) في ميزاب إلى الشيخ مسعود الزناتي. وفي الفترة التي غاب فيها الشيخ مسعود تولى أخوه الحاج محمد الزناتي تسيير شؤون غرداية فسار بين الناس بالعدل والمساواة، وكان له حلقة يلقي فيها دروسه بالعطف وغرداية.

ومن نفس العائلة التيميغارية الراحلة من جبل نفوسة، الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرغيني التيميغاري (ت: 670هـ/1271م)، ينحدر من أسرة نفوسية كانت تقطن بقرية تيمجيار ثم هاجرت إلى الجنوب التونسي، عندما نزع جده الأعلى يخلف بن يخلف التيميغاري إلى بلاد الجريد وأقام في نفطة، ثم انتقلت الأسرة زمن والد أحمد، سعيد بن سليمان إلى درجين وفيها نشأ أبو العباس أحمد وإليها ينسب⁽²⁾ وفيها تلقى علومه أولاً ثم رحل إلى وارجلان سنة (616هـ/1219م)، متلمذاً على الشيخ أبي سهل يحيى بن،

(1) . معجم أعلام الاباضية، المرجع السابق، ص415.

(2). الحبيب الجنحاني، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، بيروت: دار الطليعة، 1980، ص93 – 94.

إبراهيم بن سليمان، ثم رجع إلى موطنه درجين. ويعد أبو العباس الدرجيني من الفقهاء، وأهتم بالتاريخ والسير وألف كتاب: (طبقات المشائخ بالمغرب)⁽¹⁾، كما كان شاعراً، وله قصائد كثيرة، منها: (أجوبة، وألغاز). وقام أحد علماء قرية جيطال وهو الشيخ أبو طاهر إسماعيل الجيطالي بجمعها في كتابه: الفرائض والحساب.

ومن الذين قاموا برحلة علمية الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الإبديلاني النفوسي، ق: (6هـ/12م)، ويرجع أصله لقرية إبديلان من قرى الرحيات، ونشأ في أسرة ضيقة الحال، ويبدو أنه تعلم على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي (ت: 440هـ/1049م) الذي شجعه على إتمام علومه في وارجلان⁽²⁾ فتوجه إليها وتعلم على بعض شيوخها منهم: الشيخ محمد بن بكر المذكور، وأبنة أبو العباس أحمد (504هـ/1110م)، ومن زملائه في طلب العلم هناك محمد بن غمرة، ودرس في غيران بني أجاج قرب وارجلان، وأهتم بدراسة الفقه وغيره من العلوم الدينية⁽³⁾ وفي حين إقامته بوارجلان طلب من أستاذه الشيخ أبي العباس الفرسطائي تأليف كتاب، فلبى طلبه بتأليفه كتاب: أبو مسألة. ويبدو أنه كان ناشطاً ثقافياً حيث كانت له أسئلة فقهية أجاب عنها أحد علماء وارجلان

(1) . كتاب طبقات المشائخ بالمغرب: مؤلفه أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، ترجع أصول أسرته إلى قرية تميمجار بجبل نفوسة، ولقب الدرجيني نسبة إلى درجين في بلاد الجريد قرب نفطة، ويعد من أشهر مؤرخي الاباضية وألف كتابه الطبقات هذا بناء على طلب من إباضية المشرق ليتعرفوا على أحوال إباضية المغرب، قام إبراهيم طلاي بتحقيق الكتاب ونشره في جزئين: الأول يعرض فيه الدرجيني: تاريخ الاباضية في المشرق والمغرب، والثاني رتب فيه علماء الاباضية حسب تسلسلهم الزمني في اثني عشر طبقة.

(2) . وارجلان: مدينة تقع في الجنوب الجزائري وكانت تربطها علاقات ثقافية بجبل نفوسة.

(3) . معجم أعلام الاباضية، ص378.

وهو الشيخ أبا يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (500 – 570هـ/1106 – 1176م).

من خلال ما تقدم تبينت لنا أهمية جبل نفوسة العلمية، وكيف نبغ فيه عددٌ من علمائه – وستعرف عليهم بشكل أوسع في الفصل الثالث – وكما أدركنا دورهم الثقافي والفكري في المناطق المجاورة، وبذلك يمكن أن نقول أن الجبل في العصر الوسيط كان يعد من المراكز الحضارية الإسلامية، ومن هنا صار قبلة علمية يتوجه إليها طلاب العلم من مختلف البقاع.

6. طلاب من خارج جبل نفوسة :

نتيجة لانتشار المساجد والمدارس التي أسهمت في نشر العلم في الجبل صار قبلة ومنازة علمية ، فقصده الطلاب من مختلف المناطق المجاورة . كما أشار إلي ذلك أبو العباس الفرستائي متحدثاً عن أحد الطلاب الذين درسوا في مدارس الجبل وهو يوسف بن يعقوب بن تميال الذي يقول : " وكنت بجبل نفوسة أقرأ عند وارسفلاس من أهل ويغو " (1).

وهناك بعض طلاب العلم من جعل جبل نفوسة مكاناً علمياً يقصده في أوقات يحتاج فيها إلي المزيد من طلب العلم ، وهذا ما يلاحظ مع أبي الخير الزواغي ، ويرجع أصله إلي زواغة (2). وعندما يكون مع أهله يضع السكين في مكان معين من البيت ، وعندما يلاحظ تراكم الصدأ على السكين يسافر إلي الجبل لحضور حلقات العلم ، ويقول : " هكذا قلبي " (3). فلكي يزيل ما تراكم على قلبه من هموم الدنيا وشواغلها ، فإذا ما فكر في طلب العلم لم يجد أفضل من جبل نفوسة يسافر إليه ويحقق مطلبه .

(1) . أبو العباس الفرستائي، الألواح، مخطوط، ورقة 75، مكتبة الاستاذ أيوب محمد، إيجان، بدون تصنيف.
(2) . زواغة : بلدة قديمة تقع غربي مدينة طرابلس بنحو 72 كلم تقريباً، وهي قرية من البحرا الأبيض المتوسط، وسميت باسم قبيلة ليبية؛ لم يذكرها المؤرخون العرب عند الفتح الإسلامي، ووصفها الرحالة التيجاني بأنها مدينة ضخمة وبما لخل كثير، ومدح أهلها، كما أشار إلي وجود آثار قديمة، ينظر : التيجاني ، المصدر السابق ، ص 211 - 212 .

(3) . الفرستائي، المصدر السابق، ورقة 93 .

ويشير الدرجيني إلى عالم من أبرز علماء جزيرة جربة قائلاً: " كان أبو مسور⁽¹⁾ أول من اشتهر من بني يراسن بالعلوم والفضل ، وكان تعلمه بجبل نفوسة ، قرأ على أبي معروف وأبي زكرياء يحيى بن يونس السدراتي رحمهما الله ، وكان حينئذ مقلاً من المال ... فضاعف الاجتهاد ولازم القراءة حتى حصل من العلم ما قدر له ، ولما أراد المسير إلى أهله اشتغل بانتساخ الكتب " (2).

ويفهم من هذا النص أن أبا مسور أو والده فضل جبل نفوسة لتعليم ابنه دون أي مكان آخر ، وهذا دليل على ازدهار الحياة العلمية في الجبل ، من حيث كثرة العلماء ، وانتشار المساجد والمدارس التي تعني بالتعليم هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نلاحظ أن أبا مسور عقب إكماله التعليم بالجبل وعزمه للرجوع إلى أهله أخذ ينسخ الكتب ، وهذا ما يشير إلى احتواء الجبل على الكثير من الكتب ، وأن هذه الثروة العلمية هي التي ستشكل فيما بعد النواة الأولى للحركة العلمية في جزيرة جربة⁽³⁾ . وبالفعل عندما استقر أبو مسور في جربة قام بتأسيس جامع

(1) . أبو مسور يسجا بن يوجين اليهراسني : يرجع إلى قبيلة بنو يهراسن التي كانت تقيم ما بين مطماطة وجبل نفوسة ، أي على الحدود الليبية التونسية حالياً . درس في جبل نفوسة ، وكان طالباً فقيراً معدماً ، فأمر شيخه ويدران بن جواد أهالي نفوسة من يتكفل بمؤنته، وبذلك تفرغ لطلب العلم، وكان من المجتهدين ، كما تتلمذ على الشيخ أبي زكرياء يحيى بن يونس السدراتي الوزيري في على ما يبدو في قرية ونزيرف بجبل نفوسة . ينظر : سالم بن يعقوب، تاريخ جزيرة جربة، تونس: دار الجويني للنشر، 1986 ، ص 70 — 74 .

(2) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 157 — 158 . ويبدو أن لهذا التكوين العلمي لأبو مسور وانتساخه للكتب في بيئة الجبل المزدهرة ثقافياً، سيكون له أكبر الأثر في جزيرة جربة من الناحية الثقافية والعلمية حيث ستكون إقامة أبو مسور ، وتأسيسه مدرسة بحومة الحشان.

(3) . فرحات الجعبري، ملامح عن الحركة العلمية عند الاباضية بجزيرة، أعمال الملتقى حول تاريخ جربة، جربة: جمعية صيانة جزيرة جربة، 1982 ، ص 26 .

ومدرسة⁽¹⁾ في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بفضل هذا الجامع والمدرسة دخلت الجزيرة طوراً مجدداً من أطوار تاريخها⁽²⁾ .

وهذه إشارة إلى الإشعاع العلمي والثقافي لجبل نفوسة من حيث كونه مركزاً من مراكز الحضارة الإسلامية في بلاد الغرب الإسلامي. وإذا كانت هذه أهمية جبل نفوسة في تلك العصور بالنسبة لجزيرة جربة فما مدي صحة ما يراه أحد الباحثين المعاصرين الذي يقول : " ونحن لا نبالغ إذ نقول إن جربة كانت تمثل بالنسبة للجنوب التونسي ولجبل نفوسة وللجريد ، ما كانت تمثله مدينة القيروان بالنسبة لأفريقية من حيث الإشعاع الثقافي والفكري "⁽³⁾ .

ومن ضمن الطلبة الذين رحلوا إلى الجبل وأقاموا فيه لمواصلة تعليمهم العالي ، أبو محمد ويسلان بن يعقوب المزاتي ، الذي بدأ تعلمه في موطنه عند الشيخ أبي القاسم يزيد بن مخلد ، ولما عزم على مواصلة دراساته العليا، رأى السفر إلى الجبل وهذا يشير إلى أن الجبل بلغ درجة عالية من التعليم ، وأشار إلى ذلك الشماخي قائلاً : " وأراد استكمال العلوم والعلو فيها إلى أعلى المراتب ، فاستأذن أمه في الطلوع إلى الجبل ... وظنت رجل يقريه ، وهو يعني نفوسة ، فلما بلغها اشتغل بتحصيل العلوم ... وأقام بالجبل سبع سنين ، وحصل ديواناً عظيماً فكان

(1) . مدرسة الجامع الكبير : بعد أن أفى الشيخ أبو مسور البهراسني دراسته وتعليمه بجبل نفوسة سافر إلى جزيرة جربة، وأسس هذه المدرسة في حومة الحشان في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وأصبحت فيما بعد جامعة علمية قصدها الطلاب من جميع الأنحاء عملت على نشر العلم ونور المعرفة في ربوع الجزيرة، قصدها الشيخ إسماعيل الجيطالي وأقام بها مدرساً إلى أن وافته المنية هناك وقبره بجوارها، زرهما يوم الأحد 2004/2/2، أول أيام عيد الأضحى المبارك، ينظر الصورة رقم (29) .

(2) محمد قوجة، الأبعاد الحضارية لجامع أبي مسور في جربة، جربة: جمعية صيانة جزيرة جربة، 1995، ص 78 .

(3) . المرجع نفسه ، ص 78 .

يقراً فيه ويدرسه" (1). كما درس الشيخ أبو القاسم البرادي الدمري ، الذي يرجع أصله إلى جبل دمر بالجنوب التونسي ، في مدارس جبل نفوسة ، وتحديدًا على يد الشيخ عامر الشماخي (2) . بمدرسة المعانيين بيفرن ، وبعد تخرجه عاد إلى وطنه ، وصار من العلماء الكبار ، وله عدة مؤلفات منها : الجواهر المنتقاة فيما أحل به كتاب الطبقات (3) ، وكتاب البحث الصادق، ورسالة الحقائق، وكتاب الاستكشاف عن حقائق أسرار معاني، وكتاب الإنصاف والعدل، وجواب لبعض أهل الخلاف، ورسالة في تقييد كتب أصحابنا، وفتاوي وأجوبة، وشرح الطهارات، ورسالة في كيفية إنفاق أوقاف المساجد وغيرها ، وترأس نظام العزابة في جربة بعد وفاة شيخه يعيش بن موسى الزواغي (4) .

هكذا تبين مدى ازدهار النشاط التعليمي في مختلف مراكز الجبل التعليمية، بوفود الطلاب من شتى الأقطار، ونهلهم من معين العلم، إلى جانب طلاب الجبل، وبلغ معظمهم أعلى المراتب العلمية ليتصدروا مناصب دينية واجتماعية، بشهادة وإجازة علمائهم ومشائخهم .

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 377 .

(2) . المصدر نفسه ، ص 560 .

(3) . كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أحل به كتاب الطبقات لمؤلفه أبي القاسم ابن إبراهيم البرادي الدمري أصله من جبل دمر بتونس، كان حياً في عام 810 هـ / 1407 م، وسبب تأليف كتابه: هو إتمام ما رآه ناقصاً في كتاب طبقات المشائخ ، للشيخ أبو العباس أحمد الدرجيني كما جاء على لسان المؤلف في مقدمة كتابه : " فإني رأيت كتاب الطبقات ضالة عز ناشدوها ومنشدوها ومنهلاً عذباً ... وفيه ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين إلا أنه غفل عن ذكر الصدر الأول وأخل بذكر ما عليه المول ... فجمعت في ذلك من آثار أصحابنا وغيرهم كتاباً سميت به الجواهر المنتقاة في إتمام ما أحل به كتاب الطبقات " ، ينظر الجواهر المنتقاة ، لأبي القاسم البرادي ، طبعة حجرية ، ص 3 - 4 .

(4) . محمد قوجة ، المرجع السابق ، ص 87 .

7. الإجازات العلمية :

إن نظام الإجازة العلمية المعروف في التعليم بمختلف مناطق وبلدان العالم الإسلامي ، وهو أن الأستاذ أو الشيخ يجيز لأحد الطلبة بصلاحيته التعليم للآخرين ، وذلك بعد ما يثبت الطالب أهليته التامة لأي فرع من فروع العلم ، فهل كان هذا النظام معمول به في جبل نفوسة ؟ .

إن المصادر التاريخية (السير والطبقات) التي تناولت سير العلماء وتراجمهم ، لم تهم كثيراً بمسألة الإجازات العلمية ولم تتحدث عنها بصراحة ! وبذلك فإن الباحث يجد صعوبة في إثبات ذلك الأمر ، إلا من خلال التلمس في بطون الكتب لاستنباط الأفكار من الروايات التاريخية ، يورد بعض المؤرخين رواية مفادها : أن أبا ذر أبان بن وسيم بعدما أنهى تعليمه عند شيخه أبي خليل الدركلي الذي أجاز له الفتوى، وقال له: يا أبان أفت للناس، وأنت نذير زمانك يا أبان⁽¹⁾، فهذا الأمر يتضمن الإجازة بالفتوى وهي أعلى مراتب التمكن من العلم، غير أن المصادر لم تذكر تفاصيل هذه الإجازة، ما إذا كانت مكتوبة أم لا؟ أو ما هو العلم المجاز فيه؟ والمرجح أن العلم هو علم الفقه لأنه العلم الذي كثيراً ما تقع فيه الفتوى. وهذا ما لوحظ في المصادر أن أبان أغلب فتاويه فقهية.

كما أن البغطوري يورد رواية مفادها أن عمرو بن فتح المساكني سافر إلى المشرق للحج، وحضر مجلس علم للشيخ محمد بن محبوب⁽²⁾، وقام عمرو

(1) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 6 ؛ الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 301 — 304 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص 215 .

(2) . هو أبو عبد الله محمد بن محبوب بن الرحيل بن هبيرة القرشي وهو من علماء الإباضية بالشرق العربي، كان يقيم بمكة المكرمة ، ثم انتقل إلى عمان ، له إسهام كبير في نشر العلوم ، ينسب إليه كتاب : سيرة محمد بن محبوب إلى أهل المغرب ، ومختصر ابن محبوب، وكتاب في الفقه في سبعين جزءاً ، توفي بعمان في صحرار عام (260 هـ / 873 م) ينظر : البرادي ، المصدر السابق، ص 218 .

بسؤال ابن محبوب، وعندما عرفه الأخير قال له: " أنت أولي بهذا الموضع فترل له عن المنبر فرجع هو عليه، وقعد ابن محبوب قدامه، فجعل عمروس يفتي للناس"(1). وعلى الرغم من وقوع هذه الحادثة خارج الجبل، إلا أن المجاز له بالفتوى والتدريس من علماء الجبل، وكذلك فإن الرواية لم تتحدث عن الإجازة صراحة إلا أن معناها يدل على ذلك. كما أن زورغ الأرجانية إحدى علامات الجبل، التي قالوا فيها: " الشطر لها كثير، والثلث قليل"(2). هذه الشهادة لزورغ من علماء عصرها هي بمثابة إجازة علمية، إلا أنها لا تفصح كثيراً عن التفاصيل، فمادام يشهد لها العلماء بالثلث، والمقصود به ثلث العلم كما أشار لذلك المؤرخ أبو الربيع الوسياني: " قالوا معها [زورغ] ثلث علم الجبل"(3). يتضح أنها كانت تتقن الكثير من فروع العلم.

وكان منصب الإفتاء لا يتصدره إلا من بلغ درجة عالية في العلم بشهادة كبار العلماء، وقد أجاز أحد العلماء وهو أبو زكرياء ابن أبي عبد الله(4)، لأبي هارون التملوشايي بالإفتاء(5). ذلك المنصب الخطير، والإجازة للإفتاء هي ضمناً تسبقها إجازة علمية استحقها أبو هارون لعلو علومه وقوة حجته.

(1) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 131، الوسياني، المصدر السابق، ورقة 3 — 4 .

(2) . الوسياني، المصدر السابق، ورقة 137 .

(3) . المصدر نفسه، ورقة 168 .

(4) . أبو زكرياء بن أبي عبد الله بن أبي عمرو بن أبي منصور إلياس التندميري (300 — 350 هـ / 912 — 961 م) حكم الجبل بعد سقوط الدولة الرستمية حوالي ستين عاماً، وكان قاضياً في نفس الوقت، وهو سليل بيت اشتهر بالعلم والحكم، وقبره بمدينة جادو بقرية تمزدا، زرت هذا القبر عام 2005، ينظر: معجم أعلام الاباضية، مرجع سابق، ص 156 .

(5) . الشماخي، المصدر السابق، ص 301 .

كما يلاحظ عبارة كثيراً ما تتكرر في المصادر الإباضية عندما تترجم لأحد الشخصيات العلمية وهي : (وجازت عليه نسبة الدين)⁽¹⁾ وكلمة (جازت) أي هناك من أجازته ليقوم بمهام التدريس والإفتاء ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره أبو العباس الشماخي : " ومنهم أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي ... وهو ابن سبع وعشرين سنة وقد جازت عليه نسبة الدين "⁽²⁾ .

والملاحظ أن إجازة العلماء لطلابهم ، وإجازة هؤلاء الطلاب لتلاميذهم فيما بعد عندما يصيرون أساتذة ، الأمر الذي ترتب عليه وجود سلسلة إسناد علمية طويلة فيما بين الأجيال ، ذكرها الشيخ عبد الله الباروني وهي تبدأ مع : " الشيخ عامر الشماخي عن الشيخ أبي موسى عيسى بن عيسى الطرميسي عن الشيخ يحيى ابن وجدليش ، عن أبي يحيى زكرياء بن إبراهيم الباروني ، عن أبي يوسف وجدليش الأمليلي ، عن أبي الربيع سليمان بن هارون ، عن أبي زكرياء يحيى بن سفيان اللالوتي عن أبي محمد بن خصيب ابن إبراهيم ، عن أبي يحيى الفرسطائي ، عن أبي هارون بن يونس الجلالمي ، عن أبي القاسم البغطوري ، عن أبان بن وسيم ، عن أبي خليل الدركلي ، عن أبي المنيب محمد بن يانس "⁽³⁾ . ونلاحظ أن هذه السلسلة تبدأ من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وتنتهي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي⁽⁴⁾ . واتصل سند تعليم العلماء السابقين بتلاميذهم اللاحقين

(1) . نسبة الدين عند علماء إباضية جبل نفوسة تعد نوعاً خاصاً من الإجازة العلمية التي يمنحها العلماء والمشاخ لأبرز طلابهم ، وكذلك هؤلاء الطلاب يمنحوها لتلاميذهم فيما بعد عندما يصيرون شيوخاً ، وبذلك تكونت سلسلة نسب الدين جيلاً بعد جيل . وهي بمعنى آخر : السند العلمي ، ينظر : عبد الله الباروني ، سلم العامة والمبتدئين إلي معرفة أئمة الدين ، مصر : مطبعة النجاح ، 1290 هـ ، ص 31 — 41 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 299 .

(3) . عبد الله الباروني ، المصدر السابق ، ص 38 .

(4) . وهي الفترة الزمنية التي تناولتها هذه الدراسة .

جياً بعد جيل ولم تنقطع عبر تاريخ المنطقة التي كثيراً ما كانت تمر بالأحداث الصعبة مثل الكوارث الطبيعية متمثلة في (الجفاف والقحط) ، أو الحروب والمنازعات البشرية مثل (معركة مانو)، وغارات الفاطميين، وقبائل صنهاجة وزناتة، ثم غارات المغامرين أمثال : قراقوش، ويحيى بن غانية الميورقي وغيرها ، وهذا ما سنلاحظه من خلال ظهور العلماء في جبل نفوسة والعلوم والفنون التي أهتموا بها دراسة، وتدریساً، وتأليفاً.

الفصل الثالث

(جهود علماء جبل نفوسة ودورهم

في إثراء الحياة العلمية)

1. العلوم والفنون

(وأبرز العلماء).

2. الوظائف العامة للعلماء.

3. الإنتاج العلمي.

1. العلوم والفنون وأبرز العلماء:

من ثمار الحركة العلمية والثقافية في منطقة جبل نفوسة اهتمام علماء/ فقهاء الجبل بدراسة بعض العلوم والفنون والبحث فيها واستخلاص الفوائد منها للصلاح العام ، وتنقسم العلوم في الحضارة الإسلامية خلال العصور الوسطى إلى نوعين: وهي علوم نقلية، وأخرى علوم عقلية، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون قائلاً: " اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعليماً هي على صنفين، صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه، وصنف نقلي يأخذه عن وضعه "(1). وهذا الأمر ينسحب على العلوم التي اعتنى بها علماء الجبل ، شأنهم في ذلك شأن علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ولكن التساؤلات المطروحة هي : كيف نشأت العلوم في الجبل ، وما هي تطوراتها ؟ وإلى أي مستوى وصل علماء الجبل بتلك العلوم ؟ وهل كان لهم إبداع / زيادة في علوم معينة ؟. ومن هم أبرز العلماء والفقهاء الذين ظهوروا في جبل نفوسة؟ وهل كان للمرأة دور ونشاط علمي أثرى الحركة الفكرية؟

تنشأ العلوم وتكثر كما يشير ابن خلدون في الأمصار على نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة ، ويذهب إلى أبعد من ذلك قائلاً : ان المجتمعات تمتم بالعلوم بعدما تنهي مسألة توفير المعاش(2). فهل هذا ما حدث في جبل نفوسة؟ من ناحية نشوء العلوم في الأمصار والمدن، أعتقد أن هذا الأمر ينطبق على الجبل لاحتوائه العديد من القرى والمدن وكان الجبل في تلك الفترة من القرون الوسطى تقطنه أعداد كبيرة من البشر: " أن نفوسة ... يعدون خيلهم بتسعة وتسعين ألف

(1) . ابن خلدون، المقدمة، ص 403.

(2) . المصدر نفسه، ص 402.

فارس، وأما الرجال فمما لم يحصر عدده " (1). ويبدو أن ذلك هو عين ما حصل خاصة بعدما أنضوت المنطقة تحت الحضارة الإسلامية، ويمكن أن تعد الفترة ق: (2هـ / ق 8م) مرحلة تأسيسية في ترسيخ الحركة العلمية والتعليمية، التي أخذت تنتشر وتتوسع مع مرور الزمن لتنجب الطلاب والعلماء. كما ينبغي الإشارة إلى أن من العلماء من عاش بين قرنين: ولد في أواخر قرن، وعاش فترة من القرن الذي تلاه.

وبمجلول ق: (3هـ/9م) الذي شهد قفزة علمية وثقافية كبيرة ليس على مستوى منطقة الجبل فحسب وإنما هو تطور حضاري في أغلب العالم الإسلامي وهي نتيجة حتمية للفترة السابقة خلال التأسيس العلمي في الجبل، فيلاحظ بروز أسماء عدة لعلماء وعالمات في مختلف قرى ومدن الجبل اشتغلوا بأنواع مختلفة من العلوم والفنون. وهذا يفهم من خلال المصادر التاريخية المتاحة، وبدون شك فإن هناك أسماء أخرى لم تتمكن من التعرف عليها بسبب ضياع الأصول التاريخية من مخطوطات ومؤلفات مختلفة لم تصل إلينا نتيجة الأزمات والقتال التي مر بها الجبل عبر التاريخ، وكذلك بسبب الفارق الزمني الذي يفصلنا عن تلك الأزمان المبكرة. إذن شهدت المنطقة العربية والإسلامية عموماً تطوراً ملحوظاً في الحركة العلمية، والثقافية وأسباب ذلك راجعة لعدة عوامل أهمها:

(1) كفالة حرية التفكير لأهل العلم، فالعالم المسلم حر في تفكيره، لا يضيره أحد بسبب تأييده أو معارضته لفكرة معينة، وليس كما حصل في أوروبا مثلاً — في فترات متأخرة زمنياً عن فترة الدراسة — عندما حوكم (جاليلو جاليله) عام

(1) . عبد الله الباروني ، المرجع السابق ، ص 18 .

(1610م) بسبب قوله بدوران الأرض، هذه النظرية التي كانت موضع أخذ

ورد بين علماء المسلمين في العصور الوسطى، ويتناقشون فيها بكل حرية.

(2) رخاء دول العالم الإسلامي، بحيث إن العلم يحتاج في ازدهاره إلى النشاط

الاقتصادي، لتهيئة الجو المناسب للدراسة وطلب العلم.

(3) تقدير الدولة للعلم وأهله، فكثير من الخلفاء والحكام اهتموا بالعلم والعلماء

وشجعوهم على ذلك، بل إن بعض الحكام المسلمين من كان هو نفسه عالماً⁽¹⁾.

وتبين المصادر التاريخية العلوم التي درسها علماء الجبل واهتموا بها،

وهي نفس العلوم التي لاقت عناية العلماء في مختلف البلدان الإسلامية، وهي:

أ. العلوم النقلية :-

1. علم الفقه :

أطلقت كلمة الفقه زمن الرسول ﷺ والصحابة الكرام على العلم بشكل عام، وتبعاً لذلك فكل من يتدرج في مراتب العلوم ويعيها يسمى فقيهاً، ونستدل بهذا ما جاء في الحديث الشريف: " نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له"⁽²⁾، وقال أيضاً الرسول ﷺ " إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين"⁽³⁾ ويضع المؤرخ ابن خلدون تعريفاً للفقه فيقول: "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة، وهي مُتلقاة من الكتاب والسنة، وما نصّب الشارع لمعرفة من الأدلة،

(1) توفيق الطويل، العرب والعلم، القاهرة: دار النهضة العربية، 1968، ص 66 – 69.

(2) . حديث شريف.

(3) . حديث شريف.

فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه⁽¹⁾. على أن التفاوت في فهم النصوص الشرعية يؤدي إلى التعدد في الآراء الفقهية، واهتم علماء الجبل بعلم الفقه اهتماماً كبيراً، كغيرهم من علماء المسلمين شرقاً وغرباً، إلى درجة أن بعض الدراسات المعاصرة ترى أن الحضارة الإسلامية يمكن أن نطلق عليها حضارة الفقه وهو إحدي منتجاتها المتعددة⁽²⁾. وهذا ما لوحظ بالفعل في الإنتاج العلمي بالجبل سواء من حيث الدراسة والبحث، أو على صعيد التأليف، فإن علم الفقه يحتل الصدارة بين العلوم الأخرى، إلى درجة أن العلماء في مختلف تخصصاتهم لابد وأن يكون لأي واحد منهم نصيب وافر في ميدان الفقه.

كما ويعد علماء الجبل من الرواد ببلاد المغرب في الاهتمام بعلم الفقه⁽³⁾، حيث رحلوا إلى بلاد المشرق العربي للدراسة على الفقهاء والعلماء المشاركة، ونشروه في بلادهم، وبلاد المغرب عموماً بعد عودتهم، ومن الأمثلة على ذلك: رحلة ابن مغير الجناوني (التي ذكرناها سابقاً في الرحلات العلمية).

وكذلك من الفقهاء الأوائل الذين كان لهم الأثر البالغ في ترسيخ علم الفقه خاصة وغيره من العلوم الدينية بمنطقة جبل نفوسة، حملة العلم الخمسة الذين خرجوا في رحلة علمية جماعية إلى مدينة البصرة فدرسوا الفقه وغيره من العلوم الدينية على الشيخ أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

(1) . ابن خلدون ، المقدمة ، ص 412 .

(2) . محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ط6، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994، ص96.

(3) . أورد الإشارة إلى أن الفقه الذي انتشر في جبل نفوسة، هو الفقه الإباضي خلال ق: (2هـ/8م)، كما انتشر في مناطق أخرى من بلاد المغرب الإسلامي، (تونس، والجزائر اليوم)، وقام تجار وعلماء من الجبل بنشره فيما وراء الصحراء الكبرى (تشاد، والنيجر، ومالي، اليوم)، ومازال إلى يومنا إباضية بجبل نفوسة.

ومن فتناء الجبل خلال ق: (2هـ/8م)، الشيخ أبوخليل صال الدركلي الذي ينتسب إلى قرية دركل، والشماخي ينسبه إلى أهل مرجس^١ (1)، ويعد أبو خليل من علماء الجبل الذين جرت عليهم نسبة الدين، وكانت أقواله وفتواه تملأ الكتب الفقهية والدينية، ومن أهم أقواله في تحريض الطلبة على طلب العلم أينما كان وحيثما وجد: " كان يقول للتلاميذ سيروا إلى الحلقة واقصدوها حيثما كانت يا كسالي، فإن رجلاً قد سار من الجبل⁽²⁾ إلى فزان⁽³⁾ وإلى غدامس⁽⁴⁾

١ . أهل مرجس : ينتسبون إلى قرية مرقس، وهي حالياً إحدى قرى مدينة الحراة ، وتقع فوق تلة تشرف على فروع وادي بقالة، ويمدها من الشرق دخلة زوية، ومن الغرب شعبة أم رقية، ومن الشمال فرع وادي بقالة (السدود)، ومن الجنوب شعبة مادي، ومازالت آثارها باقية، زرتها عام 2004.

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، 213 .

(2) . الجبل : يقصد جبل نفوسة .

(3) . فزان : هي عبارة عن منطقة كبيرة ومأهولة بالسكان وأهلها أغنياء وبها عدة واحات، تقع جنوبي مدينة طرابلس بنحو 1000 كلم تقريباً، وأرضها خصبة ومياهها الجوفية كثيرة وقرية، تشتهر بغراسة النخيل، احتلها القرطاجيون سنة 795 ق.م، ثم الرومان سنة 19 ق.م، كانت عاصمتها جرمة قبل الفتح الإسلامي، فتحها المسلمون بقيادة عقبة بن نافع سنة 49 هـ ، تعد فزان من المراكز التجارية الهامة بين بلاد السودان وساحل البحر المتوسط؛ وكانت فزان في العصور الوسطى ترتبط بعلاقات تجارية وثقافية مع جبل نفوسة، ينظر : الحسن الوزان ، وصف إفريقيا، ترجمة : محمد حجي و محمد الأخضر ، ج 2 ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1983 ، ص 146 — 147 ؛ الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 208 .

(4) . غدامس : من الواحات الليبية التي تقع على الحافة الغربية للحمادة الحمراء، تبعد عن طرابلس حوالي 500 كلم، تتميز بموقع جغرافي استراتيجي، بحيث شكلت نقطة تواصل واتصال بين مراكز الشمال الإفريقي وحواضر أفريقيا فيما وراء الصحراء، ومنها انطلقت القوافل التجارية ونشرت معها الثقافة العربية الإسلامية صوب المدن الإفريقية، فمدينة غدامس أنجبت العديد من العلماء الذين كان لهم إسهام كبير في النهضة العلمية والحركة الفكرية بإنشاء المساجد والمدارس، وتأليف الكتب، ونشر العلوم، وكانت غدامس ترتبط بعلاقات تجارية وثقافية مع جبل نفوسة، الذي تبعد عنه بسبعة مراحل جنوباً؛ ينظر : الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 146 ؛ إصلاح محمد البخاري، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا فيما وراء الصحراء (تبيكت — غدامس نموذجاً) الزاوية : مطابع الوحدة العربية ، 2004 ، ص 16 — 19. زرت هذه المدينة وواحتها البهيجة أكثر من مرة عام 2005م.

وإلى الساحل رغبة في الحلقة وفيما يستفيده ⁽¹⁾. تلاميذه: ودرس على يدي الشيخ أبي خليل العديد من التلاميذ، منهم على سبيل المثال: أبو ذر أبان بن وسيم الويغوي ، وأبو معروف ويدران بن جواد ، فكفاه أن خرّج مثل هذين العلمين اللذين كان لهما الدور الكبير في مسيرة الحركة العلمية والثقافية في المنطقة . ومن علماء الجبل الذين اهتموا بالفقه الشيخ أبو ذر أبان بن وسيم الويغوي: وقد عده الدرجيني في الطبقة الخامسة⁽²⁾. يشير الشماخي أن أبان بدأ متأخراً في طلب العلم، ويبدو أن إستفزاز الناس له هو ما حثه على التعلم⁽³⁾، والجلوس إلى الشيخ أبي خليل صال الدركلي، بقرية دركل ، وكان من أبرز تلاميذه لمواظبته على الدرس واجتهاده في طلب العلم حتى قال له شيخه أبو خليل : " لكل زمان نذير وأنت نذير زمانك "⁽⁴⁾ كما أجاز له أن يفتي الناس وأوصاه بأن يرخص لهم ليكون ذلك عذراً لهم⁽⁵⁾. وهذا يفيد الغاية العلمية التي بلغها أبان بن وسيم نتيجة للأرضية الثقافية والعلمية السائدة بالجبل. وكان أبان يتصف بالفهم وسرعة البديهة، جاءه رجل من شروس يريد أن يختبره في مسألة فقهية، وقال له: إن أفيتها فأنت أبان وإن لم تفتها فأنت أباش فسأله عن من حلف لزوجته بالطلاق إذا تزوجت ابنته لرجل يحبه أو لرجل يكرهه، فرد الشيخ أبان ببساطة: يزوجها لرجل لا يعرفه

(1) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 301 .

(2) . المصدر نفسه، ص 301 .

(3) . الشماخي، المصدر السابق، ص 215 — 216 .

(4) . الوسياني، المصدر السابق ، ورقة 6 ؛ البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 96 .

(5) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 301 — 304 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص 216 ؛ سليمان الباروني

، المرجع السابق ، ص 220 ؛ علي يحيي معمر ، المرجع السابق ، ص 113 — 114 .

البتة⁽¹⁾. ونتيجة لباعه الطويل في العلم والثقافة قام هو الآخر بمهام التعليم والتدريس، وكانت تساعده في ذلك زوجته: بملولة التي قال فيها الشماخي: " ممن وافقه وطابقه علماً وعملاً وحسن عشرة"⁽²⁾ وتخرج من مدرسته طلاب عديدون، منهم أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري، وأبو محمد عبد الله بن الخير الوزيري، وأبو معروف ويدران بن جواد، وزورغ الأرجانية، وتكسليت أم يحيى⁽³⁾. هذا بخلاف الطلبة الذين لم تذكرهم المصادر، وهذا ما ألمح إليه آنفاً من أن العلماء يأخذ بعضهم عن بعض، ومن ثم ينشرون بدورهم العلم والثقافة في ربوع المنطقة، وخاصة في المناطق التي يندر بها التواجد العلمي، وهذا يدل دلالة واضحة على الترابط الديني والثقافي في جبل نفوسة عبر الأجيال.

ومن شيوخ الفقه بالجبل الشيخ سدرات بن إبراهيم المساكني النفوسي: ق: (هـ / م) يرجع أصله إلى قرية إمساكن، لم تشير المصادر إلى مكان دراسته ولا عن شيوخه الذين تعلم عليهم، إلا أن الشماخي قال عنه: " كان شيخاً عالماً"⁽⁴⁾، ويبدو أنه كان يترأس حلقة علم تتم فيها إثارة المشكلات والتساؤلات العلمية والفقهية وتحضر النساء هذه المجالس ومن بينهن أخت عمروس.

ومن فقهاء الجبل البارزين الذين تركوا بصمات واضحة وجلية في هذا المجال، الشيخ أبو حفص عمروس بن فتح المساكني، وهو من قرية أموساكن⁽⁵⁾

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة؟

(2). الشماخي، المصدر السابق، ص 218.

(3). محمد بابا عمي، المرجع السابق، ص 7.

(4). المصدر نفسه، ص 230.

(5). إمساكن: (قطرس حالياً)، قرية من قري الجبل القديمة، تقع وسط غابات من الزيتون، يحدها من الشرق مدينة إبديلان، ومن الغرب وادي تالة، ومن الشمال غابة زيتون، وكذلك من الجنوب حتى منطقة الظاهر، سكن أهلها قديماً الغيران في مراحلنا الأولى، من معالمها التاريخية مسجد الشيخ عمروس بن فتح المساكني، زرعها عام 2005.

وتذكر المصادر التاريخية بأنه: ولد في طريق الحج، وهناك العديد من صبيان الجبل ولدوا في طريق الحج، ويذكر أنه ولد في ركب واحد ثلاثمائة صبي ذكر ناهيك عن الإناث إلا أن المصادر لم تذكر تاريخ ميلاده .

شيوخه : وتلقي العلم على مشايخ الجبل، كما تشير المصادر التاريخية إلى أن عمرو بن فتح مكث بالمغرب عشرين عاماً يطلب العلم⁽¹⁾، إلا أن الشماخي لا يحدد المكان بالضبط ويورده (المغرب)؛، كما تولى القضاء في ولاية أبي المنصور إلياس (كان حياً في الأعوام : 261 – 281هـ / 874 – 894م) في أواخر الدولة الرستمية. واهتمت كتب الطبقات والسير بشخصية عمرو بن فتح وتحدثت عنها مطولاً لما تتمتع به من شهرة علمية ودور ثقافي هام في المنطقة. ويتضح أن علماء الجبل كانت لهم حظوة ومكانة علمية في نفوس العلماء المشاركة، ففهم ذلك من خلال اللقاء العلمي الوثيق بين الشيخ ابن فتح والعلامة أبي عبد الله محمد بن محبوب رحمه الله وذلك بمكة المكرمة في إحدى مواسم الحج، وكان اللقاء في مجلس من مجالس العلم التي يقيمها ابن محبوب، وتقدم عمرو طارحاً سؤاله، فأعجب الشيخ ابن محبوب الذي أدناه منه وقربه إليه وسمح له بالتدريس في مكانه، فسرد مجموعة مسائل فقهية كانت على درجة عالية من النضوج العلمي، حتى قال له ابن محبوب: " هذا من مكنون العلم لا يسأل في قوم جهال "⁽²⁾.

جهوده الفقهية: اهتم الشيخ عمرو بالنشاط الفقهي، دراسة و تأليفاً، فقد أشارت المصادر لعزم ابن فتح إلى تأليف كتاب في الفقه، فوضع له تصميماً، وجعل له منهجاً لم يسبقه إليه أحد، على أساس أن يبين فيه الأحكام الدينية وفق مصادرها

(1) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 130؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 229 .

(2) . الرسياني، المصدر السابق، ورقة 3 – 4 .

التشريعية الثلاثة: (الكتاب، السنة، الرأي) إلا أن الموت كان أسبق من عزم ابن فتح المساكني⁽¹⁾، فلم يتم إنجاز ذلك المشروع العلمي غير أن النتيجة التي نخلص لها هي قدرة عمروس على العطاء والإبداع الفكري الذي تتأسس عليه النظريات والأفكار. ومن جهوده الفقهية التي بقيت آثارها إلى يومنا هذا نسخته لكتاب فقهي يعرف باسم: (مدونة أبو غانم الخراساني)⁽²⁾ وكان حينها مازال شاباً حدثاً، عندما استودعه أبو غانم بشر الخراساني رحمه الله نسخة من مدونته لما اجتاز الجبل في طريقه إلى مدينة تيهرت، وكانت أخته تساعد في الإملاء حتى تم نسخها جميعاً، وهي تقع في اثني عشر جزءاً⁽³⁾. ويرجع إلي عمروس الفضل لنسخه مدونة الخراساني لأنها بقيت النسخة الوحيدة بعد إحراق النسخة الأخرى في مكتبة تيهرت، أثناء السيطرة الشيعية، وإسقاط الدولة الرستمية سنة: (296هـ / 909م). وفاته: توفي العلامة عمروس بن فتح سنة (283هـ / 896م)، بعدما أخذ أسيراً في معركة مانو.

لم يكن أمر العلم والتفقه في الدين مقتصرًا على رجال جبل نفوسة فقط دون نسايتها، وهذه حسنة أخرى تسجل للرجال لمنحهم المرأة حقها في طلب العلم، وبهذه البيئة العلمية المزدهرة برزت مجموعة من النسوة أسهمن بدور هام ومثمر في الحياة العلمية والفكرية بالجبل، فهذه أخت عمروس بن فتح المساكني: (كانت حية عام: 283 هـ / 896 م) وللأسف لم تذكر لنا المصادر التاريخية

(1) الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 35.

(2) مدونة أبي غانم الخراساني: كتاب في الفقه، دونه بشر بن غانم الخراساني عن تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وفيه أقوالهم ورواياتهم واختلافاتهم في بعض المسائل. ينظر: البرادي، رسالة في كتب الإباضية، ص 57.

(3) الوسياني، المصدر السابق، ورقة 2؛ الدرجيني المصدر السابق، ص 323؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 228.

اسمها، ولا سنة ميلادها، والمعلومات التي جاءت بشأنها بسيطة جداً، ويبدو أنها استفادت كثيراً من أحييها العالم الشيخ عمروس، فكثيراً ما ساعدته في نسخ الكتب ولاشك أن تتناقش معه في المسائل العلمية والنوازل الفقهية. أشار إليها أبو زكريا بن يحيى الوارجلاني في كتابه قائلاً: " كانت عالمة فقيهة "(1). ومن هذا النص يتضح لنا أنها كانت تشتغل بالفقه وتمتم به إلى درجة أنها صارت عالمة فيه.

شيوخها: درست على يد أحييها الشيخ عمروس بن فتح، كما درست على الشيخ أبي حمزة سدرات بن إبراهيم، وكانت تشارك الرجال في مجالسهم العلمية والفقهية، وليس هذا فحسب بل تناقشهم وتجادلهم، كما أشارت إلى ذلك بعض المصادر التاريخية حيث ذكرت: أن أحد العلماء وهو أبو حمزة سدرات بن إبراهيم كان في مجلس علم وأثار الحاضرون مسألة فرد الشيخ سدرات بالإيجاب على تلك المسئلة، فقال أحد الحضور لقد نعس الشيخ، فردت عليه أخت عمروس: إن نعس فلم ينعس كلامه(2). والذي يستنتج من هذا النص هو مشاركة وتواجد امرأة إلى جانب الرجال في مجالس العلم ولها رأيها الذي تدافع عنه .

ومن فقهاء الجبل، الشيخ أبو ذر صدوق الفرستائي ق: (2هـ/8م)، ينتسب إلى قرية فرسطا، وتلمذ على يد الشيخ أبي مرداس مهاصر، وكانت له جهود طيبة في نشر العلم بالجبل، كما يعد ضمن سلسلة نسب الدين، وقام بمهام التدريس كأغلب علماء الجبل، ومن تلاميذه: العالم أبو يونس أبدين الفرستائي. ومن فقهاء الجبل المشهورين، وخاصة بعد معركة مانو (283هـ/896م)، التي قتل فيها عدداً كبيراً من أهالي الجبل، ومن العلماء

(1) . الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 38.

(2) البغطوري، المصدر السابق، ورقة 130 – 131.

والفتهاء قدروا بحوالي: أربعمائة عالم، مما أثر على مسار الحركة الفكرية والعلمية. ولولا وجود هذين العلمين لسارت الأمور في اتجاه آخر كما يشير لذلك أحد المؤرخين قائلاً: " ولم يبق من علمائهم وفقهائهم إلا أبو القاسم البغطوري وعبد الله بن الخير، وهما اللذان يفتيان لأهل الجبل نوازلهم من تلك الوقعة، ولولاهما لعطلت إلي يوم القيامة" (1).

ولد الشيخ أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري عام (163هـ / 776م) وينسب إلي بغطورة (2) وليس كما جاء في معجم أعلام الإباضية أنه: من أهل ميري ومولده عام (163هـ / 776م) (3). لإشارة بعض المصادر أن عمره بعد معركة مانو في عام (283هـ) 120 سنة (4)، فعملية طرح 120 من 283 = 163 وهي سنة ولادته تقريباً. ونسبته لقرية بغطورة تتضح من خلال اللقب .

شيوخه: وتعلم عند الشيخ أبان بن وسيم الويغوي، وتخرج من مدرسته بويغو حيث كان يقطع كل ليلة المسافة ما بين بغطورة وويغو من أجل طلب العلم والتعلم (5). وهو يعد من العلماء الذين بقوا بعد معركة مانو، إذ لم يشارك فيها

(1) الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 38.

(2) . بغطورة : قرية من قري الجبل، يذكرها الشماخي أحياناً بقطورة (بالقاف)، ومن بقايا الآثار (غيران وبقايا المباني المتساقطة)، تبدو أنها كانت كبيرة إلي حد ما وتقع بغطورة على مجموعة هضاب تفصل ما بينها الشعاب، ويمدها من الشرق قرية تمنكرت، ومن الغرب والشمال تحيط بها غابات الزيتون، ومن الجنوب وادي بغطورة الذي يتجه جنوباً ثم يلف شمالاً ويلتقي مع وادي أبو الرصف، ومن المعالم التاريخية : قصر القرية الذي يقع فوق ربوة عالية ويشرف على القرية من الجهة الغربية، كما يوجد بها مسجد الشيخ أبو القاسم البغطوري المعروف حالياً (أبو قفة)، يقع في وسط القرية مازالت أساسات المسجد قائمة، ويبدو أنه كان كبيراً حيث قدر طوله 14 متراً وعرضه 17 متراً، وهناك بيت أول وآثار المحراب غير واضحة تماماً، زرتها عام 2004، ينظر الصورة رقم (30).

(3) معجم أعلام الإباضية ، المرجع السابق ، ص 169 .

(4) الشماخي ، المصدر السابق ، 235 .

(5) الشماخي ، المصدر السابق ، ص 235 .

أصلاً لكبر سنه فقد بلغ عمره وقتذاك مائة وعشرون سنة، ووقع عليه عبء كبير ومسئولية علمية وفقهية فقليل: " قعد يفتي بعد وقعة مانو ثلاثة أيام بلياليها، وقيل يوم وليلة وهو يقول الكبر عيب وهو يومئذ له من العمر مائة وعشرون سنة"⁽¹⁾. تلاميذه: استمر الشيخ أبو القاسم في التدريس، والنهوض بالمسيرة التعليمية من جديد، فتخرج على يديه عدد من العلماء أعادوا النشاط الثقافي و العلمي لسابق عهده، منهم على سبيل المثال: أبو هارون موسى بن يونس الجلامي. والعالم الفقيه الآخر الذي بقي بعد معركة مانو وواصل مسيرة العطاء الفقهي، هو أبو محمد عبد الله بن الخير الونزيري: ينتسب إلى قرية ونزيرف⁽²⁾، لم تشر المصادر إلى سنة ولادته.

شيوخه: درس في مدرسة أبي ذر أبان بن وسيم الويغوي، الذي كان من أبرز شيوخه، وبرع في تلك المدرسة، حتى صار من علماء الجبل الكبار، وكانت تضرب به الأمثال فقليل فيه: " من ضيع كتاباً كمن ضيع خمسة عشر عالماً مثل عبد الله بن الخير"⁽³⁾، ونفهم من هذا النص والمثل أن ابن الخير بلغ درجة عالية من النضوج العلمي والثقافي حتى صار يشبه بالموسوعة العلمية المتحركة.

ويشير أحد الباحثين المعاصرين إلى أن الشيخ أبا محمد عبد الله بن الخير والشيخ أبا القاسم البغطوري قد سبقا الشيخ أبا عبد الله محمد ابن بكر الفرستائي

(1) نفس المصدر والصفحة .

(2) ونزيرف : إحدى قري الجبل، تقع بين وادين وادي أوجنت من جهة الشرق، ووادي أبو غنداس من الغرب، ومن الشمال فاية وادي قويام الذي يتحدر من وادي أمسين ومن الجنوب منطقة الظاهر، من معالمها التاريخية مسجد الشيخ أبو محمد عبد الله الونزيري، ومسجد الشيخ أبو زكريا يحيى السدراتي، ومدرسة تعليمية قديمة لم نثر عن معلومات تفيد: من بناها أو من درس بها من المشائخ، وبالإضافة إلى قصر القرية الذي يقع على ربوة مرتفعة يفصله خندق للحماية، زرقما عام 2005، ينظر الصورة رقم (31) .

(3) الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 316.

في وضع الجانب الاجتماعي والديني في نظام العزابة⁽¹⁾، وعلى الرغم من المكانة العلمية والاجتماعية التي بلغها الشيخ عبد الله إلا أنه كان دائم الاستعداد من أجل زيادة معارفه فهو: "علق زاده لنية السير إلى تعلم العلم وهو الحاكم والقاضي بين الناس"⁽²⁾. تلاميذه: كان للشيخ أبي محمد حلقة علمية ومجلس للذكر، وتخرج على يديه العديد من طلاب العلم نذكر منهم على سبيل المثال: غزالة الأمة السودانية، يوجد بقرية ونزيرف مسجد مازال يحمل اسمه⁽³⁾، مات وعمره مائة وعشرون عاماً.

كما كان للمرأة في جبل نفوسة إسهام علمي واضح لا سيما في الفقه إلى درجة أن أطلق على هذا العلم، (علم العجائز)، وقد عبر الشماخي عن ذلك المعنى بقوله: "وللعجائز بالجبل وغيره شأن عظيم"⁽⁴⁾. ومن بين تلك النسوة العالمات: بملولة النفوسية ق: (3م/9م)، التي كانت توصف بالصلاح والتفقه في الدين، درست العلوم على يد الشيخ إبان بن وسيم الويغوي، وكانت حلقات العلم تعقد في بيتها ثم ما لبث أن تزوجها الشيخ أبان تقديراً لجهودها في نشر العلم. ولم تذخر جهداً بعد الزواج بل تعاونت معه في التدريس والاهتمام بالنساء الطالبات للعلم. ونشير إلى عالمة أخرى وهي: أم الخطاب الأغرميمانية ق: (3م/9م)، من قرية أغرميمان، كانت مسيحية الدين، ثم أسلمت بعد زواجها من الشيخ أبو يحيى الأزدالي، وتوجهت بنشاط إلى طلب العلم والمعرفة، فحفظت القرآن الكريم ثم

(1) . سالم بن يعقوب، المرجع السابق ، ص 94 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 237 .

(3) . مسجد الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخير الوزيري : مازال المسجد بحالة جيدة لاهتمام الأهالي به، طوله 10

أمتار وعرضه 9 أمتار تقريباً، زرته عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (32) .

(4) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 260 .

درست علوم الشريعة حتى أصبحت مرجعاً للنساء في الإستشارة والفتوى. ومن نساء الجبل المجتهدات: زورغ الأرجانية: ق: (هـ / م) وتنتسب إلى قرية أرجان، وهي امرأة عابدة سالحة عالمة، وبلغت درجة عالية من العلم والصلاح والورع حتى قالوا فيها إن: " معها ثلث علم الجبل "(1).

شيوخها: تتلمذت على الشيخ أبان بن وسيم وتخرجت في مدرسته، وينسب إليها مصلي يعرف باسم " مصلي زورغ "(2)، كما درست على يد الشيخ مصلوكن الرساوي. وفاتها: لا يُعرف على وجد التحديد متى توفيت، لكن يقدر أنها عاشت في الفترة ما بين الأعوام: (200 – 250 هـ / 815 – 465 م).

وكذلك من عالمات الجبل الشهيرات في الفقه أم يحيى تكسليت: ق: (هـ / م) وذكورها أصحاب معجم أعلام الإباضية مرتين وفي كل مرة نسبوها إلى قرية من قرى الجبل الأولى نسبت فيها إلى أهل جليمة(3)، والثانية إلى قرية" تيمصليت "(4). لم تذكر المصادر تاريخ مولدها، ولا تاريخ وفاتها، غير أنها كانت حية عام (283 هـ / 896 م). شيوخها: تتلمذت على عدة شيوخ منهم: أبو غلبون من أهل كزين وجندول من تمنكرت(5)، وأخيراً عند أبان بن وسيم بويغو،

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 137 .

(2) . مصلي زورغ: هو عبارة عن بناء من الحجارة مستطيل الشكل، بابه يفتح ناحية الجنوب، ويعد الآن البناء الوحيد في أرجان (الرحيبات) لوجود أكثر من قرية اسمها أرجان، وطريقة بناء الواجهة فيها فن وروعة معمار، البناء ما زال بحالة جيدة، وكان قائماً في ق 10 هـ / 16 م، زرتة في 2004.

(3) . معجم أعلام الاباضية، المرجع السابق، ص 105. وهذا ما قاله المؤرخ البغطوري، ورقة 32.

(4) المرجع نفسه، ص 465.

(5) تمنكرت: هي إحدى مدن الجبل وتعرف حالياً (بقييلة)، وقد هجرها سكانها وتقع في الضفة الشمالية لوادي تمنكرت، يحدها شمالاً جبل تمنكرت، ومن الجنوب مجري وادي تمنكرت، ومن الشرق والغرب نفس المجري لوادي تمنكرت، ويوجد بالوادي أكثر من مائة سانية، كما تكثر به أشجار النخيل بأنواع مختلفة منها: الكركاي =

وتزوجت من أحد علماء الجبل وهو أبو ميمون الجيطالي وسلكت طريقته نفسها بعد وفاته في استقبال العلماء في بيته، وفتح مجالس العلم والذكر للنقاش والمذاكرة كما تشير بعض المصادر: " كانوا يجتمعون عندها عزابة أمسين في ليلة الجمعة يتذاكرون ويحيون ليلتهم في العبادة "(1). وكانت تتصف بالذكاء وسرعة الحفظ وروي أن كتاب الخليل الصالح أول ما وصل جبل نفوسة عند رجل من أمسين فطلبوه منه للنسخ فرفض . فتحيلت عليه أم يحيي وأقنعتة بأن يعرضه عليها مرة واحدة، ومن قراءتها الأولى للكتاب قالت للأهالي : من أراد أن ينسخ فليكتب (2). كما يرجع إليها الفضل في تأسيس أول مدرسة خاصة بالنساء في منطقة أمسين (وتعرف بمدرسة أمسين) وألحقت بها محل إقامة للفتيات القادمات من أماكن نائية تلاميذها: ومن أبرزهم: شكرت الزغوارية، وأم زعرور.

كما نذكر في هذا الصدد أم زعرور الجيطالية: ق: (هـ / م) إحدى نساء الجبل العلمات وهي من قرية إيجيطال (3)، بلغت درجة عالية في العلم والورع والتقوى، ومن أقوالها المأثورة: " من فاتته ثلاثة فقد فاته خير الدنيا والآخرة، من فاتته الحرث، وحضور مجالس العلم، وجماعة الأخيار "(4). فنلاحظ تركيزها على الجانب

= الشهباني، والمغراسي، كما كان الأهالي يقومون بزراعة الخضروات على ضفاف الوادي ويستخدمون الأبقار في عملية السقي، وما زالت آثار المدينة قائمة، زرتما عام 2004.

(1) الشماخي، المصدر السابق، ص 233 — 235.

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 36 .

(3) . إيجيطال : من قري مدينة الرحيبات، تقع في سفح الجبل، في وسط غابات من الزيتون، تحدها من الشرق قرية الخربة، ومن الغرب نهاية الجبل، ومن الشمال وادي بازينة، ومن الجنوب وادي قويام، ومن معالمها التاريخية : مسجد أبي ميمون الجيطالي، ومسجد إسماعيل الجيطالي ، وقصر جيطال، يرى المستشرق تاديوش ليفيتسكي أن تسمية إيجيطال مشتقة من الاسم الذي كان يطلق على الشعب الليبي [جاوتولي Gaetuli] زرتما عام 2004 .

(4) البغطوري، المصدر السابق، ورقة 177.

العلمي، ووعيتها بأهمية الاقتصاد وضرورته في الحياة البشرية، كما وصفت بالذكاء والفهم فقد حاول الشيخ أبو محمد التغرمني أن يمتحنها — قبل أن تصير زوجته — ووجدها تملأ الماء من البئر، فقال لها: " يا جارية هل لله زرع بل مزرعة، فقالت: نعم، فقال لها: هل من يحرت تلك المزرعة، فقالت: نعم، فقال لها: هل له من يحصد، قالت: نعم، فقال لها: هل له المخازن، فقالت: نعم بيوت الشعير وبيوت القمح، فقال لها: ما معنى هذا كله، فقالت له: أما المزرعة فهي الدنيا، وأما الحارثون فالناس الذين في الدنيا، والحصّاد ملك الموت، وأما الأندر فالقبور، وأما المخازن فالجنة والنار، فالقمح هو الجنة والشعير هو النار" (1).

ومن علماء الجبل في الفقه الشيخ ابن معبد الجناوني: ق: (هـ / م)، وينتسب إلى قرية إيجناون، أمضى سنوات طويلة من عمره في طلب العلم خارج قريته حتى بلغ غايته في التعلم. شيوخه: درس عند الشيخ سعد بن أبي يونس بقنطرة، وتشير المصادر أنه مكث أربعين عاماً في التعلم! وهنا يثور سؤال: لماذا تطول فترات تعليم بعض الطلاب إلى مثل تلك السنين؟ ويبدو أن الشيخ ابن معبد قد تخصص في علم الموارث حيث يقول حين رجوعه إلى قريته بعد إكمال تعليمه: " لو ماتوا جميعاً وفصلوا أعضاء لأورثتهم بعضهم من بعض من كثرة علمه " (2).

كما برز خلال هذا القرن عالم وفقه له مكانته العلمية والاجتماعية وهو الشيخ أبو عبدة عبد الحميد الجناوني: ق: (3هـ/9م) وينتسب نسبة إلى قرية اجناون، أسهم في الحركة العلمية والثقافية بشكل كبير، وكان والياً على الجبل من

(1) . المصدر نفسه، ورقة 171.

(2) . الشماخي، المصدر السابق، ص 242.

قبل الإمام عبد الرهّاب الرستمي، وكان موصوفاً بالأخلاق الحسنة زاهداً ورعاً⁽¹⁾. وينسب إليه مسجد في قرّيته وكان محل دراسة وعلم حتى قيل اجتمع به سبعون عالماً⁽²⁾، مما يدل على النبوغ العلمي والازدهار الثقافي بالمنطقة. كما يتضح من خلال النصوص التاريخية عمقُ علاقات جبل نفوسة ومنطقة إفريقيّا فيما وراء الصحراء في فترة أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني الذي كان يتقن عدة لغات من بينها اللغة الكانمية⁽³⁾. فتلك الدرجة التي يتقن فيها علماء منطقة لغة مناطق أخرى تعني مدي عمق الجذور التاريخية للعلاقات، وتشعب فروع التعاون والتواصل في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية. وفاته: توفي الشيخ أبو عبيدة الجناوني بعد 211هـ / 826م.

وظهر العالم الفقيه ويدران بن جواد أبو معروف: ق: (3هـ/9م) في مدينة شروس، وقد أسهم في ازدهار العلم ونشره في ربوع الجبل. درس الشيخ ويدران عن أبي ذر أبان بن وسيم، كما أخذ عن الشيخ أبو خليل صال الدركلي، ويعد ضمن سلسلة نسب الدين بالجبل، ونتيجة لإطلاعاته الواسعة للكتب الأمر الذي جعله ذا ثقافة عالية وإلمام بالعلوم وخاصة علم الفرائض، مما أهله للقضاء بين الناس وبخاصة في مسائل الميراث والديات، كما يبدو أنه اشتغل بالتدريس ومن تلاميذه البارزين: أبو مسور يسحنا اليهراسني الذي بدوره نقل المؤثرات العلمية والثقافية من الجبل إلى جزيرة جربة⁽⁴⁾. وهذا يضاف إلى أهمية الجبل العلمية وتأثيراته في مناطق

(1) .الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 70 — 71.

(2) .الشمّاخي، المصدر السابق، ص 545.

(3) . الباروني، المصدر السابق، ص 170.

(4) لفرحات الجعبري، ملامح عن الحركة العلمية عند الإباضية بجزيرة، المرجع السابق، ص 26؛ لفرحات الجعبري نظام العزابة عند الإباضية الوهّبية في جربة، تونس: المطبعة العصرية، 1975، ص 155 — 157.

الجوار. ويبدو أن ورع وتقوي هذا الشيخ قد أثرت عليه في أعماله الدنيوية، فقد روى عنه البغطوري: أنه كان تاجراً ولكي يحتاط في التعامل التجاري فكان إذا باع بضاعة يزيد للشاري في الميزان، وإذا اشترى لنفسه كان ينقصها، وقال البغطوري أيضاً: " لما حضرته الوفاة أوصى بأربعين ديناراً لإحتياط الميزان "(1).

وكما نوهنا سابقاً لإسهامات المرأة في طلب العلوم وخروجها ومشاركتها للرجال في مختلف حلقات العلم ومجالس الذكر، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تفوقت بعض النساء في جوانب علمية على الرجل، ووصلت إلي درجة الاجتهاد والإبداع . ومن بين تلك النساء غزالة السودانية: من عالمات الجبل في أواخر ق: (3م/9م)، ويرجع أصلها إلي بلاد السودان(2)، ولم تحدد المصادر بدقة المكان الجغرافي الذي جلبت منه، وإنما المعروف عنها أنها جلبت إلي الجبل ضمن تجارة الرقيق التي كان معروفة وقتذاك وفي نفس الرحلة التي قدمت فيها لوحظ عند سماعها تلاوة القرآن الكريم كانت تجلس ولا تتحرك حتى تنتهي التلاوة(3). وهذا مما يعني أنها كانت تفهم اللغة العربية لغة القرآن الكريم وتتدبر معانيها ، وذلك ناتج لعمق التواصل بين الشمال الإفريقي وإفريقيا فيما وراء الصحراء . وكانت غزالة تقيم في مدينة ويغو عندما اشتراها أحد الأهالي .

شيوخها: درست على الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخير الوتيزيري، وكانت تسير إليه كل يوم وذلك من قريتها ويغو إلي قرية وتيزيرف للدراسة وطلب العلم، وهذا

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 81.

(2) يقصد ببلاد السودان: إما الغربي أو الأوسط ، لأنهما المنطقتان اللتان تعامل معهما جبل نفوسة تجارياً وثقافياً .

(3) . الجيطالي ، المصدر السابق ، ص 22 .

مؤشر على أن الحياة العلمية بلغت من الشيوع والازدهار في تلك القرون حتى يسمح للخدم والإماء بحرية طلب العلم والتعلم في ذلك الزمن المبكر ، الأمر الذي لم تفكر فيه أوروبا حتى بتعليم أحرارها حينذاك وهذا عين ما أشار إليه الوسياني : " أن العلم فشا في الجبل وشاع حتى إن خدمهم وإماءهم إذا خرجن إلي الاستسقاء لا يرجعن حتى يذاكرن بينهم مسایل كتاب ماطوس وفيه ثلاث مائة مسألة ومواعظ ، وكتاب الإخوان "⁽¹⁾، ويوجد بالجبل بقرية ويغو غار يحمل اسم العالمة غزالة⁽²⁾.

ويعد الشيخ أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي: من العلماء الذين اشتغلوا بالفقه، ويرجع أصله إلي مدينة لالوت (نالوت حالياً)، عاش في أواخر القرن الثالث هـ / التاسع م.

شيوخه: أخذ العلم من الشيخ أبي هارون موسى بن يونس الجلامي، وبعد تخرجه قام بتأسيس مدرسة قصدتها العديد من طلاب العلم في الجبل، وكان يتبع فيها طريقة في التعليم تختلف عن المدارس الأخرى حيث يخرج بطلابه خارج حجار الدراسة.

تلاميذه: ومن الطلاب الذين تعلموا على يديه : الشيخ أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصصي⁽³⁾. وفاته: لم تذكر المصادر سنة وفاته، وإنما توفي في إحدى الرحلات العلمية بصحبة تلاميذه، وعمره سبع وعشرون عاماً .

(1) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة ، 13 .

(2) . غار العالمة غزالة : يقع الغار وسط قرية ويغو بجانب مجموعة غيران كانت تتخذ للسكن في ذلك الوقت، وهو غار متسع طوله حوالي 15 متر وعرضه 10 أمتار، توجد به من الداخل ركابة ومحراب للصلاة وخزانة على جدار الغار ، وعدد من الكوات كانت تستعمل للإضاءة ، زرته عام 2004.

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 299 .

وما زال الجبل ينجب الفقهاء على مر الزمن وتعاقب القرون وها هو القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) والمساجد تعج بالتلاميذ والمدارس تدفع بالخرجين إلى ساحات العلم وميادينه، ويتميز هذا القرن أيضاً بالنشاط الفكري والثقافي ب بروز علماء وعالمات من مختلف القرى والمدن في مجالات شتى من العلوم والفنون المعروفة حينذاك.

ومن أعلام ذلك القرن (4هـ/10م) نذكر أم سحنون اللالوتية، إحدى نساء مدينة لالوت، وتعد من العالمات الناصحات، وفي الجبل لاحظت عادة حسنة كثيراً ما يتبعها العلماء والفقهاء، ألا وهي زيارة العجائز من النساء لإستشارتهن في مسائل هامة تتعلق بالدين والدنيا، وأم سحنون من النساء اللاتي كثيراً ما يزورها المشائخ للإستفادة من علمها ونصحها، والشماخي يقول عنها في سيره: "أفضل عجوز بالجبل" (1). وتركت أقوالاً ماثورة في الحكمة والأدب في العديد من بطون الكتب. ومن نساء الجبل كذلك أم الربيع الوريورية ق: (4هـ/10م)، كانت امرأة فاضلة، اشتهرت بالعلم والكرم، وكانت من الطبقات الغنية بالجبل فأنفقت جل ثروتها على العلم وطلابه. وكثيراً ما كان العلماء يستريحون في الإقامة عندها للمشاركة ومناقشة مختلف القضايا الدينية والعلمية التي تم الناس وحياتهم. كما نذكر تبركانت السدراتية ق: (4هـ/10م)، وهي زوجة الشيخ أبا هارون موسى الباروني، وكانت تكنى: بـ(جدة الشيوخ) لأن أغلب أولادها وأحفادها علماء وشيوخاً، وذاعت شهرتها في مجال العلم والفقهاء، وتركت العديد من الأقوال والحكم والوصايا في بطون الكتب والمؤلفات، ومن أقوالها في الوصايا: " شر

(1). الشماخي، المصدر السابق، ص .

الصدر صدر لا رافة فيه، وشر الأقدام قدم لا تزور في الله، وشر البيوت بيت لا يدخله المسلمون، وشر المال مال لا ينفق منه" (1). ونلاحظ كثرة نبوغ النساء بالجليل، وكانت لهن مكانة بين العلماء إلى درجة أن يقول المؤرخ البغطوري: " أن الماضين خافوا على أحكامهم من مشائخهم، ومشائخهم خافوا من عزابتهم، وعزابتهم خافوا من عجائزهم" (2). والمرأة بلغت تلك المكانة بسبب المناخ الفكري المزدهر، الذي شجع عليه الدين الإسلامي، وبذلك حفظت لنا كتب التاريخ نماذج من أقوال ماثورة، وحكم لبعض النساء، مما يدل على رقي المرأة علمياً وثقافياً، ومنها: " أن عجوزاً من نفوسة مرضت فجاءت أخوات في الله يزرننا، فقالت إحداهن: ليس المحب للحبيب الذي يشق عليه فعل حبيبه، وقالت الأخرى: ليس بالحبيب الذي لا يصبر على فعل حبيبه، فقالت لهن المريضة: ليس الحبيب الذي لا يفرح لفعل حبيبه" (3).

ومن أعلام الجبل: الشيخ أبو الربيع سليمان بن ماطوس الشروسي: ويرجع نسبه إلى مدينة شروس، لم تذكر المصادر سنة ولادته، ولا المشايخ والعلماء الذين درس عندهم، وهو يعد من العلماء الناجين من معركة مانو (283هـ / 896م) وكان له دور كبير في إنعاش الحياة العلمية بالجليل خاصة بعد الركود الذي أصابها نوعاً ما من جراء معركة مانو، قام بافتتاح مدرسة أثرت في الحركة الفكرية والثقافية، ونشرت العلوم في جميع الربوع (4)، وكان بعض الطلاب يترددون عليه في مدرسته ويتعلمون عنده، ثم يسافرون إلى بلاد إفريقية بموضع يقال له

(1). أبو العباس الفرستاني، المصدر السابق، ورقة 100.

(2). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 190.

(3). أبو العباس الفرستاني، المصدر السابق، ورقة 100.

(4). علي يحيى معمر، المرجع السابق، ص 157 — 158: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، 144.

(سلام عليك)⁽¹⁾ و يقيمون هناك فترة للدراسة ثم يرجعون إلى مدرسة ابن ماطوس ليعرضوا عليه ما درسوه في رحلتهم العلمية ، ثم يقوم معهم بالمراجعة والتصحيح لمختلف المسائل والمشكلات، وتطول بهم تلك المراجعات فترات تصل أحياناً إلى ستة أشهر، وأخيراً يرجع الطلاب إلى أهاليهم⁽²⁾. وهذا يبين مدى أهمية مدارس الجبل بالنسبة للمدارس الأخرى في المناطق المجاورة.

كما أن العلامة ابن ماطوس ذاع صيته في الأقطار ، وانتشرت فتاويه خارج منطقة جبل نفوسة: " وشاع علمه في البلاد بل البلدان وبورك في فتياه حتى قيل إن فتيا ابن ماطوس بلغت جربة⁽³⁾، وفي أمسنان، وفي وارجلان، حتى لحقت فتياه أرضاً يقال لها سلام عليك في المغرب "⁽⁴⁾. ويشير الشماخي إلى نفس المعنى السابق قائلاً: " ذكر أبو زكرياء يحيى الجناوني عن أبي محمد وارسفلاس عن أبيه عن أبي يحيى الفرسطائي أنه قال : اجتمعت مع بعض العلماء بناحية زويلة⁽⁵⁾ —

(1). سلام عليك: إحدى مدن بلاد الغرب الإسلامي.

(2). الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة ، 27 — 28 ؛ الدرجمي ، المصدر السابق ، ص 350 ؛ أبو العباس الفرسطائي ، المصدر السابق ، ورقة 58 .

(3). جربة : جزيرة في البحر المتوسط على السواحل التونسية، فتحها الصحابي رويغ ابن ثابت عام 46 هـ ، سكنها الإنسان منذ القدم، طولها من المشرق إلى المغرب ستون ميلاً، وهي مربعة الشكل، تكثر بها مزارع النخيل والزيتون والعنب والتين انتشر فيها المذهب الإباضي بفرقتيه : الوهية والنكارية، وموقعها أعطاه أهمية تجارية تربط بين مختلف المناطق، ارتبطت بعلاقات علمية وثقافية مع جبل نفوسة، طوال العصر الوسيط ، ينظر : التيجاني، المصدر السابق، ص 124 .

(4). البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 80 .

(5). زويلة: من المدن الصحراوية الليبية تبعد عن طرابلس حوالي 1300 كلم، وهي مدينة قديمة فتحها عقبة بن نافع، وهي كثيرة النخيل والثمار، وشهدت ازدهاراً كبيراً في القرن الثالث الهجري، وهي ملتقى التجارة القوافل التجارية، ومنها تتفرع الطرق التجارية إلى كافة مدن أفريقيا فيما وراء الصحراء، وفي هذه المدينة قامت دولة بني الخطاب الإباضية. ينظر: الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 177.

وانظر البعد الجغرافي بين كل من منطقة جبل نفوسة ومدينة زويلة — فقال : إن فتوى ابن ماطوس كلها حسنة" (1).

تلاميذه: ومن أبرز التلاميذ الذين تخرجوا عنده: أبو صالح بكر بن قاسم، وأبو موسى البراسني، وأبو يحيى الفرسطائي.

ومن علماء الفقه بالجليل الشيخ يصلين أبو محمد الكباوي: وينتسب إلي مدينة كباو (2). لم تذكر المصادر تاريخ ولادته. شيوخه: أتم تعليمه عند الشيخ أبي هارون موسى بن يونس الجلامي زوج أمه التي لم تهتم به كثيراً ، إلا أن الشيخ الجلامي اهتم به وضمه إلي تلاميذه وكان تلميذاً نشطاً وبرع في العلم وصار من أفضل تلاميذه (3)، ونفهم من بعض الروايات التاريخية أن الشيخ أبو محمد الكباوي لم يكن متعصباً لرأيه وخاصة إذا بان له الحقيقة من غيره، فقد ذكر البغطوري إحدى مواقف أبو محمد التي يدعن فيها لرأى الشيخ أبو محمد وتين الوريوري في مسائل فقهية حول الحيض ونواقض الوضوء طرحها الشيخ أبو نصر زار التيفيستي (4).

(1). الشماخي ، المصدر السابق ، ص 276.

(2). كباو : تعد من المدن الكبيرة في الجبل، وتطل على وادي إكران الذي يشتهر بغرسة النخيل والتين، كما يوجد به آثار سواني مياه قديمة وهذا دليل على شهرته الزراعية وكباو تقع على قمة الجبل ويحدها من الشرق قرية فرسطا، ومن الغرب قرية ثلاث، ومن الشمال سلسلة جبال خلفها سهل الجفارة — (مدينة تيجي)، ومن الجنوب منطقة الظاهر، وآثار المدينة مازالت باقية وأهلها لا يزالون ساكنيها حيث انتقلت مدينة كباو الحديثة إلي الشرق من القديمة، ومن معالمها التاريخية: قصر كباو الذي تم ترميمه وصيانته مؤخراً في عام 2000، وكان القصر لتخزين قوت وتموين الأهالي . كما يوجد بها مسجد الشيخ أبي محمد الكباوي وهو عبارة عن غار صغير بنيت جدرانها من الحجارة والطوب، وكذلك يوجد بها بيت المجاهد سليمان عبد الله الباروني. زرقاً عام 2004.

(3). محمد بابا عمي ، المرجع السابق، ص 471.

(4). والسؤال جاء من أبو نصر لأبي محمد الكباوي وهو: عن المرأة التي تترل منها ثلاث علقات من الدم، في كل يوم علقه؟، فقال له أبو محمد: يكون لها ذلك وقتاً للحيض، ثم عرض أبو نصر المسألة على شيخ آخر وهو: =

كما تعلم علم التفسير على الشيخ أبي علي الحسن الكباوي. ويبدو أن الشيخ أبا محمد صار من علماء الجبل الكبار فيما بعد ويتضح ذلك من خلال اعتماد أبي زكريا بن أبي عبد الله — والي الجبل وقتذاك — على فتاوي الشيخ أبو محمد الكباوي عندما تستعصى عليه المسائل الفقهية والعلمية⁽¹⁾. وتذكر كتب التاريخ: أن أبو محمد كان كثير العطاء بماله وعلمه وصحته⁽²⁾، ولما توفي حضر جنازته أبو زكريا يحيى بن سفيان اللالوتي، وعندما رأى منازل وشوارع مدينة كباو قال: "السلام عليك يا كباو أنت الآن مثل المنازل"⁽³⁾، ويعني بكلامه بعد وفاة الشيخ أبو محمد صارت كباو كغيرها من الأماكن التي تفتقر للعلماء الكبار، والفقهاء الجهابذة. وهو نوع من التأبين والتحسر على موت عالم من علماء جبل نفوسة. تلاميذه: عكف الشيخ أبو محمد على تعليم غيره من طلاب العلم وتخرج على يديه جمع من العلماء منهم: أبو نصر زار بن يونس التيفستي، وأبو يوسف مجدول الترغتي، وأبو يحيى يوسف ابن زيد الدرفي.

ويعد الشيخ أبو محمد زيد بن أفصيت الدرفي: نسبة إلى قرية أدرف، هو الآخر من فقهاء جبل نفوسة، ولم تذكر المصادر العلماء الذين درس عليهم وربما يكون تعلم هو الآخر عند أبي هارون موسى الجلامي نظراً لأنه زامل الشيخ أبا محمد الكباوي، وكذلك لكون مدرسة الجلامي من أكبر المدارس في ذلك الوقت.

= أبو محمد وتين الوريوري، الذي ذهب بدوره إلى الشيخ أبو محمد الكباوي، وقال له: ما تقول فيمن وقع من أنفه علقه هل ينقض وضونه؟ فقال له: لا، فرد عليه الوريوري: وإن وقعت أخرى؟ فقال الكباوي: لا ينقض وضونه، فزاده: وإن وقعت الثالثة، فأجاب الشيخ أبو محمد الكباوي: تبت أيها الشيخ!!!، البغطوري، المصدر السابق، ورقة 17.

(1) البغطوري، المصدر السابق، ورقة 37.

(2) المصدر نفسه والورقة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ورقة 38.

وكان أبو محمد زيد من العلماء والمفتين الكبار، واشتغل بالتعليم وتخرج عليه ابنه أبو يحيى يوسف بن زيد الدرقي، وأبو يوسف مجدول التبرغتي .

كما ظهر الفقيه أبو يحيى زكرياء بن يونس الفرستائي: وينتسب إلى قرية فرسطا، وبما بدأ تعليمه الابتدائي على يد مشائخها وفقهائها، ثم رحل إلى مدينة شروس لإكمال تعليمه العالي على الشيخ: أبي يحيى سليمان بن ماطوس ولكنه لم يتحصل على مسكن بالرغم من كبر المدينة وقال قولته المشهورة: " ما أوسع شروس وما أضيقها "!(1). ونفهم من النص أن مدينة شروس كانت مكتظة بالسكان ومزدحمة إلى درجة يصعب فيها إيجاد مسكن بسهولة ويسر. وذلك أمر طبيعي في مدينة هي عاصمة الجبل وقتذاك يفد إليها المسافرون والتجار من كل حدب وصوب، بالإضافة إلى شهرتها العلمية التي تجذب طلاب العلم من مختلف البقاع .

شيوخه: أشار ابن ماطوس على زكرياء الفرستائي الذهاب إلى لالوت للتعلم عند الشيخ أبي هارون الجلامي، قائلاً له: " أدلك على رجل لو عرفه الناس لوقفوا ببابه كما وقفوا على باب أبي عبيدة مسلم بالمشرق "(2). وبالفعل درس على الشيخ أبي هارون الجلامي، ويذكر أول مسألة تعلمها عند هذا الشيخ كانت حول نزول الدم من الأنف ونواقض الوضوء(3).

رحلاته: اهتم أبو يحيى الفرستائي بالرحلة خارج جبل نفوسة من أجل طلب العلم والتجارة، وكانت أغلب رحلاته إلى منطقة السودان الغربي، حيث كان له الفضل والسبق في نشر الإسلام واللغة والثقافة العربية في ربوع إفريقيا فيما وراء الصحراء

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 50؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 310

(2). الشماخي، المصدر السابق، ص 310؛ البغطوري، المصدر السابق، ورقة 50 .

(3). المصدر نفسه، ورقة 51.

إذ كان تاجراً بين جبل نفوسة وبلاد السودان الغربي فقام بدعوة ملك السودان إلى الإسلام الذي رفض في البداية، وبعد عدة محاولات اقتنع الملك وأعلن إسلامه على يد الفرستائي⁽¹⁾، ثم أسلمت رعيته حيث كان الناس على دين ملوكهم. وهنا تتضح أهمية جبل نفوسة وإشعاعه الحضاري والديني على المراكز والحواضر الأخرى وغالباً ما كان يستعين أبو زكريا بن أبي عبد الله — والي الجبل في تلك الفترة — بالشيخ أبي يحيى الفرستائي في الأمور العلمية.

تلاميذه: اهتم أبو يحيى الفرستائي بالتدريس، ويوجد بقريّة فرسطا مسجد يعرف باسمه: (مسجد أبي يحيى زكرياء الفرستائي) الذي اتخذهُ أبو يحيى مكاناً للتعليم والتدريس فوفد إليه الكثير من طلاب العلم منهم: أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصصي، ووارسفلاس أبو محمد بن مهدي.

ومن علماء الفقه بالجبل الشيخ أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصصي: يرجع أصله إلى قرية تمصص من قرى جبل نفوسة.

شيوخه: تعلم عند الشيخ أبي يحيى زكرياء الفرستائي، وكذلك عند أبي الربيع سليمان بن هازون اللالوتي، وتبعد قرية تمصص عن مدينة لالوت حوالي (200 كلم)، قطعها أبو محمد على قدميه قصد التعلم عند الشيخ أبي الربيع وفي طريقه جاز على معلم للصبيان بمنطقة تدعى: تنومات — ويبدو أنه زار إحدى المدارس للمرحلة الابتدائية — فسأله المعلم أين تريد؟ فقال أبو محمد راحل إلى مدينة لالوت من أجل طلب العلم والتعلم، فرد عليه المعلم: "نعم ما طلبت، الدنيا ظلمة والعلم فيها دليل، ركعتان من عالم خير من عبادة الجاهل ستين سنة"⁽²⁾.

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 52.

(2). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 55؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 313 — 314.

ونفهم من هذا النص أن أبا محمد في رحلته إلى مدينة لالوت كانت لمواصلة تعليمه العالي ، كما ندرك مدي التشجيع الذي يلاقيه طلاب العلم من مختلف فئات المجتمع وخصوصاً الدعم المعنوي من المعلمين والشيوخ.

تلاميذه: وبعد تخرجه أحس في نفسه القدرة على العطاء العلمي قام بافتتاح مدرسة بقرية تمصص لتعليم الطلاب ، وفي تلك المدرسة تعلمت أم ماطوس ، وتعد من أول الفتيات اللاتي انخرطن في مدارس الفتيان ، وبذلك تكون إحدى تلاميذ الشيخ أبي محمد خصيب ، ومن تلاميذه أيضاً : أبو زكرياء يحيى بن سفيان اللالوتي ، وأبو هارون موسى بن هارون الملوشائي ، ويوجد بالجبل مسجد يعرف (بمسجد أبي محمد خصيب).

ومن الذين برزوا في الفقه الشيخ وارسفلاس أبو محمد بن مهدي: ويرجع نسبه إلى ويغو كما أشار لذلك الرسياني⁽¹⁾. فقد بدأ تعليمه وهو كبير في السن واجتهد في التعلم نتيجة لموقف أحس فيه بانكسار نفسه كما تخبر المصادر أن وارسفلاس حين مات أبوه لم يهتم بالتعليم ، وكان في إحدى المرات راكباً بغلة أبيه في زيارة لمدينة شروس لبعض شؤونه ، فسأله أحد الرجال عن مسألة فقهية فلم يحسن الإجابة، فرد عليه الرجل: لو سألت عنها بغلة أبيك لأجابتك، فأحس بالإهانة والانكسار، وكان ذلك الموقف بمثابة الدافع والحافز لطلب العلم، فدخل مكتبة شروس بقصر (ولم) واجتهد في التعلم وبقي فيها مدة طويلة دامت اثنتي عشرة سنة حتى صار من علماء زمانه⁽²⁾.

(1) . الرسياني ، المصدر السابق ، ورقة 165 .

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 104 .

ويشير الشماخي إلى اجتهاد وارسفلاس واهتمامه بالعلم حتى في الظروف الصعبة: " ووقع حرب بين أهل ويغو بلده وأهل شروس سبعة أعوام ، ومكث في داره يدرس ديوان أبيه ، ولا يرى خارجاً إلا إلى حاجة الإنسان ، فقام في العلم وجربه المشايخ بكثرة الأسولة في المشكلات وغيرها فما وجدوا عنده خطأ "(1).

شيوخه: ويرى أصحاب المعجم أن وارسفلاس أخذ العلم عن أبي يحيى زكرياء الفرستائي (2). إلا أن الباحث لا يرى ذلك وإنما والده هو الذي أخذ عن أبي يحيى الفرستائي ، وصار وارسفلاس من المعلمين في الجبل . تلاميذه: ومن أبرز تلاميذه : أبو الربيع سليمان بن أبي هارون موسى الملوشتائي ، وأبو يعقوب يوسف بن يعقوب ابن تيمال.

ومن فقهاء الجبل الشيخ أبو نصر زار بن يونس التيفستي: وينسب إلى قرية تيفست ، إحدى قري جبل نفوسة. شيوخه: درس على الشيخ أبي محمد الكباوي، ومن أقواله المشهورة عنه: " لن ينجو من علماء آخر الزمان إلا مثل ما يسلم من ضوء المصابيح إذا رفعوا من بيت إلى بيت في ليلة ذات ريح، ثم ، قال: هذا في العلماء فكيف الجهال؟ دود لا يفلت منهم أحد (3) وأيضاً من كلامه: " الكلام كله لغو، إلا مسألة في الخير، واستعاذة من الشر، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف (4). والنهي عن المنكر، والحمد لله، ولا إله

(1). الشماخي ، المصدر السابق ، ص 327 .

(2). محمد بابا عمي ، المرجع السابق ، ص 445 .

(3). الجيطالي ، المصدر السابق ، ص 209 .

(4). المصدر نفسه، ص 209 .

إلا الله، والله أكبر"، " ولما حضرته الوفاة أخذ بيكي، فسأله ما بيكيك؟ قال:
خوفاً من الفتيا، قلت دار من دور نفوسة لم يدخلها فتياي" (1).

تلاميذه: أبو سهل البشر بن محمد التندميرتي، وأبو زكرياء التندميرتي، وأبو يوسف
بن وجدليش بن في.

وكذلك يعد الشيخ أبو يوسف وجدليش بن في : من الفقهاء الذين ظهروا بالجليل
شيوخه : أخذ العلم عن الشيخ أبي يحيى يوسف بن زيد الدرقي، كما أخذ عن
الشيخ أبي نصر زار بن يونس التيفيستي .

تلاميذه : ثم توجه إلى التدريس ، وتخرج على يديه العديد من طلاب العلم من
أبرزهم : أبو الربيع سليمان بن موسى، وأبو سهل البشر ابن محمد التندميرتي .
ويعد وجدليش ضمن سلسلة نسب الدين المعروفة في المصادر الفقهية بالجليل، وأن
أبو يوسف تعد شخصيته أول من أسندت إليه وظيفة المحتسب بالجليل كما يشير
الشماخي لذلك قائلاً : " وكان أمر سوق جادو إليه يأذن لمن يشاء أن يبيع ويمنع
من في ماله شبهة " (2)، وهذا دليل على نجاحه وسمو أخلاقه حتى وثق به الأهالي في
وظيفة حساسة لها علاقة بأموال ومصالح المجتمع . كما تذكر المصادر التاريخية أنه
في بداية تعليمه كان من شدة حرصه واجتهاده في طلب العلم يعلق لوحه بين عينيه
ليقرأ فيه وهو في نفس الوقت يخرط الزيتون (3).

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 229 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 334 .

(3) . المصدر نفسه ، ص 334 .

والشيخ أبو يوسف مجدول الترعغي: كان من علماء الجبل في الفقه ويتنسب إلى قرية ترغت⁽¹⁾. شيوخه : يعد من تلاميذ الشيخين: أبي محمد الكباوي وأبي محمد الدرقي وخاصة في مرحلة تعليمه العليا حيث ظل يتعلم على الأول حوالي خمس عشرة سنة، وعلى الآخر مدة دامت حوالي سبع عشرة سنة⁽²⁾، وبالتالي مكث يطلب العلم لمدة اثنتين وثلاثين سنة. وكان طالباً ذكياً دائم السؤال والنقاش مع أساتذته وشيوخه حتى قال له أستاذه أبو محمد الدرقي: " ليس لك هم إلا المسألة يا مجدول"⁽³⁾. وكثرة الأسئلة هي الطريق لاكتساب المعارف والعلوم، وفي هذا الصدد قيل: " والسؤال نصف العلم، وقيل: العلم كله، ومعنى ذلك أن السؤال سبب العلم ومفتاحه "⁽⁴⁾. وكان مجدول كثيراً ما يعتر بأستاذه السالفين ويقول من لم يتعلم عند أبي محمد الكباوي ولا عند أبو محمد الدرقي من أين له ما يفتي به؟. ولم يقم الترعغي بمهمة التعليم عندما طلب منه ذلك ، واعتذر بانشغاله وأعماله المالية الخاصة به، ولذلك لم يكن له تلاميذ.

(1) ترغت : قرية من قري الجبل، تقع في قمة جبل، وهي على شكل مثلث رأسه إلى الغرب وقاعدته إلى الشرق، ويحيط بها فروع وادي أو تلجام من ثلاث جهات الشرق والشمال والجنوب، أما من ناحية الغرب فتحدها قرية أم صفار الحديثة، وسكن أهل ترغت في مراحل متقدمة الغيران قبل انتقاهم إلى حافة الجبل وبنائهم البيوت بالحجارة والطين والجبس، وهي إلى الغرب منها، ولم يعثر الباحث على معلومات تفيد عن الفترة الزمنية التي تم فيها الانتقال بين الرحلتين، وآثار ترغت مازالت قائمة، ومن معالمها التاريخية مسجد الشيخ أبو القاسم جانا الترعغي بجانب منطقة الغيران وهو عبارة عن بناء داخل غار تحت الأرض يقوم الأهالي بصيانته وبذلك فقد بقي متماسكاً، كما يوجد مسجد آخر على الحافة اسمه مسجد الثنية (لم أعر على اسمه الحقيقي) توجد على أحد جدرانها كتابة ترجع إلى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وربما يكون هو تاريخ صيانة لأن المساجد عادة ما تصان وبذلك يرجع بناؤه إلى ما قبل ذلك العصر، زرتها عام 2004.

(2) . الجيطالي ، المصدر السابق ، ص 92 .

(3) البغطوري، المصدر السابق، ورقة 119 ؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 331 .

(4) . أبو العباس أحمد الفرستائي ، المصدر السابق ، ورقة 46 .

ونلاحظ عملية التواصل العلمية ، وأن الأجيال المتعاقبة تأخذ عن بعضها البعض فهذا العلامة أبو يوسف وجدليش ابن في من علماء القرن الرابع الهجري أخذ العلم عن الشيخ أبي نصر زار ابن يونس التيفستي، وكذلك من الشيخ أبي يحيى يوسف بن زيد الدرفي.

وهنا تبرز إحدى نساء الجبل اللاتي اشتغلن بالعلوم ومنها الفقه وهي أم ماطوس: لم أعر على اسمها في المصادر وإنما ذكرت بكنيتها، وهي من قرية سماها البغطوري جارا يزرار بينما سماها الشماخي جاراصرا⁽¹⁾ ولم يذكرها المؤرخ الوسياني ضمن نساء الجبل الصالحات. أخذت العلم عن الشيخ أبي محمد خصيب بن إبراهيم التمصصي، وقيل: "إنما تمشي إلي أبي محمد التمصصي في الليل فتحضر مجلس الذكر"⁽²⁾. وكانت مازالت بكراً ويعتبرها بعض الباحثين المعاصرين أول فتاة ليبية تشترك في مدارس الفتيان⁽³⁾. ولم تتحدث المصادر عن تلك المعلومة. وكانت أم ماطوس تنتقل بين قري الجبل من أجل التحصيل العلمي وزيادة المعرفة وحضور مجالس الذكر والوعظ إلي جانب الرجال، حتى ولو كانت في ظروف صحية لا تسمح بذلك، وهذا ما أشار إليه المؤرخ البغطوري قائلاً: "مرت إلي تندوزيغ لتحضر المجلس فولدت بنتاً"⁽⁴⁾، والشماخي في سيره يقول: "وذهبت ذات مرة ليلاً إلي اجناون لتحضر المجلس، وبينهما قرب عشرة أميال ومعها أمتها"⁽⁵⁾.

(1) . جار اصرا : من القري القديمة بالجبل وهي تقع إلي الشرق من مدينة كباو وغرب قرية تممص ، تحيط بما غابات الزيتون، وتجاورها قريتا : أوجارون، وماطس. للأسف لم أقف عليهما مباشرة.

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ص 56 — 57 .

(3) . قناطر الخيرات، الجيطالي، تحقيق: عمرو النامي، 90 ؛ أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص 145 .

(4) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 57 .

(5) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 317 .

وبذلك يتضح أن بعض النساء في الجبل تمكنّ من البروز وسط مجتمع الرجال في الجوانب العلمية والثقافية فهذه أم ماطوس تعد نموذجاً للمرأة المسلمة التي تحضر المجالس العلمية وتناقش الرجال في قضايا تم الدين والمجتمع والأخلاق، وتخرج في ظروف صعبة، وتقطع المسافات البعيدة عن قريتها لحضور مجالس العلم والدين.

وكذلك يعد الشيخ أبو هارون موسى بن هارون الملوثاني: من الفقهاء المرزبين بجبل نفوسة، شيوخه: أخذ العلم عن أبي محمد خصيب بن إبراهيم التمصصي أنشأ مسجد ابناين وأقام فيه لتعليم الطلاب الذين وفدوا عليه بشكل كبير من مختلف قري ومدن الجبل. ويروى عنه أنه ينعس أحياناً أثناء أداءه الدروس في المجلس العلمي الذي يقيمه لطلابه، فكانوا يذكرون الموت فعند ذلك ينتبه ويستقيظ⁽¹⁾! وذلك ما للموت من شأن في نفوس العلماء والشيوخ، وأرجح نعاسه أثناء المجلس يعود لمسؤولياته المتعددة في شؤون الحكم والإدارة، ورعاية مصالح الناس، والسهر على راحتهم. بالاضافة إلى شؤونه الخاصة.

وكذلك من فقهاء الجبل المشهورين الشيخ أبو عبد الله محمد بن جلداسن اللالوتي: نسبة إلي مدينة لالوت (نالوت حالياً) وقد ولد بها وتعلم عند مشايخها ويصفه الشماخي بأنه: " بحر العلم الزاخر وإمام الحكام الفاخر "⁽²⁾ ويتضح من النص أنه كان عالماً كبيراً، ولم يذكره الوسياني في سيره ولا الدرجيني في طبقاته، ويشير البغطوري إلي ابن جلداسن كان يمكث في شروس فترة طويلة من

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 22.

(2). الشماخي، المصدر السابق، ص 298.

الزمن عند يحيى بن ماطوس ويفصل بين المتخاصمين ويقول لابن ماطوس: إني أتعلم أنا أيضاً⁽¹⁾. وبذلك ندرك مدى تواضع ابن جلداسن وذلك هو تواضع العلماء بالرغم من كونه عالماً وحاكماً على لالوت حينذاك. لم تذكر المصادر المشايخ الذين تعلم عندهم.

تلاميذه: أما تلاميذه فمنهم: يحيى بن سفيان اللالوتي، وأبو محمد عبيدة بن أفلح الجعلافي، وجلدين أبو عبيدة البغطوري. ويوجد في مدينة نالوت مصلى يعرف باسمه⁽²⁾.

والشيخ أبو زكرياء يحيى بن سفيان اللالوتي: يعد من المشايخ الذين أهتموا بالفقه وينسب إلي مدينة لالوت.

شيوخه: أخذ العلم عن الشيخين: أبي محمد خصيب التمصصي وعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن جلداسن اللالوتي، وتشير المصادر إلى أن أبا زكرياء يحيى بن سفيان قد عمّر طويلاً فاجتاز الذين تعلم عندهم والذين تعلم معهم والذين تعلموا عنده⁽³⁾. وكانت عنده حلقة علم تخرج على يديه طلاب عديدون منهم: أبو الربيع سليمان بن أبي هارون موسى الملوثنائي، ومدينة لالوت (نالوت) مسجد مازال يحمل اسمه⁽⁴⁾.

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 115 .

(2) . مصلى ابن جلداسن : هو عبارة عن بناء صغير جداً، كان يتبع فيه الشيخ ابن جلداسن، وهو في وسط مدينة نالوت، يبدو أنه كان في ذلك الوقت بعيداً عن المدينة وحركة الناس، زرته عام 2004.

(3) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 9 .

(4) . مسجد أبي زكريا يحيى بن سفيان اللالوتي : يقع هذا المسجد في مدخل مدينة نالوت من جهة الشرق، وتم تجديده وصيانته، وهو عبارة عن بناء مربع الشكل تقريباً، وهو صغير لا يتجاوز طوله الأربعة أمتار وعرضه الثلاثة أمتار تقريباً، زرته عام 2004.

ومن مشائخ الجبل أبو الربيع سليمان بن أبي هارون موسى الملوثائي: نسبة إلى تملوثايت. أهتم بالفقه وبرع فيه. وأخذ العلم من عدة شيوخ منهم: أبو زكريا يحيى بن سفيان اللالوتي، وأبو سهل البشر بن محمد التندميرتي، وأبو يوسف وجدليش بن في اليجلاني، ووارسفلاس أبي محمد بن مهدي، وكان شيخه أبو زكريا يحيى يتفرد فيه الذكاء والنجابة حتى قال فيه: " إن لم يفهم هو فلا يفهم غيره" (1). وكان أبو الربيع كريماً بماله ينفقه على زملائه الطلاب وأساتذته فعندما كان يدرس على الشيخ أبي محمد وارسفلاس، ذهب إلى السوق ليشتري بعض الحاجيات، إلا أنه غير رأيه وأشترى ثوراً وقدم به لشيخه وللطلاب وذبحه لهم (2). وبعد تخرجه صار معلماً في مسجد أبنائين الذي أنشأه والده أبو هارون موسى. وله طريقة تفرد بها في إجازته لمن يسندون عليه علمهم، فمن يأتيه بهذا الخصوص ما عليه إلا أن يقرأ عليه العشر كلمات من التوحيد (3)

وبذلك تخرج على يديه مجموعة تلاميذ منهم: أبو زكريا يحيى ابن الخير الجناوتي. وأبو محمد عبد الله بن مطكود (4)، وكانت حياته مليئة بالمهام الصعبة فقد جمع بين الإمارة والقضاء والتدريس، ويبدو أنه كان يتنقل بين المدن والقري بالجبل وخاصة في شهر رمضان المبارك ليتفقد الناس وأحوالهم، وأنه: " صام ذات مرة رمضان في جادوء، وأجتمعا في القراءة والعبادة، فقال لأبي عمر حجّر عليهم أن لا يرقدوا في الليل فمن كسر حجرك فترله في الحبس" (5)، وحتى وإن كان في

(1). . الشماخي، المصدر السابق: ص 296.

(2). البغطوري، المصدر السابق، ورق 27 - 28.

(3). المصدر نفسه، ورقة 28.

(4) الشماخي، المصدر السابق، ص 344.

(5). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 26.

رأيه بعض الشدة إلا أنها في مصلحة المجتمع لأنه يحاول نشر روح العلم والتقوى ومحاربة الفساد والكسل، وله عادة حسنة وهي كلما أقبل شهر رمضان يرسل إلى الشيوخ والنساء المهتمات بالعلم والتفقه أن يجتمعوا في بيته ويعقدوا مجالس علمية يتم فيها طرح القضايا الفكرية لمناقشتها ودراستها⁽¹⁾. وليضرب لهم مثل في الجدل والعطاء فقد كان يقوم بتدريس طلابه بعد صلاة العشاء إلى منتصف الليل⁽²⁾. وكان من عاداته أن يطالع الكتب ليلاً، وفي أواخر حياته كانت تصله الكتب من فزان⁽³⁾، فيتدارسها بصحبة محمد بن زكريا البغطوري، ومحمد بن يخرز، ونلاحظ هنا استمرار العلاقات الثقافية بين فزان وجبل نفوسة خلال أواخر ق: (4/10م). ومن المشتغلين بالفقہ بالجبل الشيخ أبو زكريا يحيى بن جرناز اللالوتي : نسبة إلى مدينة لالوت (نالوت)، وهو من علماء ق: (4/10م) وهو من علماء الجبل الذين لهم مشاركات علمية خارج الجبل، حيث شارك في تأليف ديوان غار اجماج⁽⁴⁾ مع سبعة علماء في جزيرة جربة ويوجد في الجبل بمدينة لالوت مصلي يعرف باسمه⁽⁵⁾.

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 29.

(2) علي يحيى معمر، المرجع السابق، ص 195.

(3). جناو بن فتى . المصدر السابق، ص 21؛ البغطوري، المصدر السابق، ورقة 27

(4). غار اجماج : يوجد هذا الغار في جزيرة جربة، بالقرب من مسجد ابن بيان بين حومتى بازيم وجعبيرة، وهو عبارة عن غار مستطيل الشكل يسع لاثني عشر رجلاً، والعلماء الذين شاركهم ابن جرناز هم : أبو عمران موسى بن زكريا المزاني الدمري، وأبو محمد عبد الله بن مانوج اللماني، وأبو عمرو النميلي الزاوعي، وجابر بن سدر مام الجربي، وكباب بن مصلح المزاني، وأبو مجير توزين المزاني، ينظر : سالم بن يعقوب، المرجع السابق، ص 97.

(5). مصلي الشيخ أبزكريا يحيى بن جرناز : يوجد في مدينة نالوت، ويقع في وسط الجبل الذي يشرف على غابة تالة، ويبعد عن مسجد تيندرار حوالي 100 متر إلى الغرب منه، ويوجد داخله محراب، والمصلي محاط بسور قديم من الحجارة، وبجانبه مقبرة قديمة، زرته عام 2004.

القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي شهد هذا القرن تطورات واحداثا تاريخية كانت السبب وراء إضعاف الحركة العلمية في بلاد المغرب عموماً وبالتالي فمنطقة جبل نفوسة تأثرت من جراء تلك الظروف والمتمثلة في هجرات قبائل بني هلال وبني سليم الغير المنتظمة، التي قام أفرادها بأعمال من شأنها أن تزرع القلاقل وأشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله : " وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر ، لا يمرون على شيء إلا أتوا عليه حتى وصلوا إلى إفريقية سنة ثلاث وأربعين "(1). ومن خلال النص ندرك أن المنطقة مرت بأوقات عصيبة واختلط فيها الحابل بالنابل وهذا يؤثر مما لا شك في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي على الحركة العلمية بعدما كان العلماء يقومون بواجباتهم الملقاة على عاتقهم في التعليم وإحياء السير والآداب انقلبت الأمور عكس ذلك وكادت أن تنقطع(2).

وكان ظهور العلماء ق: (5هـ/11م)، بشكل قليل اختلف عن القرنين السابقين ومن أشهرهم : الشيخ أبو زكرياء يحيى بن الخير بن أبي الخير الجناوني : نسبة إلى قرية اجناون، وذكر محقق كتاب قناطر الخيرات أن أبا زكرياء الجناوني عاش في القرن السادس الهجري ، إلا إنني أرى أنه عاش في أواخر القرن الرابع الهجري ، وأوائل القرن الخامس الهجري، لأنه معاصر لعديد من علماء القرن الخامس الهجري، وسيأتي الحديث عن البعض منهم لاحقاً.

(1) . ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 18 .

(2) . عبد الله الباروني ، المصدر السابق، ص 24 ؛ عز الدين عمر موسى ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ،

بيروت: دار الشروق ، 1983 ، ص 16 – 17 .

شيوخه: تعلم في مسجد أبناين على يد الشيخ أبي الربيع سليمان ابن أبي هارون موسى الملوشائي، ومكث مدة طويلة في التعلم دامت اثنتين وثلاثين سنة حتى صار من كبار علماء عصره، ويذكر الشماخي في سيره رواية ظريفة للشيخ أبو زكريا يحيى الجناوني الذي لما إراد: " الإنصراف من عند شيخه والموادعة قال: أمهلوني حتى أدخل خلف السترة لأنظرها، ولعلي أن أسأل عنها"⁽¹⁾. وهذا يبين مدى حرصه على المعرفة والوقوف على الأشياء مهما كانت بسيطة في نظر البعض. وعقب إتمامه التعلم رجع إلي قريته اجناون وأسندت إليه الفتوى — والإفتاء ليس مقتصرأ على الجوانب الفقهية فحسب وإنما حتى الجوانب الإدارية وغيرها — ويذكر الشماخي أنه ظل فترة طويلة يفتي للناس: " ولم يتوقف ولو في مسألة واحدة مع كثرة السائلين في أي فن من الفنون سألوا "⁽²⁾ وجلس للتعليم في قريته وهناك مسجد في اجناون عرف باسمه⁽³⁾ ويبدو أنه المكان الذي كان يُدرس فيه طلاب العلم.

ومن تلاميذه: تخرج على يديه الكثير من العلماء منهم: أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي صاحب كتاب التحف المخزونة⁽⁴⁾ ، وأبو زكرياء يحيى بن أبي بكر

(1). الشماخي، المصدر السابق، ص636.

(2). المصدر نفسه، ص535 — 536.

(3) مسجد أبي زكرياء يحيى الجناوني : يوجد في قرية إيجناون، وتم هدمه ولم يبق منه إلا آثاره، وكان في الأصل بناء تحت الأرض، زرته عام 2004 .

(4) كتاب التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية : والكتاب يقع في جزأين الأول عالج فيه القضايا التالية : ما لا يسمع الناس جهله ، الولاية والبراءة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحقيقة الإيمان والكفر ، مسألة خلق القرآن ، كما تحدث عن جوانب في العقيدة ، أما الجزء الثاني فقد جاء أكثر تجريداً في أبواب منها : باب في الحكمة ، باب في ما الصفات التي هي الموصوف بها ، باب في التوحيد ، والباب الأخير في أسماء الله وصفاته . ينظر : معجم أعلام الاباضية، المرجع السابق، ص 215 — 216 .

الوارجلاني (471 - 474هـ / 1078 - 1082م)، صاحب كتاب سير الأئمة وأخبارهم⁽¹⁾ وداود بن هارون أبو زكرياء الباروني .

أبو محمد عبد الله المجدولي: أصله من قرية تيميجار⁽²⁾ . من علماء الفقه بالجليل شيوخه : أخذ العلم عن الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون ، وكانت فيما بينه وبين أستاذه مراسلات فقهية وأجوبة ويبدو أنه كان المفضل عند شيخه بين سائر التلاميذ⁽³⁾ .

ومن المهتمين بالفقه الشيخ أبو زكرياء يحيى الجادوي: نسبة إلى مدينة جادو⁽⁴⁾ واهتم بدراسة الفقه، ونسب إليه الشماخي كتاب الوضع حيث قال: " وأظنه مؤلف كتاب الوضع وهو كتاب مفيد به. يقع ابتداء من أراد الفقه والله أعلم "⁽⁵⁾

(1) . كتاب سير الأئمة وأخبارهم : يعد من أقدم كتب السير والطبقات الإباضية، واعتمد عليه أغلب كتاب السير الذين جاءوا من بعده مثل : الوسياني، والبغطوري، والدرجيني، والشماخي، والبرادي، اهتم بسير العلماء والمشائخ من أهل المغرب، وبجانب من تاريخ جبل نفوسة، كما تتبع تاريخ الدولة الرستمية، قام بتحقيقه : المستشرق الفرنسي ماسكراي، ونشره باللغتين الفرنسية والعربية عام 1878 م، ثم حققه : إسماعيل العربي كما حققه : عبد الرحمن أيوب . ينظر : معجم أعلام الإباضية ، المرجع السابق ، ص 451.

(2) . تيميجار : من مدن الجبل القديمة (أولاد أبو جديد حالياً) تقع في صدر الجبل من الجهة الشمال شرقية لوادي أمسين، ومن الغرب يحدها مجري وادي أمسين، ومن الجنوب قرية إمرساون والكرومة، ومن الشمال منطقة أولاد أبو جديد الحديثة، من معالمها التاريخية مسجد الشيخ علي بن مخلف التيميجاري ، وقصرا : المالطي وأولاد أبي جديد . زرتهما عام 2004.

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 537 .

(4) . جادو : من المدن الكبيرة في جبل نفوسة، وتحديث المصادر التاريخية عن أهميتها السياسية والاقتصادية والعلمية، وكانت المدينة الثانية في الجبل بعد مدينة شروس ذكرها البكري في مسالكة وممالكة قائلا : " وفي وسط هذه القبائل مدينة كبيرة تسمى جادوا لها أسواق ويسكنها يهود كثير "، وتقع على رأس الجبل، تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 180 كلم، يحدها من الشرق قرية طرميسة، ومن الغرب قرية مزو، ومن الشمال قرية يوجلين وأرشباري، وتلات أرغيران، ومن الجنوب غابات الزيتون . زرتهما عام 2004.

(5) . الشماخي ، المصدر السابق، 551.

إلا أن البرادي يرى أن مؤلف كتاب الوضع هو أبو زكرياء الجناوني وهذا هو
الرأى الأرجح ، لاهتمام البرادي بمؤلفات الإباضية عموماً حيث ألف كتاباً في هذا
الصدد سماه (تقييد كتب اصحابنا) كما أن أبو العباس الشماخي غير متأكد من
روايته حيث يقول: " ولعل هذا الظن خطأ "⁽¹⁾. وللجادي مرثية على أبي يحيى
استحسنها أهل البلاغة والمعاني.

وتواصل الأجيال عبر القرون في التعليم والتعلم والأخذ بعضهم عن
بعض، ونشر العلوم والدفع بالمسيرة التعليمية في مختلف قرى ومدن الجبل ومن
أشهر علماء ق: (6هـ/12م) وجدليش أبو يوسف الأمللي: ظهر خلال
النصف شيوخه: أخذ علومه على الشيخ : داود بن هارون ، وهو يعد في سلسلة
سب الدين⁽²⁾. وأخذ عنه مجموعة علماء منهم : أبو يحيى زكرياء ابن إبراهيم .

ومن علماء الفقه بالجبل في القرن: (7هـ/13م)، الشيخ أبو نصر فتح
بن نوح الملوشائي، ينتسب إلى قرية تملوشايت ويعد من العلماء الكبار، أخذ العلم
على يد خاله الشيخ أبي يحيى زكريا بن إبراهيم الباروني، ونبغ في عدة مجالات منها:
(الفقه، والأصول، وعلم الكلام، والأدب والشعر)، فهو بذلك يمثل موسوعة
متحركة. وبفضل التكوين العلمي تمكن الشيخ أبو نصر الملوشائي من تأليف
مجموعة كتب جاء أغلبها على هيئة قصائد شعرية. فأما ما يخص الفقه فألف متن
الرائية في الصلاة وأحكامها الفقهية وما يتعلق بها من جميع وظائفها وهي في مائة
وأثنين وأربعين بيتاً، ونقتبس منها بعض الأبيات، وهذا مطلعها:

(1) . نفس المصدر والصفحة .

(2) . معجم اعلام الإباضية ، المرجع السابق ، ص 444 .

سما من سما بالجهد والعزم والصبر
وغودر بالتسوية في النوم أو غدا
أحب فتى ماضي العزائم حازماً
وأما أخو التومات لا مرحبا به

ثم قال:

يفرق هذا الدهر بين أحبة
كتفريق بين العبد والكفر حفظه
فمن ضيع المفروض من صلواته
ومحرم بعضاً من وظائفها التي
إذا قمت للتوجيه بالقصد فانتصب
وقل خاشعاً وجهت وجهي للذي
وقف خالياً من العلائق إنهما
ولا تخلها استصحاب حال بنية
لدى الكعبة البيت المحرم فانوها
وأحرم بتكبير صحيح مجرد
فتحريمها التكبير مفتاح بابها
إذا كبر العبد المصلي بصحة
مقام شريف ليس يعرف قدره
وليس خشوع الجسم يوماً بنافع
فقل واستعد بالله قبل قراءة
فمن لم يعوذ فالصلاة نقيسة
ولا بد من أم الكتاب قراءة

وسهر الليالي والسرى والتهجري
أخو العجز والكسل البطيء عن الخير
لدنيا وأخرى عاملاً بالتشمر
ولا بالجثوم الراكد المتدثر

من الأهل والأولاد والنشب الدثر
على الصلوات الخمس من أول العمر
أو آخر منها فهو أضيع للغير
تم بما لا عذر إلا لذي عذر
بقلب خلي فارغ من سوى الذكر
تقدس عن ضد ونبد ومنكر
مناجاة مولاك الجليل المدبر
وخوف وإطماع ريانك فاحذر
صلاة وداع بالرحيل إلى القبر
من اللحن والتصحيف وأجهر وكبر
متى لم تصحح لم تلج دارة الأمر
تلقاه ترحيب من الواصل البر
سوى من تخلى من علائقه الخشر
إذا غاب قلب في شعاب التدبر
وبسمل كما قد جاء في النص والذكر
وقيل ياعجم لصاد فقس وأدر
لفرض ونفل في الجهار والسر

وراء إمام أو صلاة المفرد
وأما صلاة الجهر فليقر تالياً
فما دونها عجز وخزم مذمم
ورتل بياناً واحتساباً قراءة

وجاء في آخرها:

لقد أسهبوا شرح الصلاة وأطنبوا
ونظمت فيها القافيات لأنها
على أن شمس العصر شيخ مبرز
ولم يجد منوالاً تقدم قبلة
فأعجز أهل العصر كلا وبعده
عليه سلام الله ثم صلاته
فظوب لمن كان النبي شفيعه

فما فلّ منها فليعده على الفور
ثلاثاً ومن آى قدر سورة كوثر
وما فرقها فالفضل في كل أكثر
بقطع الحروف المعجمات أو الغير

فما بلغوا معشار عشر ولا عشر
قد أغفلها الشيخ العماني أبو بكر
أبي بديع الصنع بالظم للنثر
بنظم علوم الفقه والدين بالشعر
كما أعجز الأمي من فاه بالسحر
ورضوانه يا حبدا طيب الذكر
وراح إلى الفردوس مع صالح الزمر

كما ألف الشيخ أبو نصر الحائية، وهي لغرض تحريض الطلبة للاهتمام بطلب العلم
والجد والإجتهد، والتأسي بسيرة اليلف الصالح، وعدم تضييع دقائق العمر الثمينة
في توافه الأمور، وكانت في مائة بيت، ونقتبس منها:

الحمد لله على ما أراح
أحمده حقاً وأشكره
والصلوات الطيبات على
ثم الرضى عن أهل قدوتنا
وبعد حيّ الله حزب الهدى
يعبق رباها كنشر الشذا
أهلاً بذكرهم وسهلاً بهم
إن ازدواج العقد مستحسن

من نعم أو نقم قد أراح
على الآلاء الظاهرات الوجاح
نبهه أحمد زين البطاح
أنمة الدين نجوم الفلاح
تحية تحكي محيا الصباح
كالمسك ضوعاً ومتى صين قاح
ومرحباً بالقسمات الوضاح
وواسط العقد جمال الوشاح

وقال أيضاً:

تقطف أزهار الكتب فصاح
نادا عميد الجهل فيحي فباح
كادت لتذروها هيب الرياح
وقرة العين وأنس لصاح
فهو كمن أحيا قتيل الجراح
كقاتل الناس جميعاً كفاح
ولا عدتم صفحات النجاح
قول الأخ النصيح أي النصاح
يغدا عليه بالفنا ويراح
قصم الثنايا بعد غر صحاح
ويازدياد الخير كل صباح

سحائب الصيف قشاع سراح
مآرب الأوبات قبل المراح
كضيف ليل ومع الفجر راح
يسومها الموت غدواً ورواح
مجهولة الحين غياب المتاح
وكل معدود سيفذ صاح
فهو حظوظ مثل ضرب القداح

خطف عقبات لحوم الأضاح
مقلص الأفياء واه قـراح
وحرمات الله قد تستباح

أكرم بحزب وبحضرة
لولا هم إذ هم مصايح الدجا
أحيوا علوم الدين من بعد ما
هم لذة الدنيا وسر الفؤاد
من قام بالإسلام يحيى به
كذاك من مات على يده
جادتم الرحمة واصبة
يأيها الحزب اسمعوا ثم عوا
شيخ تلى دهره حقياً
أو في ثنيات الوداع على
يوصيكم بالجد والاجتهاد
وقال فيها أيضاً:

فاغتنموا أيامكم إنما
أعماركم أسفاركم فافتضوا
إن شباب القوم عارية
فهذه الأنفس مستامة
وهذه الآجال موقوتة
وهذه الأنفاس معدودة
وهذه الأرزاق مقسومة
وقال في آخرها:

حذار من دينك أن يخطفوا
فالدنيا فلّ يبل ظريد غريب
لم إلا رسمه واسمه

فليبك باك أو ينح شجنأ
وأنشد الله أديبأ رآى
فلست أعني رابعأ للخليل
لكن خطابي للذي يعتني
هذا كلامي والسلام على
أبناء جدني حيثما فطنوا
خصّوا أخاكم بالدعاء إذا
فما عسى يجديه صاح وناح
عيأ أقام العذر لي وأشاح
ولا لضليل مجنون الملاح
بالعلم والآداب والإفتتاح
كل أديب ما أضاعت براح
وأينما حلوا بأقصى النواح
قرأتوها وأعلموا بالنصاح

كما ألف الشيخ أبو نصر الدالية، المسماة برسالة: (المسترشد وكفاية المستنشد في الوعظ والإرشاد)، كما ألف كتاب سماه: مقامات، ويوجد في قرية تملوشايت مسجد مازال يحمل اسم الشيخ أبي نصر التملوشايتي⁽¹⁾.

ومن أبرز علماء الجبل وكان لهم دور بارز سيما في الفقه الشيخ أبو موسى عيسى بن عيسى الطرميسي: نسبة إلى قرية طرميسة، وهو من علماء القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، أسهم بشكل بارز في نشر العلوم وترسيخها وتربية الطلاب وتوجيههم توجيهاً علمياً.

شيوخه: تلقى علومه على الشيخ أبي يحيى بن وجدليش الأمللي، عند إتمامه مرحلة التعلم افتتح مدرسة في قرينته. وكان الشيخ أبو موسى يتبع طريقة اختلف بما عن باقي مدارس الجبل وقتذاك وهي توجيه الطلبة نحو التأليف وعدم الاكتفاء بالرواية الشفوية، فاستجاب لذلك الشيخان المذكورين آنفاً (الشماخي صاحب كتاب الإيضاح و الجيظالي صاحب كتاب قناطر الخيرات). وانتقل الشيخ أبو موسى

(1) . مسجد الشيخ أبو نصر فتح بن نوح التملوشايتي : يقع في مدينة تملوشايت القديمة بقرية ماجر، وأنه كان أكبر مساحة من وضعه الحالي، بحيث كان طوله تقريباً 12 متر وعرضه 9 متر، وقد تساقط أكثره ولم يبق منه سوى بيت واحد مازال بحالة جيدة وله باب يفتح على الجهة الشرقية، زرته عام 2004.

عيسى في مرحلة لاحقة من مراحل عطائه التعليمي إلى مدرسة الشيخ أبي زيد المزغورتي بقرية مزغورة حوالي عام (700هـ / 1300م)⁽¹⁾. وعندما حضرته الرفاة أوصى أن تكون مكتبته العامرة من بعده وقفاً لطلبة العلم والفقهاء⁽²⁾.

تلاميذه : تتلمذ على يديه العديد من طلاب العلم بالجبل، ومن أبرزهم الشيخ عامر الشماخي، والشيخ إسماعيل الجيطالي. وفاته: توفي عام 722هـ/1322م. ومن الفقهاء الذين نبغوا بالجبل الشيخ أبو يحيى زكرياء بن إبراهيم بن زكرياء بن أبي هارون الباروني: سليل أسرة الباروني العلمية . التي أسهمت بدور كبير في نشر العلوم في جبل نفوسة.

شيوخه: أخذ العلم عن أبي يوسف وجدليش الأمللي وبرع في دراسته وأجازه شيخه وصار في سلسلة نسب الدين بالجبل .

وخلال ق: (8هـ/14م) ظهر بالجبل فقهاء بارزون إلا أن الشيخ أبو ساكن عامر بن علي بن عامر بن سيفوا الشماخي يعد من أبرزهم، وليس هذا فحسب فالشيخ عامر يعد من الفقهاء على مستوى العالم الإسلامي.

ولد بمدينة يفرن، لم تشر المصادر إلى سنة ولادته!، وبما عاش وترعرع، عرف منذ صغره بالصلاح ، كان يرعى مرة بقرة لأبيه ماسكاً لها بالرسن فجاز عليه أعرابي وقال له : لما تمسكها دون الأطفال ؟ ، فرد عليه عامر : أحشى أن تغشى زروع الناس ، فذهب الأعرابي إلي والده وقال له : إن ابنك ينفع للعلم والدراسة لا لرعي الأبقار⁽³⁾. وفعلاً أرسله والده إلى المدرسة ليتعلم ودرس بداية في مدارس يفرن .

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 552 ، 553 .

(2) . المصدر نفسه ، ص 553 ؛ أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص 153 .

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 561 .

شيوخه: كان والده من معلميه الأوائل بالإضافة إلى مشائخ مدينة يفرن وهناك تعلم المراحل الأولى ، ثم رحل إلى قرية طرميسة ليكمل تعليمه العالي في مدرسة الشيخ أبي موسى عيسى الطرميسي وظهر نبوغه وتفوقه .

جهوده العلمية : وبعد تخرجه صار معلماً في مدرسة شيخه ، ثم انتقل إلى مدرسة أبي زيد المزغورتي بمزغورة ، وتعاون مع زميله الشيخ أبي عزيز في تنظيم برامج المدرسة وطلابها ، حتى استقامت فيها الأمور وعندما أطمأن عليها توجه إلى قرية ميتيون⁽¹⁾، وأنشأ هناك مدرسة وأقام فيها للتعليم والتدريس مدة ثلاث عشرة سنة ، وكذلك الأمر لما أدرك أنها تسير في الاتجاه الصحيح ، رجع إلى موطنه يفرن سنة 756 هـ / 1355 م، وفي قرية المعانين أسس مدرسة في المسجد الكبير⁽²⁾ وأقام يدرس بما حتى وافاه الأجل .

مؤلفاته: اهتم الشيخ عامر الشماخي بالتأليف بناء على توجيهات شيخه وأستاذه أبي موسى الطرميسي فألف : رسالة متن الديانات في الأصول بناء على طلب أحد تلاميذه وهو حازم بن نوح المرساوي، ويبدو أنه ألفها في قرية ميتيون لقرب قرية المرساوي منها (إمرساون)، وكتاب الإيضاح في الفقه، ويطلق عليه اسم الديوان ويقول الشماخي : " ألف ديوانه في عشرة الثلاثين بعد موت عمنا عيسى، وقبل موت عمنا أبي عزيز"⁽³⁾، ويعني ذلك أنه ألفه ما بين سنة (730 أو 739 هـ)،

(1) . محمد بابا عمي ، المرجع السابق ، ص 240 .

(2) المسجد الكبير : يقع هذا المسجد في الطرف الشرقي بقرية المعانين وهو عبارة عن بناء مربع الشكل تقريباً طوله حوالي 16 متر وعرضه مثل ذلك، وهو يعد من أقدم المساجد بجبل نفوسة حيث تشير لذلك كتابة على أحد أعمدة المسجد (على يمين الداخل من الباب الغربي)، وهي : (مائة وسبعة أو مائة وتسعة هجرية)، ينظر الصورة رقم (33) .

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 560 .

أذن فالشماخي ألف كتابه قبل رجوعه إلي يفرن فمن المحتمل أن يكون مكان التأليف إما في طرميسة وهذا مستبعد لأنه مازال طالباً وقتها والاحتمال الأرجح إما في ميتين أو مزغورة لأنهما فترة النضج العلمي بالنسبة للشماخي والمقدرة على تأليف كتاب فقهي بهذا المستوى، وقصيدة الأزمنة .

تلاميذه: كما تخرج على يديه مجموعة كبيرة من العلماء منهم: ابنه موسى وحفيده سليمان، وأبو يعقوب يوسف بن مصباح، وأبو زكرياء يحيى بن زكرياء وأيوب الجيطالي، وأبو القاسم ابن إبراهيم البرادي⁽¹⁾، ونوح بن حازم المرساوي وأبو عبد الله محمد التفجاني، وأبو ضياء يسفاو الطرميسي، والشيخ ابن محمد ابن الشيخ، وأبو عمران موسى بن يوسف.

وفاته: وتوفي في مدينة يفرن عام 792هـ / 1349م، وقبره في قرية القصير⁽²⁾.

(1) أبو القاسم بن إبراهيم البرادي الدمري: كان حياً في سنة: (810هـ/1407م)، ولد بجبل دمر في الجنوب التونسي، درس في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى جزيرة جربة حيث تلقى العلوم فيها على عدة مشايخ منهم: يعيش بن موسى الزراغي، ثم انتقل إلى يفرن بجبل نفوسة وتلمذ على الشيخ عامر الشماخي، [ونلاحظ هنا اختياره منطقة جبل نفوسة لمواصلة تعليمه بعد دراسته في كلاً من: الجنوب التونسي وجزيرة جربة، وهذا يؤكد على أن الدراسة في الجبل وقتذاك كانت على درجة عالية من الإزدهار العلمي والثقافي، وإلا لاختار البرادي مكان آخر أو أكفي بذلك وتفرغ للتدريس]، ثم رجع إلى دمر ومنها إلى جربة، وأخذ ينشر ما تعلمه وقام بالتدريس، كما تولى رئاسة حلقة الغزابة، وترك البرادي عدة كتب منها: الجواهر المنتقاة، رسالة الحقائق، رسالة في تقييد كتب أصحابنا، البحث الصادق، جواب لبعض أهل الخلاف، شرح الطهارات، وغيرها من الكتب. للمزيد انظر: الجعيري، ملامح عن الحركة العلمية، ص.

(2) قرية القصير: من قري مدينة يفرن وتقع في أقصى شرقها، ومازالت آثارها قائمة بشكل جيد ومنظم، كما أن أحفاد عائلة الشماخي مازلوا يقيمون في نفس القرية، وقبر الشيخ عامر معروف بهذه القرية بجوار مسجد صغير، على الطريق المؤدية شمالاً إلي قريتا تاغمة والقلعة، ينظر الصورة رقم (34) .

كما أن الشيخ أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي: يعد ويرجع نسبه إلى قرية جيطال ، لإسهاماته العديدة في مجال العلم والثقافة سواء بالتعليم أو التأليف ونشر العلوم ومحاربة الجهل والفساد ، تعلم أولاً في مدارس قريته .
شيوعه: ارتحل الجيطالي إلى قرية طرميسة، والتحق بمدرسة الشيخ أبي موسى الطرميسي لإتمام المراحل العليا من التعليم⁽¹⁾.

جهوده العلمية: وبعد التخرج أخذ ينتقل على عادة علماء الجبل بين المدن والقرى مريباً ومدرساً وواعظاً . فأقام فترة من الزمن يدرس بمدرسة أبي زيد المزغورتي بقرية مزغورة ثم انتقل إلى قرية فرسطا وأقام فيها مدة تسع سنوات وأسهم في نشر العلوم وتقويم الاعوجاج⁽²⁾. ذكر أنه يمتاز بذاكرة قوية مكنته من حفظ مجموعة من الكتب منها: كتاب الدعائم ، ومقامات الحريري ، وكتاب العدل والإنصاف للوارجلاني ، وجمل الزجاجي

رحلاته : ارتحل إلى مدينة طرابلس وهناك تعرض لمحنة السجن، ولم تذكر المصادر التاريخية تفاصيل سجنه ! مثلاً تاريخ السجن ؟ وما هي الدولة الحاكمة حينها لمدينة طرابلس ؟ ومن هو الحاكم الذي سجن في عهده ؟ والمدة الزمنية التي قضاه في السجن ؟ إلا أن الشماخي يقول : " نزل ومعه عبيد أراد بيعهم بمدينة طرابلس فآل أمره إلى أن قال: هل عندكم من علم فتخرجوه لنا فما زال قاضيها وأميرها

(1) . الشماخي، المصدر السابق، ص 556 .

(2) . المصدر نفسه ، ص 558 ؛ والصادق بن مرزوق، أبو طاهر إسماعيل الجيطالي حياته ومآثره ، أعمال المتقي حول تاريخ جزيرة جربة ، المعهد القومي للآثار والفنون ، جربة : منشورات جمعية صيانة جزيرة جربة ، 1986 ، ص 50 .

يلتمسون عليه الأسباب حتى سجنناه ... [قام الجيطالي] بمدح ابن مكي صاحب قابس بقصيدة فتشفع فيه عند صاحب طرابلس⁽¹⁾ . ، فعلى الأرجح أنه سجن في عهد دولة بني ثابت أثناء حكمهم لطرابلس، لأنهم المعاصرون لحكم بني مكي في قابس، ولكن النص لا يوفر معلومات دقيقة بخصوص اسم الحاكم الذي سجنه، وبذلك يكون أحد ثلاثة : إما في عهد مؤسس الدولة ثابت بن محمد بن ثابت (ت 730 هـ) ، أو في عهد ابنه محمد ابن ثابت، أو في عهد ثابت بن محمد الأخير .

كما يفهم من النص أن الجيطالي كان يشتغل بالتجارة ما بين الجبل ومدينة طرابلس حيث يقوم ببيع الرقيق، ويبدو أن تجار الجبل كانوا يقومون بدور الوسيط في نقل البضائع والتبادل التجاري ما بين بلاد السودان ومدن الساحل . وبعد إطلاق سراحه سافر إلى جزيرة جربة ، وأقام بالمسجد الكبير يدرس وفي نفس المجلس يؤلف⁽²⁾ .

اعتبر أحد الباحثين المعاصرين أن سبب نبوغ الجيطالي هو إقامته في جزيرة جربة⁽³⁾ . إلا أن الباحث يرى عكس ذلك فالعلامة الجيطالي ظهر نبوغه في جبل نفوسة الذي فيه تعلم ودرس وتنقل بين مدارسه واحتك بالعلماء والمشايخ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الجيطالي على ما تذكر المصادر فور وصوله إلى جربة وفي المسجد الكبير أقام يُدرس ويؤلف الكتب في نفس المجلس ، وهذا دليل

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 556 .

(2) . الصادق بن مرزوق، المرجع السابق، ص 51 .

(3) المرجع نفسه، ص 49 — 50 .

على أنه كان مكملاً علمياً وثقافياً . والذي حدث أن مدارس جبل نفوسة كانت سبب تكوينه العلمي ونبوغه ، أما جزيرة جربة فقد جنت ثمار الجيطالي الياينة .
وفاته : توفي رحمه الله عام 750 هـ / 1350 م . في جزيرة جربة ودفن في المقبرة المجاورة للمسجد الكبير بحومة الحشان⁽¹⁾ .

أبو عزيز إبراهيم ابن أبي يحيى الباروني : من مشائخ الفقه بالجليل ، ويرجع لأسرة آل بارون العلمية .

شيوخه : أخذ العلم عن الشيخ أبي موسى عيسى الطرميسي ، ثم جلس مكانه بعد موته⁽²⁾ . وصار معلماً وتخرج على يديه تلامذة .

تلاميذه : تتلمذ على يديه كثيرون منهم : أبو عبد الله محمد الباروني
وفاته : توفي عام 746 هـ / 1349 م .

ومن فقهاء الجبل الشيخ أيوب الجيطالي : وينتسب إلى قرية جيطال . أخذ العلم عن الشيخ إسماعيل الجيطالي وعندما سافر شيخه إلى جزيرة جربة انتقل يتعلم عند الشيخ عامر بن علي الشماخي ، وبعد تخرجه أقام في أحد المساجد لتعليم الطلاب ، وكان يفتد إليه الطلبة من كل حدب وصوب ، وكان يهتم كثيراً بالطلبة الغرباء ، وقد لاحظت في أغلب قري ومدن الجبل مقابر تنسب للغرباء⁽³⁾ .

ويعد الشيخ أبو عمران موسى بن عامر بن علي الشماخي : من علماء مدينة يفرن وله نبوغ في الفقه .

(1) مقبرة المسجد الكبير : بحومة الحشان في جزيرة جربة ، وتقع غربي المسجد ومحاطة بسور ، زرّقا : عام 2004 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 554 .

(3) . المصدر نفسه ، ص 562 — 563 .

شيوخه: تتلمذ على يدى والده الشيخ عامر الشماخي ، اشتغل هو الآخر بالتدريس والوعظ ، وكان مرجع للناس في حل مشاكلهم ، واشتهر بالصلاح والتقوى ، واهتم كثيراً بالفقه والفروع . لم يوفق في بداية تعليمه فطاف على مساجد ومشاهد الجبل وهي عادة كانت متبعة وقتذاك لمن يعجز عن التحصيل العلمي . وفاته : توفي عام 807 هـ .

ومن الفقهاء الشيخ أبو الربيع سليمان بن موسى بن عامر الشماخي: وهو حفيد الشيخ عامر الشماخي.

شيوخه: تتلمذ على يديه ويقال انه قرأ عليه ثمانين كتاباً⁽¹⁾. وتولي مكان جده ومرتبته في التعليم وغيره. وفاته : توفي سنة 806 هـ / بمدينة طرابلس ودفن فيها. والشيخ نوح المرساوي: من المهتمين بالفقه، ينتسب إلى قرية إمرساون⁽²⁾.

شيوخه: أخذ العلم عن الشيخ والعلامة أبي ساكن عامر الشماخي ، قام بمهمة التدريس في الجبل وتخرج على يديه كثيرون كان لهم دور بارز في التدريس والإفتاء والإرشاد ، وقد ألف الشيخ عامر رسالة متن الديانات تلبية لطلب تلميذه نوح⁽³⁾ وفاته : توفي في 12 رمضان عام 806 هـ / م ، ويوجد بقرية إمرساون مسجد مازال يحمل اسمه⁽⁴⁾.

(1) نفس المصدر والصفحة .

(2) إمرساون : من القرى القديمة في جبل نفوسة، وتقع إحدي سفوحه بنهاية وادي أمسين، يحدها من الشرق غابات الزيتون (خربة مقتل عبد الله)، ومن الغرب غابة زيتون، ومن الشمال وادي أمسين، ومن الجنوب منطقة الظاهر ، وهي عبارة عن خرائب وأطلال دازسة، كم يوجد بها عدداً من الفيران التي كانت تستخدم للسكن ، وبها عدد من صهاريج المياه . ثم انتقلت في فترة لاحقة إلى حافة الجبل ، زرتمها عام 2005 .

(3) . معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 440 .

(4) . مسجد نوح بن حازم المرساوي : مسجد يقع على قمة الجبل، ويطل على وادي أمسين ، قام الأهالي بصيانته وترميمه ، وأضافوا إليه بناء لتوسيعه ، زرته عام 2005 .

ويعد الشيخ أبو زكرياء يحيى بن أبي العز الشماخي: من الذين أشنغلوا بالفقه بجبل نفوسة، وهو سليل أسرة الشماخي العلمية، من سكان قرية تيغرمين. وشرح الدعائم في سفرين، وتبع طريقة الوصاف، وحذف أكثر الشواهد. كما يشير الشماخي إلى اهتمام أبو زكريا الكبير ببنسخ الكتب وله الفضل في نسخه لكتب عديدة، إلى درجة لا تخلو مكتبة من مكتبات جبل نفوسة إلا وفيها كتاب من نسخ يده وبخطه⁽¹⁾.

شيوخه: أخذ العلم عن الشيخين أبي موسى عيسى الطرميسي، و أبي عزيز بن إبراهيم الباروني، وبعد تخرجه من مدرسة شيخه الطرميسي أقام فيها لمدة يعلم الطلاب⁽²⁾. كما أن الشيخ أبو يحيى زكرياء بن عيسى الأبدلاني: وهو ينتسب إلى قرية أبديلان، تعلم على شيوخ زمانه ويعد من علماء وفقهاء جبل نفوسة .

(1) . الشماخي، المصدر السابق، ص553.

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 553 .

2 (علم التفسير :

اقترن التفسير في عصر النبي محمد ﷺ بالوحي، فقد كان جبريل يترل بالآيات على النبي ومعها تفسيرها، وهذا يدلنا على أن الرسول لم يكن يفسر القرآن برأيه، فقد روى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: "كان الوحي يترل على رسول الله ﷺ ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك"⁽¹⁾، وقد نهي الرسول عن التفسير بالهوى أو بغير علم، حيث قال: " من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"⁽²⁾. وندرك من خلال هذه التحذيرات النبوية مدي خطورة التفسير بغير علم وتمكن في اللغة والدين. وهذا العلم يختص بتفسير وتوضيح معاني القرآن الكريم وفق ضوابط وشروط معينة، وينقسم هذا العلم إلى قسمين : الأول تفسير نقلي ويستند في ذلك على الآثار المنقولة عن السلف من الصحابة والتابعين، والثاني : تفسير عقلي، وكثير من الصحابة اتبعوا هذا الأسلوب في التفسير كابن عباس وابن مسعود⁽³⁾.

وهذا النوع الأخير الذي اهتم به علماء الجبل في تفسيرهم لكتاب الله العزيز، كما اعتنوا في نفس الوقت بالتفسير النقلي. ومن علماء الجبل الذين اهتموا بهذا الجانب من العلوم، الشيخ أبو المنيب مامد بن يانس الدركلي: ويتنسب إلى قرية دركل، بينما ينسبه البغطوري إلى تملوشايت. شيوخه :

وهو من الطلاب الأوائل الذين درسوا على حملة العلم فدرس على يد الشيخ إسماعيل بن درار الغدامسي، كما درس على الشيخ عاصم السدراتي. وأفني

(1). تفسير القرطبي، ج1، ص39.

(2). الترمذي، سنن الترمذي، ج11، القاهرة: مطبعة الصاري، ص67.

(3). أحمد أمين، فجر الإسلام، بيروت: دار الكتاب العربي، ص200.

حياته في سبيل العلم كما يشير الشماخي: " قيل قسم عمره بين طلب العلم والزيارة، والحج وقراءة العلم" (1) ، ويبدو أنه اهتم بدراسة تفسير القرآن الكريم ونفهم ذلك من خلال تكفله بعلم التفسير عندما اختاره مشائخ الجبل ضمن الوفد العلمي المتوجه إلي تيهرت لمحاوره ومناظرة علماء المعتزلة (2).

وتشير المصادر التاريخية إلي كثرة عبادة الشيخ أبي المنيب واهتمامه بالصلاة حيث كان له سبعة مساجد يدوام على الصلاة فيها بالرغم من تقدمه في السن (3). تلاميذه: ومن أبرز الذين تخرجوا على يديه : الشيخ أبو خليل صال الدركلي. وبعد حياة طويلة حافلة بالكفاح والعطاء، العلمي والثقافي، توفي الشيخ أبو المنيب الدركلي ما بين: (200 – 250هـ / 814 – 864م).

ومن طرق تعليم هذا الفرع من العلوم هي طريقة الإملاء، وأشار البغطوري لذلك قائلاً: " روى أنه [أبو هارون الجلامي] وقف عليه يوماً وهو يملئ علي أبي الحسن الكباوي فكلما وقف لأبي محمد حرف في التفسير يطأطئ عليه أبو علي حتى يعرفه فيكتبه" (4).

3 (أصول الدين :

-
- (1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 169 .
 - (2) . الشماخي ، المصدر السابق، ص 155 .
 - (3) الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 180 .
 - (4) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 37 .

فن من الفنون يعني بمجموعة من القضايا الدينية، اهتم علماء الجبل بمعالجتها وتمخض محيطهم بإنتاج وافر، ونلمس بوضوح أنه كان على مستوى من النضج والقدرة على الاستيعاب، وطرحه في منطق متكامل، ومن أشهر العلماء الذين نبغوا في هذا المجال العلمي: أبو هارون موسى بن يونس الجلالمي: ق: (هـ / م)، ينتسب إلى قرية جليمت⁽¹⁾، لم تذكر المصادر تاريخ ولادته وإنما كان حياً بعد عام 283هـ / 896 م. شيوخه: تتفق المصادر التاريخية على أن تعليمه كان على الشيخ أبي القاسم البغطوري⁽²⁾. ويبدو أنها كانت المرحلة العليا من تعليمه ونفهم ذلك من نص للشماخي الذي يقول: " يعمل شغله إلى ربه إلى العشية ، فيمضي إلى الشيخ أبي القاسم يتعلم ثم يدرس ثم يرجع مصباحاً شغله وذلك دأبه "⁽³⁾. فمن خلال هذا البرنامج ندرك أنه كبير في السن (شغله نهاراً ، وتعليمه ليلاً) ، وأن أبا هارون تعلم عند أبي القاسم مدة ثلاثين عاماً درس خلالها الأصول والمناظرة والحجة⁽⁴⁾، وهذه المواد تدرس في المرحلة العليا كما هو معروف وقتذاك، وقيل عنه : اشتغل بعلم الأصول فتعلق إليه فروع الفقه . وعندما أنهى تعليمه ورأى في نفسه المقدرة على تعليم الآخرين افتتح مدرسة بقرية جليمت، وأنفق علي طلابها من ماله الخاص.

تلاميذه: وتخرج على يديه العديد من العلماء منهم : أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي، وأبو يحيى زكرياء بن يونس الفرستائي، وأبو حسان عامر السدراتي .

(1) . جليمت : قرية قديمة تقع على قمة جبل عال وتشرف على وادي إكرين، تبعد عن مدينة كباو حوالي 10

كلم، وفي أعلى قمة الجبل يوجد بناء أثري مربع الشكل، والصاعد إليها يجد صعوبة ومشقة، زرقا عام 2004 .

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 30 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص 278.

(3) . المصدر نفسه ، ص 278

(4) . نفس المصدر والصفحة .

وكان العلماء يشيدون بالجلالي، وبغزارة علمه و كانوا يشبهونه بأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة⁽¹⁾. وتماًلاً آراؤه وفتواه وأقواله الكتب ، فلا تخلو منها كتب الفقه والأصول وعلم الكلام⁽²⁾، كما كان يقصده الناس للسؤال عن المشكلات الفقهية والعلمية التي لها علاقة بحياتهم، فيقدم لهم الإجابات المرضية والمقنعة في نفس الوقت حتى قال له أحدهم : " إن العالم مثل الحوض من جاءه أستقاء"⁽³⁾.

رحلاته: كان أبوهارون الجلالي من علماء الجبل الذين اهتموا بالرحلة خارج الجبل من أجل طلب العلم والاشتغال بالتجارة ، وخاصة مع بلاد السودان الغربي، وأكثر تجارته مع تادمكة⁽⁴⁾، وعاش إلي ما بعد سنة 283 هـ / 896 م أي بعد معركة مانو.

ولكل فترة تاريخية ظروفها التي تؤثر في العطاء والاهتمام بهذا العلم، أو التراجع وقلة الإنتاج، وهذا ما حدث في فترة إكتساح ابن غانية الميورقي لمنطقة بلاد الجريد وجبل نفوسة مما جعل أغلب علماء الجبل يهتمون بالسير وابتعدون عن الأصول، فانبرى أبو نصر بن نوح الملوشائي من علماء القرن السابع الهجري، شاكياً من تفريط الناس في هذا العلم بقصيدته النونية⁽⁵⁾: (طويل).

سلام على الإخوان في كل موطن بنجد وخيف والسهولة والحزن

(1) . البغظوري ، المصدر السابق ، ورقة 50 .

(2) . علي يحيى معمر ، المرجع السابق ، ص 162 .

(3) . البغظوري ، المصدر السابق ، ورقة 31 ؛ والصواب : استقى .

(4) . المصدر نفسه ، ورقة 30 .

(5) أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، ديوان أبو نصر الملوشائي، ص1.

سأهدى إليكم من كلامي قصيدة
تنبهكم عن بعض ما لم يسعكم
أروم بها أحياء علم عقائد
ألا بدلوا قافاً بعين وصادها
نظرت إلي قرائنا فوجدتهم
تناسوا أصول الدين من أجل
فأحببت تجديد العهود لنظم ما
فأول علم يلزم العبد فرضه
أقدمها للنفس يوم التغابن
فما حكته بوصف جام ولا دن
درسن فلم يحفل بها كل معتن
بقاف وصورها من الصحف واللحن
بفقه المعاش مولعين بالسن
أنها صعاب وما فيها ثمار لمن يجن .
تناثر من تلك العقود بأمتن
على الفور توحيد الإله المهيمن

وهذه النونية وضعها أبو نصر الملوثائي في أثنين وثمانين ومائة بيت، جمع فيها
أصول الدين، فذاع صيتها وانتشرت في مختلف بيئات الإباضية، واهتموا بحفظها
وإنشادها في المناسبات. "وقام الشيخ إسماعيل الجيطالي ق: (8هـ/14م) بشرحها
في مجلدين. نَجح فيهما منهجاً تحليلياً استدلالياً لا يخلو من نزعة دفاعية"⁽¹⁾ وكذلك
من علماء الجبل في مجال أصول الدين الشيخ أبو هارون الجلامي.

4) علم الكلام :

(1) فرحات الجعبري، العقيدة عند الإباضية، ص122-123.

"وهو يتضمن الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على
المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"⁽¹⁾، واحتم علماء
الجبيل بهذا الفرع من العلوم دراسة وبجناً وتأليفاً، واستعمل في إثبات العقائد،
ولوحظ أن أغلب الفرق الإسلامية لها علماء متخصصون في هذا الجانب يعرفون
بالتكلمين يدافعون عن أفكار الفرقة ويعملون على دحض أفكار المخالفين لهم
فكانت تقام المناظرات العلمية بين أولئك التكلمين في المساجد والمدارس وقصور
الخلفاء⁽²⁾.

ويعد الشيخ مهدي الويغوي (ت 196هـ / 812م) — يتنسب إلى
قرية ويغو — من أبرز علماء الكلام بجبيل نفوسة، ومن الذين برزوا في فترة مبكرة
ويبدو أنه كان متمكناً في هذا الجانب، وله قدرة قوية في المحاجّة والبرهان،
والإستدلال، ويتبين لنا ذلك أثناء حضوره المناظرة العلمية مع المعتزلة بتاهرت،
فيقول الشماخي أنه: غاب يوماً عن أصحابه، وعند عودته سأله عن سبب غيابه،
فقال لهم: أفحمت تسعين عالماً من المخالفين⁽³⁾. ويبدو أنه استفاد كثيراً من التعلم
على مشائخه الكبار وهم (حملة العلم الخمسة) الذين ذكرناهم سابقاً، وكان
يشتغل بالزراعة شأن أغلب علماء الجبيل وذلك لكون مجتمع الجبيل زراعياً.

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ص 423.

(2) . حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 335 .

(3) الشماخي، المصدر السابق، ص 156.

وفاته: توفي الشيخ مهدي سنة (196هـ / 812 م) أثناء حصار الإمام عبد الوهاب الرستمي لمدينة طرابلس⁽¹⁾، لم نثر على أسماء من تتلمذوا على الشيخ المهدي .

ومن الذين تبغوا أيضاً في علم الكلام بالمنطقة الشيخ فرج بن نصر المعروف بتفات، ق: (2هـ/8م)، ويرى الشيخ سليمان الباروني أنه يرجع إلى قرية تفاته⁽²⁾ درس بتأخرت على الامام عبد الوهاب الرستمي⁽³⁾ وكان له باع طويل في العلم، وكانت له آراوه الكلامية والفقهية التي خالف بها علماء عصره بالجيل ومنها:

1. قوله: إن الله هو الدهر الدائم.
2. إنكاره الخطبة في الجمعة.
3. إنكاره استعمال الامام العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية ومطالب بيت مال المسلمين.
4. قوله: إن ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ للأب.
5. قوله: إن المضطر بالجوع لا عصي يبع ماله إذا باعه لأجل ذلك وعلى من شهد مضرتة تنجيته.
6. قوله: إن الفقد لا يتحقق إلا فيمن تجاوز البحر⁽⁴⁾.

ويبدو لي أن الشيخ أبو نصر التمصصي، ق: (2هـ/8م)، عالم من علماء الكلام — وسوف أبين ذلك لاحقاً — وأبو نصر ينتسب من خلال لقبه إلى

(1) . الورجلاني ، المصدر السابق ، ورقة 26 .

(2) . سليمان الباروني، المرجع السابق، ص196.

(3) . الدرر جني، المصدر السابق، ص78.

(4) . سليمان الباروني، المرجع السابق، ص195 — 196.

قرية تمصص المشهورة بالعلم والمثاىخ. إلا أن المؤرخ عبد السلام الوسيانى، فى سيره ينسبه إلى قرية أخرى وهي: (تين ضج)⁽¹⁾ ، ويعد أبو نصر من العلماء الأولين بالجبل فقد أخذ علومه عن: الشيخ عاصم السدراتى أحد حملة العلم الخمسة. وتصنيفنا للشيخ أبو نصر من ضمن المهتمين بـ(علم الكلام)، لإشتغاله الطويل والمستمر بالتصدي لأفكار الشيخ والعالم نفاث بن نصر الذى خرج على طاعة الرستمين وكون فرقة وأتباع لهم آراؤهم الفقهية والكلامية، وكذلك كان للشيخ أبو نصر ردود على أفكار خلف بن السمع الذى ثار هو الآخر — فى جبل نفوسة بمدينة يفرن — على الدولة الرستمية. ولما كانت هذه الأفكار (النفاثية، والخلفية) تسبب قلاقل وعدم استقرار (سياسي، اجتماعي، فكري) بولاية جبل نفوسة، توجب على علماء الجبل الموالين للدولة الرستمية وخاصة المتمكنين — حسب ما أرى — كلامياً وجدلياً وفقهياً، أن يكونوا فى الصدارة لمحاربة هذه الأفكار والتصدي لها، وهذا ما قام به الشيخ أبو نصر التمصصي.

كما لا نستبعد أن يكون الشيخ أبو المنيب مامد الدركلي متمكناً من علم الكلام ونذكر ذلك من حوارهِ البسيط مع زميله مهدي الويغوي أثناء بدء المناظرة مع المعتزلة حيث طلب المهدي من أبي المنيب أن يناظر خصمه فى علم الكلام، فقال له أبو المنيب: بل ناظره أنت ولست بأعلم مني⁽²⁾. ويبدو أن علماء ذلك الزمان لم يقتصروا على تخصص بعينه وإنما طبيعة العصر العلمية يقضى بأن يكون العالم على صلة بأكثر من فرع من فروع العلم ومن ناحية أخرى كانت

(1) الوسيانى، المصدر السابق.

(2) . المصدر نفسه ، ص 157 .

العلوم حينها في طور تأسيسها وما زالت لم تستقل بذاتها. فهذا الشيخ أبي المنيب الدركلي تحدثنا عنه كأحد المفسرين للقرآن الكريم بالجليل، وهو الآن ضمن علماء الكلام.

أيضاً هناك عالم آخر جهذ من جهابذة الإسلام في هذا المجال بجبل نفوسة وهو يعد موسوعة متنقلة، ألا وهو الشيخ العلامة المتكلم أبو حفص عمرو بن فتح المساكني، ذكرناه سابقاً كفقهاء وهو أيضاً له إسهام بالغ في علم الكلام ومن مؤلفاته في هذا الصدد: (كتاب أصول الدينونة الصافية)، المعروف بـ(العمروسي) في الأصول، وسبب تأليفه أن أحد علماء فزان⁽¹⁾ في علم الكلام وهو مؤلف لكتابين في الأصول، طلب منه أن يؤلف له كتاباً في الأصول، وبالفعل قام عمرو بن تلبية طلب العالم الفزاني فكان (كتاب العمروسي) الذي قرأه العالم الفزاني فقال: " النفوسي أقوى من الفزاني "⁽²⁾، وهذا اعتراف صريح من عالم متخصص يشهد للعلامة عمرو بن نفوسة بالقوة العلمية والكفاءة في التأليف في هذا المجال، وهو صاحب كتابين معروفين في أصول الكلام، وهذا الاتصال العلمي يشير إلى وجود صلات وثيقة بين أهالي جبل نفوسة وبين منطقة فزان، تربط المنطقتين بروابط علمية وثقافية⁽³⁾، وهذا الأمر يؤيده السياق التاريخي للأحداث ففي ذلك العصر أمتد نفوذ الدولة الرستمية وأتسع ما بين تاهرت غرباً إلى سرت شرقاً كما سيطرت على المدن والواحات الداخلية.

(1) . العالم الفزاني : هو الشيخ عبد الخالق الفزاني أحد علماء الإباضية بفزان وخاصة في علم الكلام ، جناو بن فتي وعبد القهار بن خلف، أجوبة علماء فزان، تحقيق : عمرو خليفة النامي وإبراهيم محمد طلاي، قسنطينة : دار البعث، (د . ت)، ص 20 ؛ البغطوري، المصدر السابق، ورقة 133 .

(2) البغطوري . المصدر السابق، ورقة 133 .

(3) جناو بن فتي وعبد القهار بن خلف، المصدر السابق، ص 17 .

ويورد البغطوري في سيره نصاً يفيد محاورة في علم الكلام دارت بين شخصيات علمية، وشاركت فيه امرأة في مجلس علم بقرية ثلاث: فقد أثار أبا حسان بن أبي عامر مسألة كلامية وهي: أن لله يد وأشار ليده، والله أذن وكذلك أشار لأذنه، والله لحية ولحيته هذه، فرد عليه الشيخ أبو عيسى الدرقي والتلاميذ: تب لربك من هذا الكلام. إلا أنه أصّر على موقفه! وكانت حاضرة في ذلك المجلس امرأة جالسة خلف ستار⁽¹⁾، فأيدت رأى أبا حسان. ومن الحاضرين أيضاً الشيخ أبو يحيى الفرسطائي وكان ملازماً للصمت!، حتى قال له أبو عيسى تكلم، وهناك قال الشيخ أبو يحيى: تب لربك يا أبا حسان، فعندما تراجع أبا حسان عن رأيه وتاب. من خلال هذا النص ولو كان مقتضياً دون توسع إلا أننا ندرك بعض المسائل الكلامية المثارة حينذاك. كما نستخلص منه مشاركة النساء في الحوارات والمناقشات العلمية.

ومن العلماء الذين اشتغلوا بعلم الكلام الشيخ داود بن هارون أبو زكرياء الباروني ق: (5هـ/11م)، سليل أسرة الباروني العلمية في جبل نفوسة. ينتسب إلى قرية آت بارون⁽²⁾. شيوخه: أخذ العلم عن أبي زكرياء يحيى بن الخير الجنائوني، وكذلك عن الشيخ عبد الله بن مطكود، ويبدو أنه اهتم كثيراً بعلم الكلام قال عنه البغطوري: " قال بعض المغاربة سرت في البلاد شرقاً وغرباً فلم أر مثل داود بن هارون"⁽³⁾ أما المؤرخ الشماخي فقال: " وأنه في أيامه تضرب إليه أكباد الإبل في

(1). يبدو أنهم مجموعة نسوة كانوا يشاركون في المجالس العلمية على عادة مجالس الجبل. إلا أن المتحدثة هي التي ذكرها البغطوري ولم يورد لنا اسمها.

(2). قرية آت بارون تقع في وادي إكرين أحد الوديان الكبيرة بمدينة كبار، وأغلب أثار القرية قد أندثر ما عدا مسجد الشيخ أبي الربيع ما زال قائماً وبجالة جيدة، زرت القرية في عام 2004م.

(3) البغطوري، المصدر السابق.

إيضاح كل مشكل وتفسير كل غريب وجواب كل سؤال وشهرته في التقى
والورع في بلاد نفوسة بل في جميع المغرب أشهر من أن تخفى" (1).
تلاميذه: وأنشأ حلقة علم تخرج منها العديد من الطلاب منهم: أبو محمد عبد الله
بن محمد بن مطكود حفيد شيخه، وعيسى بن أحمد، وأبو يوسف وجدليش
الأمللي، وللشيخ داود الباروني بعض المؤلفات منها: كتاب المسائل وأجوبة إلى
الأمير أبي منصور الباروني. كما يعد الشيخ أبو نصر الملوثاني ق (7هـ/13م)
من المشتغلين بعلم الكلام، وله إسهامات بارزة في هذا المجال فآلف النونية في خلق
القرآن والقصيدة البائية في الأخلاق، وديوان شعر في العقيدة والأخلاق.

(1) الشماخي، المصدر السابق، ص537.

5) العلوم اللغوية والآداب :

وهذه العلوم جاءت أهميتها لدراسة العلوم الدينية والشرعية وهي متنوعة منها :
اللغة ، والنحو ، والإعراب ، والبيان ، والأدب بقسميه : (الشعر والنثر) .
وكان علماء ومشائخ الجبل يحفظون طلابهم لدراسة اللغة العربية، ومن أقوالهم
المأثورة : " من تعلم حرفاً من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفروع، وتعلم
مسألة من الفروع كعبادة ستين سنة "⁽¹⁾. وكان أبو عبيدة الأعرج من علماء القرن
الثالث الهجري / التاسع الميلادي عالماً بالعربية يدرس لطلابه كتاب إصلاح اللغة
لعبد الله بن مسلم بن قتيبة⁽²⁾.

ومن الذين أهتموا بالجانب الأدبي وبخاصة في الشعر بالجبل الشاعرة: مترو
بنت أبي عثمان الدجني المزائي⁽³⁾، ق: (3هـ/9م)، ترجع إلى قرية دجني⁽⁴⁾ من
قري جبل نفوسة، وكانت امرأة زاهدة، وعابدة، وورعة هكذا عرفت بين أهلها
وذويها. إلى درجة أنها تمت أن تتزوج زوجاً فاجراً لتتحمل أخلاقه السيئة وتصير
عليه لكي تؤجر وتفوز بالجنة، وبالفعل كان لها ما تمت من الزواج القاسي⁽⁵⁾

(1) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 95 .

(2) . سليمان الباروني، المصدر السابق، ج2 ، ص 244 .

(3) . الشيخ أبي عثمان الدجني المزائي: من أبرز شخصيات قرية دجني، أهتمت أغلب كتب السير بذكر أخباره
ويبدو أنه كان من الأغنياء، رأيت مسجد بدجني مازال قائماً ينسب إليه زرتة عام 2004م.

(4) دجني: قرية من قري جبل نفوسة القديمة، مبانيها مخنورة بطريقة عجيبة في الجبال الطينية، وقصرها مبني فوق
صخرة كبيرة وعالية، وللأسف لم أعتز على معلومات تفيد المكان الذي هاجر إليه أهالي دجني الأصليين، وأخبرني
بعض أهالي البدارنة، أن السكان هاجروا إلى جزيرة جربة بتونس، كما أفادوني بأن البدارنة قد سكنوا في محلهم
وبيوتهم (لم يتم تحديد الزمن بدقة) إلا أنهم كانوا فيها حتى أواخر الستينات من القرن الماضي. زرتهما عام 2004م.

(5). الشماخي، المصدر السابق، ص .

وكانت معاصرة للشيخ أبي زكريا يحيى بن يونس السدراتي، إذ قالت له لما زارها: "أزلت عني الوحشة وعلمتني العلم"⁽¹⁾، كما أنها انشدت له بيتاً من الشعر بالأمازيغية، معناه: لا أحد يزور في الله أحد، فيذهب غم النفوس، ويزيل الوحشة. إذن كانت مترو من الشعرات باللغة الأمازيغية واحتفظ لنا الوسياني بعضاً منه ويدور حول يوم القيامة والميعاد والحساب والقبر والموت وفي الوعظ والارشاد. وبذلك يكون شعرها من جنس شعر أبو العتاهية في الزهد والابتعاد عن زخارف الدنيا.

ومن الذين كان لهم اهتمام بالشعر، الشاعرة: زيديت بنت عبد الله الملوשאئية ق: (3هـ/9م)، كانت من نساء الجبل المشهورات بالورع والصلاح، وكان أغلب قصائدها بالأمازيغية، وهي في أغراض النصح والإرشاد، وكثيراً ما كانت تنصح النساء اللاتي يجتمعن لعمل الصوف من غزل ونسج، وتقول لهن بدل أن تغنين عليكم بذكر الله والإستغفار، وكل ذلك بقصائد شعرية فيها: ذكر لفضاعة الموت، وعذاب القبر، وأحوال الميعاد ويوم القيامة من حساب وسؤال.

وكذلك من العلماء الذين اشتهروا في الآداب، وبالذات في الشعر، الشيخ الشاعر أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، ق: (7هـ/13م)، وقد لاحظت أن أغلب مؤلفاته جاءت على هيئة قصائد شعرية، منها متن النونية في التوحيد وأصول الدين:

ويمكن أن نقتبس بعضاً أبياتها:

على الفور توحيد الإله المهيمن

فأول علم يلزم العبد فرضه

(1). الشماخي، المصدر السابق.

فإن أدرك التوحيد درج غيره
فقل ونبني لمن أنت عامل
أقول بأن الله حق حقيقة
كما كان قبل الخلق قد كان بعده
وإلا فما أحراه شبيهاً بذوي الوثن
ما كنت تدعوا يا أخا الجهل من من
وقد كان لا كينونة من عمكون
وقد سبق الأوقات كوناً بلا كون

بكل مكان كان لا كون جوهر
وليس ككون الشيء في الشيء والجا
تقلدس عن حد وشبه وصورة
ولا كون تحلال تعالى عن الكُن
ولكنه بالعلم والحفظ والصون
وجل عن التكيف والحيث والأين

دنا ونا معني يرانا ولا يُرى
فكل الذي أضحي على البال سانحاً
على العرس والخلق أسوى فاستواءه
فماذاته تحوي بعين ولا أذن
فذلك غير الله فانف عن الذهن
بنقض وإبرام وإتقان متقن

وليس كمعقول إستواء أميرهم
له المثل الأعلى وليس كمثله
فهذا إعتقادي في إلهي وخالقي
على سرر معهودة للتمكن
مثال ولا شيء يشابهه في الكون
مماي ومحياي بإيمان موقن⁽¹⁾

كما ألف منظومة الرائية في الصلاة وأحكامها، وكانت غاية في الروعة والاتقان

ونقتبس منها:

فما كل من صلى يقال مصلياً
صلاة إمريء ندل بغير طهارة
إملاك الصلاة في الطهارة والنقا
فستان بين الاسم والفعل فانظر
كمن لم يصل البت فافهم وطهر
لباس وأبدان وأمكنة طهر

(1). أبو نصر فتح بن التملوشايقي، ديوان الشيخ أبو نصر التملوشايقي، طبعة حجرية، القاهرة: المطبعة البارونية،

وقد شرع الله الوضوء تعبداً
وأما الأذان والإقامة سنة
وليس على الغداة من ذلك ملزم
وقد وسع الله المواقيت منة

ومن رسول الله باقي التطهر
مرادهما الإعلام للوقت بالحرص
وليس عليهم الإمامة في المصير
وقضلاً ولم يحصر مداها على الفور

فكل صلاة وقتها حاصل لها
وأفرط ما قد قيل فيها اشتراكها
وأوسطها فالظهر والعصر شركة

وشدد في ذا قائلوه على إصر
نهاراً وليلاً فطرح ذا على حجر
كذلك صلاة الليل وقت لها يسر

وأما صلاة الصبح فالشمس حدها
ومن كان صلى قبل وقت فإنه
كذلك الفروض اللازمات لوقتها
ومن نام عنها أو تناسى فوقتها

فإن طلعت حقت عليه عرى الكفر
يعيد ولو صلى بألف على طهر
على الأصل لا تجزيك قبل التحضر
إذا قام والنسيان ينسخ بالذكر⁽¹⁾

وألف الحائية وعرضها تحريض طلبة العلم، قال فيها:

دعاكم الله لدار السلام
فأله ثم الله في عزمكم
جدوا فإن الأمر جد بكم

قولوا ألا لبيك داع الفلاح
ما دامت الأرسنان طلقاً فساح
والجد معوان الفهوم لسقاح

لا يستوي من جد عزمًا كمن
العلم زين والتقى شرف

قيده العجز عن الإكتداح
والورع والصدق تمام الصلاح

(1) . أبو نصر فتح التملوشايقي، المصدر السابق، ص 207.

وَأَمْ دَفَرَ كَلِّهَا ظَلَمَ
مَنْ ضَيَّعَ التَّعْلِيمَ فِي وَقْتِهِ
مَنْ أَدْمَنَ الدَّرْسَ وَنَادَمَهُ
مَنْ لَمْ يَعُودَ نَفْسَهُ دَائِمًا
والعلم فيها كتباً شير الصباح
فأخبر الصاد يُرى كل صاح
بشراه بالعلم على الإمتياح
قراءة الكتب كلليل السواح

مَنْ حَالَفَ النَّوْمَ وَلَا زَمَهُ
مَنْ فَارَقَ الْإِبْرِيْقَ فِي نَسْكَه
وَالْعَمَلَ الْمَقْبُولَ لِلَّهِ لَا
فَأَيَّةَ الْكَهْفِ لَهُ فِي إِتْضَاح
جَاحَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ وَجَاح
لَعَلَّةَ أَوْجَرَ نَفَعَ رِقَاح

لَا يَنْفَعُ الْعِلْمَ بِلَا عَمَلٍ
وَشَجَرِ الدَّفَلَا ذَمِيمِ الْجَنَّا
مَنْ صَاحَبَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ التَّقَا
وَلَا أَجَمَ الْقَرْنَ عِنْدَ النَّطَاح
شَبَّهَا لِذِي الْعِلْمِ الْعَقِيمِ الْمَصَاح
فَهُمْ غَثَاءٌ وَجُفَاءٌ كُؤَسَاح⁽¹⁾.

ومنظومة الدالية، المسماة رسالة المسترشد وكفاية المستنشد في الوعظ والإرشاد،
ومتن التونية في خلق القرآن الكريم، ومتن البائية في الأخلاق، وديوان شعر في
العقيد والأخلاق، وله مرثية في خاله الشيخ أبو يحيى زكريا بن إبراهيم الباروني،
ومطلعها: قام الخطيب يبكي الناس.

(1) أبو نصر فتح التملوشايي، المصدر السابق، ص19.

ب) العلوم العقلية :

1) علم المنطق (الجدل) :

" وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات " (1)، وكذلك معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، وبرع فيه مجموعة علماء من أشهرهم : الشيخ مهدي الويغوي النفوسي، ق: (3هـ/9م)، وينتسب إلى قرية ويغو، وهو غير الشيخ المهدي الويغوي المذكور آنفاً من ضمن علماء ق: (2هـ/8م)، كما يشير إلى ذلك الشماخي قائلاً: " ومنهم مهدي المتكلم الويغوي، وليس هو بالمهدي صاحب الامام ... بل هو آخر في القرن الثالث " (2) وأثني عليه الدرجيني قائلاً: " ومنهم مهدي النفوسي هو المقوم في علم الجدل، الذي له اليد العليا في البرهان الاستدلال، وهو المحتج على إمكان الممكن واستحالة المحال " (3).

وترك الشيخ المهدي تأليفاً في علم المنطق والجدل كتبه باللغة الأمازيغية (4)، ولم يكتبه بالعربية ربما لأن أغلب الأهالي وخاصة الطلاب في تلك الفترات المبكرة من التاريخ الإسلامي مازالوا حديثو عهد باللغة العربية، وسبب تأليفه لهذا الكتاب محاربة الأفكار والقضايا الكلامية التي كان يتبناها أحد علماء الجبل ممن عارض الدولة الرستمية حينذاك وهو الشيخ فرج بن نصر الملقب (بنفاث)، وبذلك يمكن أن يعد هذا الكتاب من أقدم مؤلفات الجبل الإسلامية.

(1) . ابن خلدون ، المقدمة ، ص 451 .

(2) الشماخي ، المصدر السابق، ص 328 .

(3) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 313 – 314 .

(4) . نفس المصدر والصفحة، لم أقف على هذا الأثر العلمي بعد.

2) علم النجوم :

"وهو معرفة الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوي الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة"⁽¹⁾. وهو جانب من جوانب المعرفة التي اهتم بها بعض علماء الجبل. ومن هذا العلم نشأ (علم الفلك)، واهتم العلماء المسلمون بدراسة النجوم في مساراتها، وتحديد مواقعها وسرعة حركتها، وقد اختلط بالتنجيم أو (النجامة). وعلم الفلك استقام أمره وهو من العلوم الاستقرائية الرياضية له قواعده وأساسه باعتماده على الملاحظة ويستند على الإرساد لتعليل حركة النجوم وتفسير الظواهر الفلكية⁽²⁾.

ومن أشهر علماء الجبل الذين تخصصوا في هذا المجال العلمي أبو أيوب التمنكري، المنتسب لقرية تمنكرت ويبدو أنه كان متعمقاً بشكل كبير في هذا المجال إلى درجة أن قال: " عرفت ما كان في السماء كما عرفت ما كان في الأرض"⁽³⁾. وكذلك الشيخ أبو يحيى يوسف بن زيد بن أفصيت الدرني وهو من علماء القرن: (4م/10م) : نسبة إلى قرية إدرف . جعله أصحاب المعجم من أعلام القرن الخامس الهجري إلا أنه عاش قسماً من حياته في أواخر القرن الرابع الهجري ، تتلمذ على يدي والده الشيخ أبي محمد الدرني كما تعلم عند الشيخ أبي محمد

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ص 478 .

(2) . توفيق الطويل ، المرجع السابق ، ص 52 .

(3). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 119.

الكباوي ، وكان متخصصاً في علم النجوم⁽¹⁾ . ومن هنا نفهم أن علم النجوم كان معروفاً لدى طلاب وعلماء جبل نفوسة وأسهموا فيه ببراعة . وكان أبو يحيى الدرقي يقول عن نفسه : " أخذت العلم بالقصعة وفرقته بالأقداح"⁽²⁾ ، ويشير إلى الفروق الفردية بينه وبين الطلاب الآخرين في التحصيل العلمي بكثرة فهمه وقلة فهم غيره . وقام بمهام التدريس ومن تلاميذه : أبو الخير توزين الجناوني، وأبو يوسف وجدليش بن في ، وأبو يوسف يعقوب بن سيلوس الطرقي السدراتي.

(1) . المصدر نفسه ، ص 286 — 287 .

(2) . المصدر نفسه ، ص 286 — 287 .

3) علم التاريخ والسير :

وهو من العلوم العقلية التي اهتمت بما مختلف الأمم والشعوب، : " وهو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الأيام والدول . . . وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق " (1). وبالتالي فنلاحظ أن علماء الجبل كانوا يهتمون كثيراً بهذا الجانب من المعرفة لما له من علاقة بتراجم الأعلام البارزين وسيرهم ، وكذلك من الدوافع للكتابة في التاريخ توفر المادة التاريخية والقصاص التاريخي في القرآن مما دفع بمفكري القرآن إلى البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه، ومع مرور الزمن صار الاهتمام بالمادة التاريخية أحد فروع المعرفة التي تمت بالارتباط بالقرآن (2) فألفوا فيه عدة مصنفات كتتم بالروايات والأحداث التاريخية المختلفة دينياً واجتماعياً واقتصادياً المتعلقة بمنطقة جبل نفوسة وغيرها من المناطق المحيطة به . واعتمد كتاب التاريخ والسير على عدد كبير من الرواة من أشهرهم : أبو خليل صال الدركلي ، وأبو صالح ياسين الدركلي ، ونفاث بن نصر النفوسي ، وأبو ميمون الجيطالي ، وأبو محمد عبد الله المجدولي ، وأبو عثمان سعيد بن سليمان الفساطوي ، وأبو زكرياء يحيى بن وجدليش ، وصالح المزغورتي (3)، وغيرهم كثيرين.

ومن أشهر المؤرخين: الشيخ أبو محمد عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن مطكود أخذ العلم عن الشيخ داود بن هارون الباروني وكانت له شهرة علمية حتى قال فيه

(1) . ابن خلدون ، المقدمة ، ص 10 .

(2) . فرانتز روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة : صالح أحمد العلي ، مراجعة : محمد توفيق حسين ، بغداد : مكتبة المنى ، 1963 ، ص 41 .

(3) . هؤلاء الرواة أستخرجهم الباحث من بطون كتب التاريخ والسير مثل : كتاب بدء الإسلام لابن سلام الإباضي ، وسير الأئمة لأبي زكرياء الوارجلاني ، والطبقات للدرجيني ، والسير للبطوري ، والسير للشماخي .

بعض معاصريه: "سرت البلاد غربها وشرقها فلم أر مثل داود بن هارون وهذا الشيخ يعني: أبا محمد وكل ما وجدت رواية وسيرة في أخبار مشايخ نفوسة وعلمائها فالأكثر من ذلك هو راويه وكان إماماً تعلم منه بشر كثير وله فضائل ومواعظ"⁽¹⁾. يتضح من هذا النص أن الشيخ أبا محمد يعد من الرواة للأخبار ومن المهتمين بالتاريخ وسير الأعلام.

أبو يحيى توفيق بن يحيى الجناوني: نسبة إلى قرية اجناون ، أخذ مبادئ العلوم على مشايخ قريته، ثم تنقل بين عدد من مدارس الجبل لطلب العلم . وبعد تخرجه اشتغل بالتدريس . ومن أبرز تلاميذه : مقر بن محمد البغطوري ، وإبراهيم بن أبي يحيى أبي عزيز . ومن مؤلفاته في التاريخ والسير: (كتاب التقييدات)، صنف فيه أعلام الجبل البارزين بحسب الترتيب الزمني.

والمؤرخ مقر بن محمد البغطوري نسبة إلى قرية بغطورة . عاش في القرن السادس الهجري درس على الشيخ: توفيق بن يحيى الجناوني، وأبو محمد عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن مطكود الجمدولي، ومن ضمن اهتماماته الفقه والتاريخ فألف كتاباً في السير والتاريخ سماه : (كتاب سير نفوسة) ، قال عنه الشماخي : " ذكر أنه أكمل الكتاب في أواخر شهر الربيع الآخر عام تسعة وتسعين وخمسمائة من الهجرة في اجناون في محضرة الشيخ أبي يحيى توفيق رحمهما الله"⁽²⁾ وهو كتاب يدل على ازدهار الحياة العلمية والثقافية في الجبل وخصوبة الروايات، وتعدد

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 542 — 543.

(2) . المصدر نفسه، ص 548 .

الرحلات العلمية داخل الجبل وخارجه بقصد زيارة المراكز الحضارية لطلب العلوم والمعارف⁽¹⁾. وبذلك يمكن أن يعد مقرين البغطوري ضمن أبرز وأهم مؤرخي جبل نفوسة في العصور الوسطى.

وأبو موسى عيسى ابن سليمان بن أبي يعقوب الشماخي: عاش في أواخر القرن السادس الهجري، كان من سكان قرية تيغرين — قبل أن تنتقل عائلة الشماخي إلى مدينة يفرن — أخذ العلم عن الشيخ توفيق بن يحيى الجناوني، والشيخ مقر بن محمد البغطوري. وهو من الذين اهتموا بالتاريخ وسير الأعلام، وألف كتاباً في السير، ويعد في الكتب المفقودة اليوم، وهو أحد المؤرخين الذين تقحوا كتاب البغطوري في السير⁽²⁾.

(1) . علي مصطفى المصراي ، مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم ، طرابلس : منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، 1977 ، ص 16 .
(2) . تاديوش ليفيتسكي ، المرجع السابق ، ص 94 .

4 (علم الحساب (الفرائض) :

يصنف ابن خلدون في مقدمته علم الفرائض من ضمن العلوم العددية ويقول فيه: " هي صناعة حسابية في تصحيح السهام لنوي الفروض في الوراثة إذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته أو زادت الفروض عند اجتماعها وتزاحمها على المال كله"⁽¹⁾. ويرى أحد الباحثين المعاصرين أن أهمية علم الفرائض (علم الموارث) هي التي دفعت بالرياضيات العربية إلى التطور والتجدد، وليس ذلك فحسب وإنما ظهور الجبر العربي يرجع إلى الفقه والفقهاء المسلمين⁽²⁾.

وبرز من الجبل علماء كثيرون اهتموا بهذا الجانب من العلم ومن أشهرهم : الشيخ إسماعيل الجيظالي الذي ألف فيه كتاباً عرف باسم: (كتاب الحساب وقسم الفرائض)، جمع فيه ألباز الفرائض للدرجيني، كما اهتم بالعمليات الحسابية وخصوصاً بالكسور تسهياً لمعرفة نصيب الوارثين حسب الشرع الإسلامي⁽³⁾. وللأسف لم أعر على علماء في هذه الفترة اهتموا بهذا الجانب، ربما لم تهتم المصادر الإباضية بذكرهم، إلا أنهم من غير شك موجودين على كل حال، بالإضافة إلى علوم وفنون أخرى كان يتعاطاها العلماء المسلمون في المراكز الحضارية الكبيرة كبغداد ودمشق، والقاهرة، والقيروان، وفاس ومراكش، لم تتطرق إليها تلك المصادر مثل: الطب، والهندسة، والجغرافية، والكيمياء، وغيرها.

(1) - ابن خلدون، المقدمة، ص 447.

(2) - محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 99.

(3) - الصادق بن مرزوق، المرجع السابق، ص 52.

2. الوظائف العامة للعلماء:

من خلال البحث والدراسة في موضوع الحياة العلمية وتتبع سير العلماء والمشائخ في جبل نفوسة تبين لي أن الطلاب فور الإنتهاء من مراحل تعلمهم، أنهم يمتحنون بعض الوظائف التي لها أهمية في المجتمع سواء كانت إدارية أو قانونية أو سياسية أو تعليمية، وكل هذه الوظائف لها علاقة مباشرة بطلب العلم، ولا يمكن لمنفذوها من الإتيان بما على وجهها الصحيح ما لم يتدرجوا في مسالك ومراتب التعلم.

والغرض من تناولي لهذا الموضوع هو معرفة مدى تأثير الجانب العلمي والثقافي على مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مجتمع جبل نفوسة؟. ولكن السياق يطرح السؤال التالي: هل للدولة أو للسلطة المركزية دور في تحديد وظائف أولئك المشائخ والعلماء؟ أم أن هذه المهمة موكولة إلى والي الجبل؟ أم هي متروكة للشخص نفسه؟ ومن ناحية أخرى ما هي الوظائف التي عرفها علماء ومشائخ الجبل ومارسوها في واقعهم المعاش؟ للإجابة على هذه التساؤلات الهامة يمكن الرجوع إلى المصادر والمخطوطات التاريخية، والتي تطرق بعضها في فقرات بسيطة، ومعلومات شحيحة عن بعض المهن والوظائف التي عرفها مجتمتع الجبل ومنها:

1. الولاية: (الوالي).

لم تولي المصادر اهتمام بالوظائف كما اهتمت بهذه الوظيفة، فالمعلومات التي وصلتنا عنها تفوق أية وظيفة أخرى، كما اهتمت المصادر بذكر عدة أسماء

لشخصيات تولوا إدارة شؤون هذه الوظيفة — سنتطرق إليهم فيما بعد — كما نود الإشارة إلى أن هذه الوظيفة قد مارسها بعض الولاة إلى جانب وظائف أخرى في نفس الوقت مثل: القضاء والحسبة.

والولاية من الوظائف الإدارية المهمة والحساسة، فهي تمثل أعلى وظيفة (سياسية) في المجتمع، وبذلك صارت محل صراع ونزاع، وخاصة مع بعض المنشقين⁽¹⁾ الذين عارضوا الدولة الرستمية. وكانت من صلاحيات الإمام الرستمي تعيين الولاة على الأقاليم، ومن بينها جبل نفوسة، والوالي له في بعض الأحيان صلاحية تعيين العمال على العمالات ويؤكد ذلك ما جاء في رسالة الإمام عبد الوهاب للجبل بعد وفاة الوالي السمع بن المعافري، عندما قال: " فليرجع كل عامل استعمله منكم السمع على عمالته التي ولي عليها"⁽²⁾. ونلاحظ أحياناً ترك الإمام الرستمي الحرية لأهالي الجبل إختيار الوالي المناسب لهم، كما فعل الإمام عبد الوهاب بعد وفاة واليه أبا الحسن أيوب بن العباس، فكان إختيارهم لعبد الحميد الجناوني⁽³⁾ وبعد سقوط الدولة الرستمية انتقلت هذه المهمة لأهل الحل والعقد من شيوخ وعلماء الجبل، وصاروا يرشحون من يرونه مناسباً ليكون والياً عليهم. ولهم الحق أن يعزلوا الوالي متى شاءوا، وحتى بدون سبب⁽⁴⁾، وأحياناً يطالب الأهالي من والي الجبل أن يعين عليهم من يسير لهم أمورهم مثلما فعل أهالي

(1). مثال للمنشقين في جبل نفوسة عن الدولة الرستمية: خلف بن السمع المعافري، وفرج بن نوح المعروف بنفاث، ذكرناهم سابقاً راجع ص .

(2). الشماخي، المصدر السابق، ص181.

(3). المصدر نفسه، ص182.

(4). هناك بعض الولاة والعمال تم عزلهم حسبما تذكر المصادر التاريخية الاباضية دون حدث أي دون سبب ومثال ذلك: الوالي أبي عبد الله بن أبي عمرو. وأبو محمد بن زارود التفرميني.

بني زمور⁽¹⁾ عندما طلبوا من الشيخ أبو الربيع الملوثائي أن يجعل عليهم عاملاً، ويبدو أن هذا الطلب جاء نتيجة حاجة قانونية، ويفسر ذلك ما قاله أحد رجال أهل زمور لأبي الربيع: " إلى متى يطلقن نساء بني زمور تلحية لحقوقهن "⁽²⁾ وهذا يبين أن من صلاحيات والي الجبل تعيين العمال على عمالات الولاية. ومن أولويات المعايير المطلوبة فيمن يتولي هذه الوظيفة هي الإلتزام الديني والعلم، ونذكر أبرز من تولى هذه الوظيفة حسب التسلسل الزمني:

أولاً: الولاة الذين تولوا زمن الدولة الرستمية:

السمح بن أبي الخطاب: (171هـ/222م) أول الولاة في زمن الأمام عبد الوهاب الذي خلفه على الولاية. وجاء بعده أبو الحسن أيوب بن العباس: (حي بعد سنة 204هـ). ثم عبد الحميد أبو عبيدة الجناوني: (ت بعد 211هـ/826م). الذي تولى زمن عبد الوهاب واستمر إلى زمن ابنه أفلح بن عبد الوهاب⁽³⁾ وفي ولايته ثار خلف بن السمع⁽⁴⁾ وتورد المصادر التاريخية أن أبا عبيدة الجناوني لم يقبل منصب الولاية في بداية الأمر واعتذر بضعفه فرد عليه

(1) . بني زمور: من القبائل الأمازيغية التي كانت تستقر في العصر الوسيط نواحي مدينة جادو، وقد كانت موجودة منذ نهاية القرن الثاني هـ/ الثامن م. تاديوش، تسمية شيوخ جبل نفوسة، المرجع السابق، ص 119.

(2) . البخطوري، المصدر السابق، ورقة 29.

(3) . أفلح بن عبد الوهاب: ثالث الأئمة الرستمين (208 – 258 هـ) تولى الحكم بعد وفاة أبيه وكان معروفاً بالذكاء والخصافة، وهو من العلماء المشهورين، وله قصيدة طويلة بحث فيها على طلب العلم . ينظر: سليمان الباروني، المصدر السابق، ص 166 – 190.

(4) خلف بن السمع: (221 هـ / 826 م)، وهو حفيد الإمام أبي الخطاب، وابن السمع أول والي على الجبل، ثار على الدولة الرستمية زمن الإمام عبد الوهاب وحاول الاستقلال بالأجزاء الشرقية من الجبل ناحية يفرن وما جاورها. ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 68 – 76.

الإمام: إن كنت ضعيفاً في المال فبيت مال المسلمين يقويك وإن كنت ضعيفاً في البدن فالحق يقويك، وإن كنت ضعيفاً في العلم فعليك بأبي زكرياء اللالوتي فاستعن به في أمورك، بينما يورده الشماخي: (أبو زكريا يصلين التوكيتي)، وقبل أن يوافق بشكل رسمي رأى ضرورة استشارة إحدى عجائز الجبل! ⁽¹⁾ كانت معروفة بالعلم والدين والصلاح في أمر قبوله للولاية من عدمها فأشارت عليه بالموافقة في حالة عدم وجود من هو أفضل منه، ورأى في نفسه الكفاءة في قبول الأمر ⁽²⁾. ويتضح خوف الوالي أبي عبيدة من تحمل المسؤولية وأعباء الحكم وذلك ما اقتضته طبيعته الدينية " فأحسن السيرة في جميع أموره " ⁽³⁾، ولم يخش في سبيل إحقاق الحق من أحد ولو كان الإمام الرستمي نفسه، وتشير بعض المصادر المواقف الجريئة لأبي عبيدة وذلك: " أن الفرس تزوجوا إماء بني زمور في مدة إقامة الإمام بنفوسة، فلما أرادوا الرجوع إلى تيهرت حملوا أولادهم منها، فقال أبو عبيدة لبني زمور: خذوا عبيدكم فأنزلوهم عن السروج " ⁽⁴⁾.

وبعد وفاة أبو عبيدة تولى العباس بن أيوب: (حي في 208هـ/823م).
زمن الإمام أفلح ويقول الشماخي ليس على الجبل فقط وإنما على ما أدركه من البلاد يقصد المناطق المجاورة للجبل. ومن ولاية الجبل الشيخ مدمان الهرطلي: ق:
(3هـ/9م). تولى الحكم في عهد الإمام عبد الوهاب الرستمي، الذي اختبره الإمام فبعث إليه كتابين في الأول عزله وفي الآخر تثبيته، وأمر أن يقدم له كتاب

(1). يقال أن العجوز المعنية هي: نانا مارن، ويوجد مسجد بقرية جماري بجادو ينسب إليها زرتة عام 2004م.
(2) الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 28 — 29؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 70 — 71، الشماخي، المصدر السابق، ص 183.
(3) . الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 29.
(4). الشماخي، المصدر السابق، ص 180.

العزل أولاً ليرى ردة فعله، ثم يقدم له الكتاب الآخر في حالة قبوله العزل فلما قرأه، قال: رحم الله الإمام قد علم أني لست أهلاً لهذا المقام، ثم قرأ الكتاب الثاني، فقال: رحم الله الإمام قد علم أن ليس أحد يحل مكاني⁽¹⁾. ومن الذين تولوا الولاية وكان زاهداً فيها الشيخ أبو ذر أبان بن وسيم الويغوي: ق: (3هـ/9م)، ودعا الله أن لا يمكث طويلاً في هذا المنصب، فلم يتجاوز السبعة أشهر⁽²⁾ في الولاية حتى توفي رحمة الله عليه.

ومن الولاة المشهورين الشيخ إلياس أبو منصور التندميرتي: الذي تولى ولاية الجبل خلال عهد الإمام أبي اليقظان ثم في عهد الإمام أبي حاتم، وهو الذي هزم العباس بن أحمد ابن طولون الذي حاول السيطرة على بلاد أفريقية⁽³⁾. وهو الذي أنهى قضية الخلفية.

أما الوالي أفلح بن العباس: (حي في 283هـ/896م). ففي ولايته قامت الحرب مع الأغالبة بمانو. تولى زمن الإمام أبي اليقظان، وأقيل بعد معركة مانو (283هـ/896م)، ثم تولى مرة أخرى.

وبعد معركة مانو التي تعد كارثة بالنسبة للحياة العلمية في الجبل وذلك لموت عدد كبير من العلماء قدره البعض بحوالي أربعمئة عالم⁽⁴⁾ وأول والي علي الجبل بعد تلك الواقعة: أبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي: (حي بعد 283هـ/896م). تولى باتفاق مشائخ الجبل.

(1). مقر بن محمد البغطوري، سيرة أهل نفوسة، مخطوط، ورقة 16، مكتبة سالم بن يعقوب، جربة، بدون تصنيف.

(2). الشماخي، المصدر السابق، ص 216 – 217.

(3). الشماخي، المصدر السابق، ص 225.

(4). سليمان الباروني، المرجع السابق، ص 280 – 284.

ثانياً: الولاية الذين تولوا بإتفاق مشائخ الجبل:

بعد سقوط الدولة الرستمية صار تعيين الولاية على الجبل بإتفاق أهل الحل والعقد، وهم العلماء والمشائخ، حيث قاموا بتولية كل من: أبو يحيى زكريا الأرجاني: (ت: 325هـ/936م). كان بعض الأهالي يخشون منصب الولاية لما فيه من مسئولية وأمانة، وعندما تولى أبو يحيى الأرجاني: "جعلت أمه وأخته تبكيان وتقولان له: أحرقوك وشووك يا حبيبي"⁽¹⁾ وما قالوا ذلك إلا خوفاً عليه من فتنة الحكم، إلا أنه سار سيرة حميدة بين رعيته وليس هذا فحسب فحتى الطوائف الأخرى كان يعاملها معاملة حسنة، فذات مرة زاره جماعة من اليهود ليباركوا له في مولوده الجديد وقدموا له أربعون ديناراً هدية المولود فأبي أن يأخذها منهم فتعجبوا من ورعه وقالوا: " ما رأينا مثل هذه البلاد بلدة لا يأخذ سلطانها ولا يطمع في أموال الناس"⁽²⁾.

أبي عبد الله بن أبي عمر: (حي في: 325هـ/936م). وهو حفيد إلياس أبو منصور، كانت ولايته فترة قصيرة ثم أقيل عن الحكم. أبو يحيى زكريا يحيى الأرجاني: (حي بعد عام: 340هـ/951م). دامت فترة ولايته حوالي ستون عاماً ومات بعد عودته من إحدى المعارك ضد العبيدين، وأغتاله رجل من قرية طرميسة.

أبو يحيى سليمان بن ماطوس: (حي في 283هـ/896م). أصله من مدينة شروس، وكان حازماً في ولايته ويقول: " أنا إن لم أقدر على الكل تركت

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 151.

(2). المصدر نفسه، ورقة 152.

الكل" (1)، وفي ذلك إشارة إلى عدله وإنصافه بين الناس، وفي حالة عدم تمكنه من ذلك فما عليه إلا ترك الولاية لمن هو أهل لها. أبو محمد زيد بن أفضيت اللخمي: (عاش ما بين: 300 – 350هـ / 912 – 961م). تولى بإتفاق مشائخ وعلماء الجبل، واشتغل بالقضاء وكانت إقامته بمدينة جادو.

أبو عبد الله بن جلداسن اللالوي: (عاش ما بين: 300 – 350هـ / 912 – 961م). أبو زكريا يحيى بن سفيان: (حي ما بين: 350 – 400هـ / 961 – 1009م). يرجع أصله لمدينة لالوت (نالوت حالياً). أبا سليمان التدميري: (ق: 4هـ / 10م). يرجع أصله لقرية تندميرة، وتنازل عن الحكم لأبو عمرو الشروسي طواعية.

أبو عمرو ميمون الشروسي: (حي ما بين: 350 – 400هـ / 961 – 1009م). يرجع أصله لمدينة شروس، وفي عهده شاع العدل والأمن في المنطقة، وذلك لشدته في الأمر والتهبي ومحاربه للقساد ويروي: أنه سمع بمجلس للخمر في الفحص (2) ويعد عنه بحوالي ستة أميال قمضي إلى هناك ومتعهم من شرب الخمر واحتجزهم، وكانت له علاقات ممتازة مع بلاد السودان الغربي، وفي ولايته جاز الجبل تجار من التكرور وتعاملوا مع تجار وأهالي الجبل.

أبو الفضل سهل: (ق: 4هـ / 10م). تمكن من إعادة الهدوء للجبل بعد سيطرة القبائل الأخرى عليه ومنها قبيلة زناتة، كما أصلح الأوضاع والقساد في مدينة

(1) - المصدر نفسه، ورقة 81

(2) - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 81 – 82

غدامس- أبو محمد عبدة بن زارود التغميني: (أوائل ق4هـ/10م). يرجع أصله لتغرين، لم يوفق كثيراً في الحكم فتنازل لأبو إسحاق الإشاري بكل طواعية، عندما أشار عليه أبو هارون بأنه لا يصلح لهذه الأمور ولا الناس يصلحون له وما عليك إلا اللحاق ببيتك والاهتمام بشئون عبادتك، وكان رد أبو محمد التغميني لأبي هارون: رزقك الله الأجر⁽¹⁾.

أبو إسحاق الإشاري: ق: (4هـ/10م). يرجع إلى قرية إشارن (بالرجمان حالياً). وهو من العلماء الذين وظفوا علومهم في السير بين الناس، ومن أقواله المشهورة لأهل إشارن: "أضمنوا لي أربعاً أضمن لكم أربعاً: الصلاة، والآذان، وحفظ الخط، وتعليم القرآن، يسلم مسافرکم، وينمو أرزاقکم، وتطفأ نار الحرب عنکم، ويرتفع القحط"⁽²⁾. وتجده في هذا النص أن الشيخ أبو إسحاق يركز على تعليم القرآن الكريم، والكتابة وهي حفظ الخط، بمعنى آخر هو يربط أهمية العلم بسلامة ونجاح الناس في حياتهم وإستقرارها. كما نجده في موضع آخر يبحث الناس على الصلاة في المساجد ويقول لأهل قريته: "يأهل إشارن، صرتم إلى إشارن"⁽³⁾ عندما لا يجد مصليين بالمسجد.

أبو هارون موسى الملوشتائي: (أواخر ق: 4هـ/10م). أصله من قرية تملوشايت، وعندما أسندت له وظيفة الوالي أستقر في قرية إيبانين التي كثيراً ما كان يتردد عليها قبل ولايته. أبو الربيع سليمان الملوشتائي: ق: (5هـ/11م). من مدينة تملوشايت، وهو نجل الوالي السابق. هارون بن سليمان بن أبي هارون موسى ابن هارون الياروني: ق: (5هـ/11م). سليل عائلة الياروني المشهورة

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 166.

(2). الشماخي، المصدر السابق، ص 247.

(3). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 71. وإشارن: كلمة أعازيقية ومعناها: الأظافر.

بالحكم والعلم بجبل نفوسة خلال العصور الوسطى. أبو زكريا يحيى بن إبراهيم:
ق: (5/11م). إبراهيم بن أبي يحيى زكريا الباروني: (حي في عام:
722هـ/1322م).

2. القضاء:

تؤكد الدراسات الإجتماعية والتاريخية أن الإنسان لا يستطيع العيش بمفرده وأنه مدني بطبعه⁽¹⁾، وهو ميل إلى لقاء الناس والاجتماع بهم والتأنس معهم وكل ذلك يتم في إطار المجتمع، المتكون من مجموعة بشر مختلفون في الطباع والأخلاق، وهذا الاجتماع من شأنه يؤدي أحياناً إلى الصراعات بفعل الاحتكاك وتضارب المصالح والحريات، وهنا يكون المجتمع أي مجتمع في حاجة إلى قضاء ليفصل في المنازعات والخلافات، وبذلك رأي أهالي الجبل الحاجة ماسة إلى وظيفة القاضي، سيما القاضي الذي يقضي في الأحكام الشرعية والجنائية بين الناس، ويحاول أن يصل إلى حلول شرعية في الفصل بين المتخاصمين في شتى معاملاتهم من: أحكام الدماء، والديات، والنكاح، والموارث، وسائر التراعات بين الخصوم.

ويرجع للإسلام الفضل في ظهور هذه الوظيفة الحساسة، ولكن ما علاقة العلم وهذه الوظيفة؟ وكيف يكون لها أثر إيجابي في ترسيخ قيم الحق والعدل؟ إن القاضي التريه ينبغي أن يتسم بعدة خصائص أهمها العدل، وأول الإشارات الواردة في المصادر التاريخية للقضاء بجبل نفوسة، هي ما ذكره المؤرخ ابن الصغير: "وكانت

(1). ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص48.

نفوسة تلي عقد تقديم القضاة⁽¹⁾ ولو أن نفوسة المعنيون في هذا النص ليسوا مقيمين بجبل نفوسة، وإنما إقامتهم بتاهرت، إلا أنهم منحدرين من الجبل. وقادمون من تلك البيئة الحضارية. وتبين أيضاً أهمية النفوسيين في الدولة الرستمية من ناحية توليهم مناصب حساسة كالقضاء وغيرها!. وللأسف لم يذكر لنا ابن الصغير شخصيات معينة تولوا منصب القضاء في تاهرت ترجع أصولهم لجبل نفوسة.

وتروي لنا كتب التاريخ روايات ظريفة تبين الكيفية التي يختار بها أهالي الجبل قضاتهم، ويروي لنا المؤرخ الوسياني أن أناساً: " أرادوا إستقضاء رجل فقالت لهم عجوز أبعثوه لي، فبعثوه إليها، فأخذت عجينةً فعملت رغيفاً فجعلته في المقلاة فخرجت عنه وتركته والرغيف في المقلاة على النار وترك الرغيف ولم يقلبه حتى انحرق فرجعت ووجدت رغيفها قد انحرق، فقالت: ليس بصاحبكم رجل متكبر مضيع أو عاجز مهين وتركوه، ثم أرادوا آخر فارسلوه إليها فجربته أيضاً بما جربت به الأول، فقام إلى الرغيف فجعل يقلبه حتى نضج فوجدت رغيفها نطيجاً فأخبرتهم بذلك فاستقضوه"⁽²⁾. من خلال هذا النص نستنتج الوضع الاجتماعي والعلمي الذي اكتسبته المرأة في مجتمع جبل نفوسة، بالإضافة إلى حكمتها وحسن تدبيرها.

ومن علماء الجبل المشهورين في القضاء، الشيخ القاضي عمرو بن فتح، ق: (3هـ/9م)، وكان قاضياً في ولاية الشيخ إلياس أبو منصور التندميرتي، وخلال عهد الإمام عبد الوهاب الرستمي، وعرف عمرو بالحزم وعدم التهاون في قضاائه بين الناس، حتى قال ذات يوم للوالي أبو منصور: " إن لم تأذن لي بثلاثة

(1). ابن الصغير، المصدر السابق، ص 63.

(2). الوسياني، المصدر السابق، ورقة 16.

فخذ خاتمك يا إلياس: مانع الحق يقتل، والطاعن في دين المسلمين يقتل، والجاسوس يقتل"⁽¹⁾. إلا أن من طبع الإنسان التسرع أحياناً فيورد البغطوري رواية أخرى يظهر فيها تسرع القاضي عمروس والوالي أبو منصور بالقصاص من رجل جاء فيه كتاب من عامل قرية تيمتي⁽²⁾ بأنه قام بأعمال يستحق عليها القصاص، ولولا تدخل أحد أهالي إيجناون، وهو أبو الليث الجناوني وإيقافهم لضرب الرجل، وقال لهم: أسواد في قرطاس تمرق الدماء، ولما تحروا في الأمر تبين أن هذا الرجل مظلوم وتم إطلاق سراحه⁽³⁾. ونفهم من هذا النص أن بعض الناس كانوا يقفون مع الحق حتى في وجه القضاة والولاة دون خوف أو وجل.

ولاحظت أن وظيفة القاضي كان يمارسها الوالي في نفس الوقت. ومثال ذلك الشيخ أبو الربيع سليمان بن أبي هارون موسى الملو شائي، الذي كان والياً قاضياً في ذات الوقت. فقد قسم يومه بين تلك المهام: " فإذا افترق المجلس اشتغل بالقضاء بين الناس إلى زوال الشمس فيقوم ويشغل بالصلاة"⁽⁴⁾. ومن القضاة الولاة الشيخ أبو يحيى زكريا الأرجاني، وتبين لي أن مدينة جادو هي المكان الذي كان يجلس فيه الشيخ أبو يحيى للقضاء بين الناس ويمكث فيها من أول النهار إلى آخره⁽⁵⁾، وروى عنه: " إذا جلس للقضاء بين الناس يقول: اللهم أعطي الحق لذي

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 62.

(2). تيمتي: قرية من قرى جبل نفوسة كانت آهلة بالسكان خلال العصور الوسطى، وهي اليوم خرائب وأثارها على الحافة الغربية لعين البراهمة (القرية الشرقية في الرجان)، رواية شفوية: الاستاذ إجمد البوجديدي، طرابلس، 2008/1/26.

(3). المصدر نفسه، ورقة 63.

(4). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 27.

(5). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 153.

الحق يا ذا الحق، ولا حجة لمحتج إذا أحتج بلا حق"⁽¹⁾. فهو دائم الإستعانة بالله العظيم ويطلب توفيقه فهو يعلم مدي المسؤولية الملقاة على عاتقه.

3. الحسبة:

كانت وظيفة المحتسب معروفة لدى أهالي جبل نفوسة، وقد مارسوها لما لها من إيجابيات في توفير الأمن والنظام، فالمحتسب على عاتقه تقع مسؤولية مراقبة الأسواق من نظافتها ودقة المكايل والموازين، وتخفيف المتاع والبضائع على الدواب، وبشكل عام القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وللأسف لم تتطرق المصادر المتاحة لهذه الوظيفة بشكل مستفيض، فلم تعطينا أسماء للأشخاص الذين تقلدوا هذه المسؤولية، ماعدا الإشارة لأبو يوسف وجدليش الذي يعد أول من أسندت إليه وظيفة المحتسب بالجبل كما يشير الشماخي لذلك قائلاً: " وكان أمر سوق جادو إليه يأذن لمن يشاء أن يبيع ويمنع من في ماله شبهة"⁽²⁾، وهذا دليل على نجاحه وسمو أخلاقه حتى وثق به الأهالي في وظيفة حساسة لها علاقة بأموال ومصالح المجتمع. ويذكر البغطوري حادثة بسوق جادو مفادها أن رجل جاء "إلى سوق جادو ليبيع غنمه، فسأله أبو يوسف وجدليش، من تكون؟ فرد: أنا ابن فلان من أهل إينتر"⁽³⁾ فسمح له بدخول السوق

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 152.

(2). الشماخي، المصدر السابق، ص 334.

(3). أهل إينتر: من قرى جبل نفوسة وهي اليوم من ضمن قرى مدينة الرحيبات، وهي شمال غرب قرية تمزدا، وتعني إينتر: الجبهة أو المقدمة، أي مقدمة الشيء، وما زالت آثارها ماثلة للعيان، منها مباني القرية وقصر إينتر ماسين، ومسجد الشيخ أبو سليمان الإيتري. رواية شفوية: الأستاذ إحمد البوجديدي، طرابلس، 2008/1/26م.

ومزاولة البيع والشراء، ثم جاء رجل آخر ، فسأله أبو يوسف مثلما سأل به الأول، فقال: أنا ابن فلان من أهل أغل، فنهره الشيخ وقال له: أتبيع حرام أبيك هنا، وطرده من السوق، ففر هارباً والشيخ يلاحقه حتى بلغ ماطس⁽¹⁾. وواضح ما يقوم به المحتسب الشيخ أبو يوسف وجدليش من محاربة الفساد، والضرب على أيدي المفسدين بكل قوة وحزم لكي ينتشر الخير والصلاح في المجتمع.

وأحياناً نجد تداخل بين عمل الوالي والمحتسب، فمثلاً ما قام به الوالي أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني من سلوك يخص المحتسب عندما : " حجر على أهل إجنان خرط زيتونهم إلى وقت معلوم، فكسر بعضهم الحجر، فأدبه، قال: أتضربني على مالي يا بن فحمس، قال له: حاش لله أن أضربك على مالك وإنما ضربتك على الحق"⁽²⁾. وبالفعل كان الوالي الجناوني لا يهدأ له بال إلا بعد أن يطمئن بخروجه إلى غابة إجنان ويقوم بما يقوم به أهل الحسبة من تفقد للأشجار وأملاك الناس ويمنع الفساد، وخاصة إذا علمنا أن : " عين إجنان تدور على اثني عشر ألف زيتونة"⁽³⁾، ويرى في نفسه هو المسئول الأول عنها.

(1) . ماطس: من قري جبل نفوسة وهي واقعة بالقرب من مدينة جادو.

(2) . المصدر نفسه، ص179.

(3) . الشماخي، المصدر السابق، 189.

3. الإنتاج العلمي (المؤلفات) :

من نتائج الحركة العلمية والثقافية في جبل نفوسة بمختلف مستوياتها ومنذ القرن: (2هـ/8م)، خلفت/ تركت كما هائلاً من الإنتاج العلمي في صورة مؤلفات ومصنفات شملت نواحي عدة من العلوم والفنون المعروفة وقتذاك لاسيما العلوم الدينية من فقه وتفسير وعلم كلام، بالإضافة إلى الدراسات اللغوية والأدب ومؤلفات في السير والتاريخ والفلسفة والحساب .

واهتم علماء الجبل بالكتاب تأليفاً ونشراً، ومن الأقوال المأثورة في الاهتمام بالكتب قولهم : " ومن حمل كتاباً إلى بلاد لم يكن فيه خير من حمل ألف حمل دقيق فتصدق بما عليهم "(1). والسياق هنا يطرح بعض التساؤلات التالية: ما هي المواد التي استخدمها علماء ومشائخ الجبل في صناعة الكتاب؟ والورق المستعمل هل هو محلي الصنع؟ أم أنهم كانوا يستوردونه من خارج الجبل؟ فإذا كان كذلك فمن أين؟

ويمكن أن نتحدث عن أهم الكتب حسب تسلسل زمن تأليفها وذلك لكي تتضح ظروف المؤلف وتأليفه، والأسباب التي دعت إلى نوعية وإختصاص ذلك النشاط، والنتائج المترتبة على عموم المؤلفات، وملاحظة تطور التأليف عبر القرون.

أهم مؤلفات القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي :

يبدو أن الإتجاه نحو التأليف في جبل نفوسة بدأ منذ القرن الثالث الهجري، وهو بدون شك أمر طبيعي يتماشى مع المنطق التاريخي للمنطقة، لإعتبار القرون السابقة وخاصة (القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) فترة تأسيس وبناء لمختلف

(1) الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 95 .

عناصر ومقومات الحياة العلمية (ترسيخ العلم والتعلم ، تشييد المساجد والمدارس وغيرها)، لكي يتمكن المصنف للعلوم من الإنتاج والعطاء الفكري، وما يؤكد ذلك أن المصادر لم تشير إلى ظهور تأليف قبل القرن الثالث الهجري .

من أقدم المؤلفات التاريخية في جبل نفوسة، كتاب: (بدء الإسلام وشرائع الدين)، لمؤلفه: الشيخ لوأب بن سلام الأعرممياني (ت بعد: 273هـ—887م)، يرجع أصله إلى قرية أعرمميان. وقام كل من الشيخ سالم بن يعقوب والمستشرق الألماني شفارتز بتحقيقه وطبعه سنة 1975م.

وكذلك من مؤلفات الجبل في تلك الفترة التاريخية المبكرة، كتاب للشيخ نفاث قرع بن نصر، أحد علماء الجبل خلال القرن (3 هـ / 9 م)⁽¹⁾، لم تذكر المصادر التاريخية اسم الكتاب، ويبدو أن سبب تأليفه لهذا الكتاب لنشر أفكاره الفقهية، والسياسية، والكلامية، التي عارض بها مذهب الدولة الرستمية، وترى بعض المصادر التاريخية السبب في معارضته وإعلان عصيانه طمعه السياسي في الوصول إلى منصب الولاية على الجبل، إلا أنه فشل في ذلك المسعى⁽²⁾. فأخذ يثير المتاعب للدولة الرستمية بالطعن في أهلية وسلوك أئمتها⁽³⁾، فأستخدم كل الوسائل المتاحة ومن بينها التأليف لإنجاح مطلبه، وتعميم أفكاره .

وفي نفس الفترة الزمنية يلاحظ ظهور كتاب للشيخ مهدي الويغوي النفوسي (ق 3 هـ / 9 م)، ألفه باللغة الليبية القديمة، وهو في مجال علم

(1) . الوارجلاني ، المصدر السابق ، ورقة 33 .

(2) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 77 — 83 .

(3) الوارجلاني ، المصدر السابق ، ورقة 33 .

الكلام ، وسبب تأليفه للرد على آراء الشيخ تقات ابن نصر الفكرية، ومن المعروف عنه في المصادر التاريخية أنه : " أشتهر عنه أنه أحد من صد مكابيد تقات بن نصر النفوسي"⁽¹⁾. ويبدو أن أحد أساليب صده هو تأليف الكتب ونشرها .

ويبدو أن حركة تقات بن نصر شكلت نوعاً من الخطورة والتأثير على الدولة الرستمية، إلى درجة أن يقوم بالرد على مؤلفاته عدداً من العلماء فإلى جانب ردود الشيخ مهدي الويعوي المذكور سابقاً ، نجد عالماً آخر يقوم بالرد عليه وهو الشيخ أبو القاسم سدرات البغطوري، في صورة أجوبة رداً على تساؤلاته وهي نتيجة أتاحتها الظروف العلمية السائدة حينذاك . فتنافس وحوار الأفكار أعطى مجالاً خصيباً وحيوياً لمزيد من المؤلفات المتعددة والمتنوعة في مختلف المجالات . ويلاحظ أن بعض الكتب ظهرت للرد على كتب وأفكار أخرى مما يعني دوام النشاط الفكري ، وغلجان الساحة الثقافية .

وكذلك من مؤلفات الجيل ما تركه العلامة عمروس بن فتح المساكيني (ت 283 هـ / 896 م)، من أهمها : كتاب (أصول الدينونة الصافية) المعروف بـ (العمروسي)⁽²⁾، وتشير المصادر إلى سبب تأليفه لهذا الكتاب بناء على طلب

(1) الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 314 ؛ الشماخي ، المصدر السابق، ص 170 .

(2) يرى الدكتور إحسان عباس في كتابه: تاريخ ليبيا، للرجع السابق، ص112، أن هذا الكتاب ألفه صاحبه في مجال الفقه، إلا أن (العمروسي) يعد من ضمن كتب التراث الكلامي عند الإباضية، وهذا ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية: أن أحد علماء الكلام الإباضيين بقران بحث للشيخ عمروس يطلب منه أن يؤلف له كتاباً في الكلام والأصول، فألف له الكتاب المعروف بالعمروسي، وجميع الكتب المنسوبة للشيخ عمروس لم يصلنا منها سوى كتاب واحد فقط وهو كتاب: (أصول الدينونة الصافية)، وأظنه هو نفسه كتاب العمروسي المذكور، لأن أصول الدينونة في مجال علم الكلام، للمزيد انظر: البغطوري، المصدر السابق، ورقة133؛ والشماخي، المصدر السابق، ص229.

أحد مشايخ فزان وهو الشيخ عبد الخالق الفزاني ويبدو أنه من المهتمين بعلم الكلام⁽¹⁾.

وهذا التأليف يكشف عن جانب آخر في إطار علاقات جبل نفوسة العلمية ومدى تواصله الثقافي مع المناطق الأخرى من حيث تبادل الكتب ونشرها — كما أشارت الدراسة في عدة مواضع — . ويعد هذا الكتاب في مجال أصول الدين ، أبرز فيه عمروس ثلاث نقاط رئيسية وهي : موقف الإباضية من المؤمنين والمشركين والمنافقين ، مواطن الخلاف بين الفرق الإسلامية مثل المرجئة⁽²⁾ والمعتزلة، والصفيرية⁽³⁾ ، مع ذكر الأدلة باختصار ، تحليل مالا يسع جهله طرفة عين ، وما يسع جهله مع الإيمان والعمل حتى يحل وقته⁽⁴⁾ . كما ألف رسالة أخرى في الرد على الناكثة⁽⁵⁾ وأحمد بن الحسين . والتأليف الثاني يأتي في إطار متابعة ما يجري على الساحة الفكرية الإسلامية ومحاولة الإسهام فيها بمصنفات وكتب

(1) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 133؛ والشماخي، المصدر السابق، ص 229؛ أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 139.

(2) . المرجئة: فرقة من الفرق الإسلامية التي ظهرت في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي، ومن أسسها أنه لا يضر مع الإيمان معصية، وأن طاعة الإمام الجائر واجبة، فلا ثورة ولا خروج، ويرجون النجاة لكل المؤمنين يوم القيامة، وإن ماتوا على المعصية ولذلك سموا بأهل الوعد . ينظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 332 — 333 .

(3) . الصفيرية : فرقة كبيرة من الخوارج، أتباع زياد بن الأصفر، انفصل عن الأزارقة بسبب قضية الإستعراض (قتل أطفال المسلمين المخالفين لهم ونسائهم)، أسس الصفيريون دولة بني مدرار بسجلماسة سنة 155 هـ ، ينظر: إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 342 .

(4) . عمروس بن فتح المساكني، أصول الدينونة الصافية، مخطوط، ورقة 1 — 11 . مكتبة الاستاذ صلاح الدبلي ، طرابلس ، بدون تصنيف .

(5) . الناكثة: إن هذه الفرقة لها عدة مسميات، في الأساس هي فرقة النكار الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب الرستمي سنة 171 هـ ، على رأسهم يزيد بن فندين وهو الافتراق الأول للإباضية ، كما يطلق عليهم : النجوية، والملحدة، والشعبية، ينظر : إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 280 .

أخذت مكانها في المكتبة العربية الإسلامية . وتشير المصادر إلى عزم عمروس لتأليف كتاب فقهي أراد أن يتبع فيه منهج جديد في التأليف عما هو متعارف عليه وقتذاك إلا أن وفاته كانت هي الأسبق⁽¹⁾ .

كما ألف الشيخ أبو يحيى سليمان بن ماطوس من علماء مدينة شروس خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، كتاباً في أصول الدين لم تذكر المصادر اسم الكتاب ، وهو من العلماء الذين تمتلئ بطون الكتب بأقوالهم وآرائهم وفتاواهم . وهذه الملاحظة تتكرر مع أكثر من عالم لم نعثر له على مؤلفات بعينها وإنما توجد آراؤه مثبتة في كتب أخرى . كما ألف ابن ماطوس كتاب آخر في الشريعة عرف بـ (كتاب ابن ماطوس)، كان الإمام والخادم يتدارسونه عند خروجهم لجمع الخطب، وجلب المياه.

أهم مؤلفات القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي :

يتضح تطور التأليف في هذا القرن حيث ظهر التأليف الجماعي للمؤلفات ، يلاحظ هنا إسهام بعض علماء الجبل بالاشتراك مع علماء آخرين من خارج الجبل في تأليف الموسوعات الفقهية (الخاصة بالعبادات والمعاملات والأحكام)، وكانوا الرواد في ذلك الأمر⁽²⁾ وعرفت تلك الموسوعات في المصادر التاريخية باسم (الديوان) ومنها : (ديوان الأشياخ) و (ديوان العزابة)، وقام بتأليف الأول سبعة علماء في غار اجماج بجرية. ومن ضمن أولئك العلماء هناك عالم من جبل نفوسة وهو أبو زكريا يحيى بن جرناز اللالوتي النفوسي ، ويرجع نسبه إلى مدينة

(1) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 131 ؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2 ، ص 321 .

(2) . محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3 ، ص 388 – 389 .

لألوت (نالوت) ، وشارك في هذه الموسوعة كما أشار لذلك الشماخي قائلاً : " ومنهم أبو زكرياء يحيى بن جرتاز النفوسي وكان من جملة أصحاب الغار وممن ألف في الديوان "(1). وأن هذا الديوان ألفه علماء من أصول مختلفة منهم من جبل نفوسة ومن مزاة ومن جربة ولماية ، وليس كما أورد أحد الباحثين المعاصرين بأن هذا الديوان ألفه سبعة من كبار علماء نفوسة(2).

أما ديوان العزابة الذي يقع في خمسة وعشرين جزءاً ، فقد ألفه ثمانية من العلماء من مختلف الجهات، منهم اثنان من علماء جبل نفوسة وهم : يخلفتن بن أيوب، ومحمد بن صالح المسناني النفوسي، كما أشار إلي ذلك الوسياني : " وذكر أن الشيخ يخلفتن بن أيوب النفوسي ففتح الله له أن صار واحداً من واضعي كتب العزابة ، وهو الذي ألف " كتاب النكاح ومسائل الخالات "(3)، وأما محمد بن صالح فقد ألف كتاب الوصايا(4). وبذلك تتضح مشاركة علماء الجبل في التأليف الموسوعي المبكر مع غيرهم من علماء المغرب الإسلامي.

كما أن للمناخ العلمي دوراً كبيراً بما يجوي من نشاط ثقافي وبروز مسائل ومشكلات جديدة سواء كانت فقهية أو مدنية (معاملات) ، نتيجة للتطورات الاجتماعية والاقتصادية ، وتشابك المصالح بين أفراد المجتمع ، تقف جميعها تتحدى فكر وذهن الفقيه العالم لكي يعطيها حلولاً وفتاوى نابعة من الشرع وبما يتماشى مع أعراف المجتمع ، وهذا الجو يتفاعل فيه العلماء فيما بينهم ويشاركونهم في ذلك طلابهم النابغون فظهرت كتابات في صورة أجوبة على تساؤلات مطروحة أو

(1) . الوسياني، المصدر السابق، ورقة 54 – 55 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص 402

(2) . أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص 168 .

(3) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 269 – 270 .

(4) . الدرر جيني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 456 .

مسائل نازلة ما يعرف بـ(النوازل) ومن نماذج تلك الأجوبة في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي : أجوبة الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون إلى تلاميذه منها أجوبة لأبي محمد عبد الله المجدولي ، ولأبي زكرياء يحيى الباروني .

أهم مؤلفات القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي:

أجوبة أبي زكرياء يحيى الجناوني لداود أبو سليمان بن هارون، وأجوبة داود بن هارون لأبي عبد الله محمد بن أبي زكرياء.

كما ظل الخلاف الفكري من العوامل التي نشطت حركة التأليف في الجبل، وغيره من المناطق. وتلك سنة طبيعية في المجتمعات البشرية ، ولكي يدافع أصحاب الآراء عن صحة آرائهم استخدموا علم الكلام الذي حفز العلماء على التأليف ووضع الشروح أو الاختصارات، ومنها على سبيل المثال: كتاب المسائل لأبو سليمان داود بن هارون. كما أسهم أبو زكرياء يحيى بن الخير الجناوني في هذا الصدد بمصنفات منها: رسالة عقيدة نفوسة، وهو مختصر تعليمي استخدم للتدريس في مدارس الجبل، وله كتاب الوضع في الأصول والفقه ومن الملاحظ أن المصادر نسبت هذا الكتاب لعدة مؤلفين وهم: أبو زكرياء الجناوني وأبي زكرياء الجادوي، وأبي زكرياء يحيى بن إبراهيم الباروني، والأرجح أن مؤلفه هو أبو زكرياء الجناوني، وهو ما ذهب إليه أبو القاسم البرادي⁽¹⁾، الذي أهتم بمؤلفات الجبل فمن المؤكد أن تكون له مصادره الوثيقة، حيث درس في جبل نفوسة على يد الشيخ عامر الشماخي .

(1) - البرادي ، الجواهر المنتقا، ص 219 .

ومن مؤلفات أبي زكرياء يحيى الجناوني : (كتاب الوضع) وهو مختصر في الأصول والفتنه، حققه الشيخ أبو اسحاق إبراهيم أطفيش، وطبع عدة مرات، كما عمل الشيخ أبي ستة محمد بن عمر حاشية على كتاب الوضع. و(كتاب الرهن)، و(كتاب النكاح)، و(كتاب الأحكام)، و(كتاب الصوم). وكان أهالي الجبل يعتمدون على كتب الشيخ يحيى الجناوني حفظاً وفتياً، لسلاسة أسلوبه ولأنها مفيدة في التوحيد وفقه العبادات والأحكام، أودع فيها الراجح من الأقوال، وربما يذكر فيها الخلاف وكتبه مفيدة في الأحكام⁽¹⁾. كما ألف الشيخ أبو عبد الله محمد الفرستائي العديد من الكتب خلال هذا القرن (5/11م)، وأشار لذلك المؤرخ أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بقوله: "وله في كل فن تآليف كثيرة"⁽²⁾، ولكن لم يصلنا منها شيء.

ومن مؤلفات ذلك القرن ما ألفه العلامة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الفرستائي، وفي الواقع أن هذا الشيخ له مؤلفات كثيرة نذكر منها: القسمة وأصول الأرضين⁽³⁾، وكتاب: التوحيد، وكتاب: السيرة في الدماء والجراحات، وكتاب: الديات، وكتاب: أبي مسألة، وكتاب: تبين أفعال العباد، وكتاب: الألواح، وسمى بهذا الأسم لأنه توفي قبل إنجازها وتركه في الألواح، وكتاب: الجنازو. ويعد من ضمن العلماء الذين أشتركوا في تأليف ديوان العزابة، وكانت مساهمته تأليف كتاب: الحيض.

(1). معجم أعلام الإباضية: ؛ والشماخي، المصدر السابق، ص535 – 536.

(2). الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة

(3). طبع هذا الكتاب في ثمانية أجزاء، في سلطنة عمان وبتحقيق الدكتور: محمد ناصر والشيخ بلحاج بكير، وأعيد طبعه في الجزائر، منشورات جمعية التراث.

أهم مؤلفات القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي :

ألف الشيخ أبو موسى عيسى بن عيسى النفوسي (كتاب السؤالات)، وأن الشيخ توفيق بن يحيى الجناوني ألف (كتاب الطهارات)، وهو في مجال العبادات ، كما اهتم بالتاريخ والسير فألف فيها كتاب سماه : (التقييدات)، ومن عنوان الكتاب يبدو أنه قيد فيه معلومات عن سير الأعلام وبعض الأحداث التاريخية على غرار كتب السير المعروفة في الجبل وقتذاك ، إلا أنه من الكتب الضائعة فلم يصلنا . ومن الذين اهتموا أيضاً بالتأليف في المجال التاريخي والسير الشيخ مقر بن محمد البغطوري، الذي ألف كتاباً في السير ووردت له عدة تسميات منها : (كتاب سير ومشايخ نفوسة)، (كتاب سير أشياخ نفوسة)، (كتاب السير)، (كتاب سير نفوسة)، (كتاب سير الجبل)⁽¹⁾. ويفيد البغطوري أنه أتم تأليف كتابه في ربيع الآخر عام 599 هـ / الكانون 1202 م .

ومن المهتمين بالسير والتاريخ الشيخ أبو موسى عيسى بن سليمان الذي ألف هو الآخر كتاباً في السير. وفي نفس المجال هناك كتاب لمؤلف مجهول كما يرى المستشرق ليفيتسكي بعنوان: " تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم "⁽²⁾.

(1) . تاديوش ليفيتسكي ، المرجع السابق ، ص 156 . ويبدو أن المستشرق ليفيتسكي لم يرى هذا المخطوط لأنه يقول : ولم يصلنا هذا المصنف ولا نعرفه إلا من خلال المقتطفات التي أوردها الشماخي وهذا صحيح لأن تاديوش توفي قبل أن يعثر الشيخ سالم بن يعقوب على مخطوطة سير البغطوري في السبعينات بمكتبة البغاظر في حومة الغ ، وهذا ما أخبرني به محمود سالم بن يعقوب نجل المرحوم الشيخ سالم بن يعقوب في زيارتي إلي جزيرة جربة في (2004 / 2 / 1) .

(2) . المرجع نفسه ، ص 177 .

أهم مؤلفات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي :

ومن أهم مؤلفات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي مجموعة مصنفات للشيخ أبي نصر فتح بن نوح التملوشايي ، واتبع في كتاباته أسلوب القصيدة الشعرية ، والتساؤل المطروح لماذا كتب أبو نصر مؤلفاته بهذا الشكل ؟ أما المجال الذي اهتم بالتأليف فيه هو الفقه والأصول فألف : (النونية في أصول الدين) ، من مطلعها : (طويل)

سلام على الإخوان في كل موطن بنجد وخيفٍ والسهولة والحزن⁽¹⁾
سأهدي إليكم من كلامي قصيدة أقدمها للنفس يوم التغابن
تبهكم عن بعض ما لم يسعكم فما حُكَّ عنها بوصف جان ولا دن
أروم بها إحياء علم عقائد درس فلم يحفل بها كـلُّ مُعْتَنٍ
ألا بدلوا قافاً بعين وصادها بقاف وصورها من الصحف واللحن
نظرت إلي قراءنا فوجدتهم بققه المعاش مولعين بألسن
تناسوا أصول الدين من أجل أنها صعب وما قـيها ثمار لمن يجن⁽²⁾

ونقتطف أبيات من آخر القصيدة :

خذوها وخطوها ولا تزدروا بما ولا تلاحظوا فيها بطرف التهجن
وأنشدكم بالله أن تتصفحوا عن الفلتات الصادرات عن اللكن

(1) . الحزن : الأرض الصعبة .

(2) . أبو نصر التملوشايي ، المصدر السابق، ص I .

فأرب عفواً عن عُيُودِكَ إِنَّهُ تَكَلَّفَ شعراً بالروى المـــــــنــــون
وأخر قولِي الحمد لله وحده واستغفر الرحمن من خطاء من
ومني سلام الله ما ذرَّ شارق على أحمد الهادي إلي خير موطن⁽¹⁾

فهذه التوتية وضعها صاحبها في اثنين وثمانين بيتاً جمع فيها أصول الدين ،
وانتشرت في مختلف مدارس الجبل واعتني بها العلماء والطلاب ، وقام عدداً من
العلماء والشيوخ بشرحها، منهم على سبيل المثال: الشيخ إسماعيل الجيطالي في
ثلاث مجلدات، بمنهج تحليلي استدلالي، مقارناً فيما بينها وبين ما ألفه الآخرون في
هذا الصدد . كما قام بشرحها الشيخ عمرو بن رمضان التلاقي ووضع لها عنوان:
(الآلية الميمونية على المنظومة التوتية). ومن شراحها أيضاً: قاسم بن يحيى الويراني،
والشيخ عبد العزيز الثميني معنونة بـ(النور).

كما ألف (الرائية في الصلاة) من مطلعها : (طويل)

سما من سما بالجهد والعزم والصبر	وسهر الليالي والسري والتهجير
وغودر بالتسويق في النوم أو غدا	أخو العجز والكسل البطيء عن الخير
أحب فتى العزائم حازماً	لدنيا وأخرى عاملاً بالتشمر
وأما أخو التومات لا مرحباً به	ولا بالجشوم الرأكيد المتدثر ⁽²⁾
فمن ضيع المفروض من صلواته	أو أحر منها فهو أضيع للغير
ومحرم بعضاً من وظائفها التي	تم بها لا عذر إلا لذي عذر

(1) . المصدر نفسه ، ص 13 .

(2) . التملوشيقي ، المصدر السابق ، ص 203 .

إذا قمتَ للتوجه بالقصد فانتصب
وقل خاشعاً وجهت وجهي للذي
وقف خالياً من العلاتق إنـها
ومن آخرها :

ولم يحد منوالاً تقدم قبله
فأعجز أهل العصر كلا وبعده
عليه سلام الله ثم صلواته
فطوبى لمن كان النبي شفيعه
بنظم علوم الفقه والدين بالشعر
كما أعجز الأمي من فاه بالسحر
ورضوانه يا حبذا طيب الذكر
وراح إلي الفردوس مع صالح الزمر⁽¹⁾

وقام أيضاً عدة علماء بشرح هذه المنظومة (الرائية في الصلاة) منهم: الشيخ
إسماعيل الجيطالي، وقاسم بن يحيى الويراني، وعبد الله بن زياد العماني، وعبد العزيز
الثميني، ومحمد بن سليمان بن إدريسو.

كما ألف الشيخ أبو نصر النونية في خلق القرآن ، و الحائية المسماة :

(تحريض الطلبة) من مطلعها : (سريع)

الحمد لله على ما أراح
أحده حقاً وأشكره
والصلوات الطيبات على
ثم الرضي عن أهل قـدوتنا
وآخرها :

هذا كلامي والسلام على
أبناء جدي حيثما قطنوا
كل أديب ما أضـاءت براح
وأينما حلوا بأقصى النواح

(1) . المصدر نفسه ، ص 211 .

(2) . التملوشاتي ، المصدر السابق ، ص 17 .

خصوا أفعالكم بالدعاء إذا قرأتموها وأعملوا بالنصائح

كما ألف (الدالية) المسماة: رسالة المسترشد وكفاية المستنشد في الوعظ والإرشاد، كما ألف كتاباً سماه: (مقامات)، قام بشرحه الشيخ عبد الرحمن بكلي البكري، وألف القصيدة: (البائية في الأخلاق)، وله ديوان شعر أغلب مواضيعه في الأخلاق والعقيدة.

أهم مؤلفات القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي :

من مؤلفات جبل نفوسة خلال هذا القرن كتاب الإيضاح⁽¹⁾ للشيخ عامر الشماخي في الفقه ، الذي قال فيه أبو العباس أحمد الشماخي : " وهذا التأليف ما أظن ألف في المذهب مثله، جمعاً وتعليلاً، واختصاراً غير مخل وتطويلاً غير ممل، ولا مكرر، وهو اعتماد أهل المغرب في وقتنا خصوصاً نفوسة"⁽²⁾، ونستنتج من نص الشماخي أن هذا الكتاب جامع لفقه المذهب في مختلف المسائل الفقهية في العبادات والمعاملات، وبذلك يكون من الكتب المهمة في المكتبة العربية الإسلامية، وشهدت له بعض الدراسات المعاصرة بالإبداع والموسوعية وإمكانية اعتباره من كتب الفقه المقارن⁽³⁾. كما ألف الشيخ عامر رسالة متن الديانات في الأصول ، وقصيدة الأزمنة . ومن أبرز مؤلفي الجبل الشيخ إسماعيل الجيطالي الذي أثنى المكتبة العربية الإسلامية بمؤلفات عدة منها : (قواعد الإسلام) و (كتاب

(1) . كتاب الإيضاح للشماخي تمت طباعته سنة 1970 في، بيروت: مطبعة الوطن وكان في أربعة أجزاء .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 560 .

(3) . عبد الكريم عبد الله بلقاسم، عامر بن علي الشماخي، منهجه الفقهي من خلال كتابه الإيضاح، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، كلية التربية، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، مارس 1984، ص 330 .

قناطر الخيرات)⁽¹⁾، و(شرح التونية لأبي نصر بن نوح التملوشايتي) في جزأين⁽²⁾، وألف (كتاب الحساب وقسم الفرائض)، و(كتاب مناسك الحج)، و(عقيدة الجيطالي) و(تذكرة النسيان وأمان حوادث الزمان) في الأدب.

وألف الشيخ أبو عزيز بن إبراهيم بن أبي يحيى كتابا سماه : (لقط أبي

عزيز)، وهو مزيج من السير والأخبار والفقہ .

وألف الشيخ أبو يحيى زكرياء بن عيسى الأبدلاني كتابا في العبادات سماه :

(المناسك). وألف الشيخ أبو عمران موسى بن عامر الشماخي كتابا في الفقہ سماه

: (لقط أبي عمران موسى بن عامر).

مؤلفات مجهولة المؤلف :

ومن مؤلفات الجبل مجهولة المؤلف كتاب : (روايات أهل الجبل)، أورده

الوسياتي في سيره⁽³⁾، ويبدو من عنوان الكتاب أنه في مجال التاريخ، كما أن

الشماخي يذكر عنوان كتاب دون التطرق لمؤلفه بعنوان: (أخبار علماء نفوسة

ومناقبهم)⁽⁴⁾ وهذا الكتاب يصنف في كتب التراجم والطبقات، ومن الملاحظ أن

علماء الجبل اهتموا بهذا الجانب من الكتابة والتأليف.

(1) . كتاب قناطر الخيرات : يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء قام د . عمرو خليفة النامي بتحقيق الجزء الأول من قنطرة العلم والإيمان ، وطبع في القاهرة سنة 1965 ف ، وبقيت الأجزاء الأخرى دون تحقيق . ينظر : معجم علماء الاباضية ، المرجع السابق ، ص 57 .

(2) . كتاب شرح التونية لأبي نصر الملوشاني : مازال مخطوطاً .

(3) الوسياتي ، المصدر السابق ، ورقة 169 .

(4) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 234 .

الفصل الرابع

(الحياة العلمية في الجبل وتأثيرها

على بلاد السودان الغربي)

1. جغرافية بلاد السودان الغربي .
2. ممالك بلاد السودان الغربي .
3. علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان الغربي .
4. الطرق والمحطات التجارية .
5. التأثير الديني والثقافي .

1. جغرافية بلاد السودان :

تطلق المصادر (الجغرافية والتاريخية العربية) لفظ السودان للدلالة على أرض وسكان المناطق التي تلي الصحراء الكبرى جنوباً، وأولي المؤرخون والجغرافيون العرب اهتماماً كبيراً بدراسة تلك البلدان في كتاباتهم فتحدث عنها شمس الدين المقدسي قائلاً: "وأما أرض السودان فإنها تتأخم هذا الأقليم ومصر من قبل الجنوب، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة وهم أجناس كثيرة" (1).

ونجد الجغرافي الأصبخري (عاش في النصف الأول من ق: (4هـ / 10م)، يصفها: "وبلدان السودان بلدان عريضة ... ليس في أقاليم السودان من الحبشة والنوبة والبجة وغيرهم إقليم هو أوسع منه، ويمتدون إلى قرب البحر المحيط مما يلي الجنوب، ومما يلي الشمال على مفازة ينتهي إلى مفاوز مصر من وراء الواحات ثم على مفاوز بينها وبين أرض النوبة" (2).

كما وصفها القزويني (عاش خلال ق: (7هـ / 13م)، بقوله: "هي بلاد كثيرة، وأرض واسعة، ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها البحر المحيط، أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها" (3).

كما تحدث ابن خلدون (732 - 808هـ / 1332 - 1406 م) عن أمم السودان قائلاً: "وهم أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والحبشة والنوبة ... ويليهم البجاوة وهم نصاري ومسلمون، ويليهم الزغاوة

(1) . شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت: مكتبة خياط 1906، ص 341 .

(2) . ابن اسحق الأصبخري، المصدر السابق، ص 34 - 35.

(3) زكرياء بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت: دار صادر، 1960، ص 24.

وهم مسلمون ... ويليهم الكانم وهم خلق عظيم ... ويليهم من غربهم كوكو ... وبعدهم نغالة والتكرور ... ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانية⁽¹⁾.

من خلال ما تقدم عرضه من أقوال المؤرخين والجغرافيين العرب نتسطيع أن نصل تقريباً إلى الحدود الجغرافية لبلاد السودان، فهي تشغل مساحة شاسعة من البحر الأحمر شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن الشمال الصحراء الكبرى وجنوباً الغابات الاستوائية. إلا أن هذه المناطق تعرضت في فترة الاستعمار إلى تقسيم ورسم حدود مصطنعة فظهرت إلى الوجود خريطة لثلاث مناطق للسودان ما يعرف : (السودان الغربي ، والأوسط ، والشرقي).

1 — السودان الغربي: ويشمل المناطق الواقعة بين حوض نهر السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر والمجري الأعلى لنهر فولتا⁽²⁾.

2 — السودان الأوسط: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد.

3 — السودان الشرقي: ويمتد شرقاً حتى البحر الأحمر وغرباً إلى حدود إقليم دار فور ويضم الحوض الأعلى والأوسط لنهر النيجر⁽³⁾.

وتبين من خلال المصادر أن جبل نفوسة كانت علاقاته (التجارية والثقافية) محصورة بشكل كبير بين منطقتي السودان الغربي والأوسط، وكان لهم اهتمام ببلاد السودان الغربي.

(1) . ابن خلدون ، العبر ، مج 6 ، ص 235 — 236 .

(2) . محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق : خليل عساكر وآخرين ، القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1965 ، ص 132 ؛ الشيخ الأمين عوض الله ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغاي ، جدة : دار المجمع العلمي ، 1979 ، ص 41 ؛ عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 15 .

(3) . محمد بن عمر التونسي ، المصدر السابق ، ص 132 .

ممالك السودان الغربي :

تميز بلاد السودان الغربي بمميزات جغرافية واقتصادية من شأنها أن تجعلها منطقة جذب لمختلف الهجرات، وبذلك يكون سكانها خليط من القبائل الأفريقية والعربية سمحت لهم طبيعة المكان الجغرافي حرية الانتقال والتنقل بكل انسيابية لعدم وجود حواجز طبيعية تعوق حركة تلك الهجرات. كما أن المنطقة تتمتع بثروات طبيعية: (معدنية ، نباتية ، بحرية). ويأتي معدن الذهب على رأس الثروة الاقتصادية جعل لبلاد السودان الغربي شهرة عالمية مما جعل القزويني يطلق على أرضهم منبت الذهب⁽¹⁾. وهذا المعدن قامت عليه تجارة واسعة مع مختلف المناطق وخاصة دول الشمال الأفريقي بما فيها منطقة جبل نفوسة. كما تميزت المنطقة بكثرة مناجم النحاس الذي تقوم عليه أدني شك بعض الصناعات المحلية.

ويشير الرحالة المغربي ابن بطوطة إلى هذا المعدن قائلاً: " ومعدن النحاس بخارج تكلموا يحفرون عليه في الأرض ، ويأتون به إلى البلد، فيسكبونه في دورهم يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم ، فإذا سكبوه نحاساً أحمر صنعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف، بعضها رقاق وبعضها غلاط " ⁽²⁾، حسب حاجتهم من الأدوات وغيرها، وكان هذا المعدن من المواد المصدرة خارج بلاد السودان ويحصلون مقابله على الذهب⁽³⁾.

(1) . محمد بن عمر التونسي ، المصدر السابق، ص 132 .

(2) . أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1964 ، ص 697 .

(3) . أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1964 ، ص 697 .

ونظراً للبيئة الجغرافية للبلاد ومناخها عاشت فيها عدة أنواع من الحيوانات مثل: الفيل والكر كدن والزارفة، وهذه الحيوانات تعد من ذوات الأعشاب، ولا تعيش إلا في المناطق التي تحتوي على غطاء نباتي كبير لاستمرار حياتها وهذا ما أشار إليه الرحالة والجغرافيون⁽¹⁾. كما تنبغي الإشارة إلى الثروة السمكية الهائلة لوقوع المنطقة على الشواطئ البحرية (المحيط الأطلسي)، بالإضافة إلى جريان الأنهار فيها (نهر السنغال ونهر التيجر)، وشكلت الأسماك غذاءً رئيسياً لسكان تلك المناطق⁽²⁾. ونتيجة لهذه المقومات شهدت بلاد السودان الغربي قيام عدة ممالك وإمبراطوريات سوف يتم التركيز على مملكتي: (مملكة غانا الوثنية، ومملكة مالي الإسلامية) لما لهما اسهام بالغ في الأهمية من حيث تطوير المنطقة حضارياً وخلفت إراثاً ثقافياً وإنسانياً يشهد على عمق الحضارة والتاريخ في بلاد إفريقيا فيما وراء الصحراء، وهي في نفس الوقت المناطق التي تعامل معهما تجار جبل نفوسة.

1 (مملكة غانا الوثنية:

تعاقت على منطقة السودان الغربي عدة ممالك وإمبراطوريات عبر تاريخها وتعد مملكة غانا الوثنية أقدم الممالك التي ظهرت في تلك المناطق ولعلها أول تجربة من تجارب الحكم الوطني الناجح. وتكاد تتفق معظم المصادر بخصوص تأسيس مملكة غانا في القرون الميلادية الأولى، ويرون في القرنين: (الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين) قرون الازدهار والرقى الحضاري.

(1) - القزويني ، المصدر السابق ، ص 24 -

(2) - الهلدي المبروك الداتي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، القاهرة : الناز المصرية اللبنانية ، 1999 ، ص 280 -

كما اهتمت المصادر التاريخية والجغرافية بتلك المملكة وأفاضت الحديث عنها، فيحدد الإدريسي (493 - 460 هـ / 1100 — 1164 م) الرقعة الجغرافية التي شغلتها غانا قائلاً: " تتصل من غربيها ببلاد مفزاوة، ومن شرقيها ببلاد ونقارة وبشمالها بالصحراء المتصلة التي بين أرض السودان وأرض البربر، وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من اللملمية وغيرها "(1).

والملاحظ أن لفظة غانا تطلقها المصادر أحياناً على الامبراطورية وأحياناً أخرى تقصد بها المدينة أو الملك والسكان، فنجد ابن حوقل يعني بها الإمبراطورية حيث يقول: " ومن أودغست إلى غانة بضعة عشر يوماً بالمفردة، ومن غانة إلى كوغة نحو شهر "(2). في حين نجد في مكان آخر يعني بها الملك نفسه قائلاً: "وغانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها، بما لديه من الأموال والمدخرة من التير "(3) وهذا ما ذهب إليه البكري حين قال: "وغانة سمة لملوكهم واسم البلد أو كار "(4). كما يتفق مع ابن حوقل في المعنى الأول قائلاً: " ومن سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة "(5). أما الإدريسي فيري أن اسم الملوك يأتي على اسم البلاد نفسها، فسمي الملك غانا على البلاد (غانا)، وملك كوغة اسمه كوغة (6).

(1) . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 24 .

(2) . ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 91 .

(3) المصدر نفسه ، ص 98 .

(4) . البكري ، المسالك والممالك ، ج 2 ، ص 871 .

(5) . المصدر نفسه ، ص 837 .

(6) . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 185 .

ويذهب شمس الدين الأنصاري إلى أن : " غانة اسم علم على بلاد كما تقول خراسان والشام "(1).

أما ياقوت الحموي (ت 626 هـ / 1228 م) فيهتم بالموقع الجغرافي للبلاد ، ويشير إلى أهميتها الاقتصادية ، حيث يقول : " غانة ... كلمة أعجمية لا أعرف لها مشاركاً من العربية، وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يجتمع إليها التجار "(2). ويتضح مما سبق أن مملكة غانا شملت معظم حدود السودان الغربي وهي رقعة جغرافية كبيرة، وسبب تلك السيطرة الواسعة، ترجع لتمكن شعب غانا من استعمال الحديد سلاحاً قبل غيره من الشعوب الإفريقية(3). ويمكن أن يضاف إلى ذلك موقعها الجغرافي الممتاز الأمر الذي ترتب عليه سيطرتها على طرق القوافل من ناحية، ومن ناحية أخرى وقوع مناجم الذهب تحت سيطرتها(4). ويبدو أن معدن الذهب كان متوفراً بصورة كبيرة إلى درجة أن أطلق بعض الجغرافيين على أرضهم: " منبت الذهب "(5) وهذا المعدن هو الذي سيعطي للمنطقة بعداً استراتيجياً عبر توالي الممالك عليها كما سيجعل تجار جبل نفوسة يتوجهون مع غيرهم من تجار الشمال الإفريقي للتجارة مع بلاد السودان الغربي.

(1) . شمس الدين الأنصاري، المصدر السابق، ص 110 .

(2) . الحموي ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 184 .

(3) عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 17 .

(4) . نفس المرجع والصفحة .

(5) . القزويني ، المصدر السابق ، ص 24 .

ويبدو أن الإسلام كان متغلغلاً في مملكة غانة، وهذا ما يتضح من نص البكري الذي يقول: " ومدينة غانة مدينتان سهيلتان واحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون ، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً أحدهما يجتمعون فيه ، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون ، وفيها فقهاء وحملة علم ... وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمون "(1). ومن الصعب تحديد الفترة الزمنية التي انتشر فيها الإسلام في مملكة غانة الوثنية . إلا أنها فترة مبكرة تسبق وصول المرابطين إلى هناك ويشير القلقشندي لأسلام أهل غانة قائلاً: " وكان أهلها قد أسلموا أول الفتح "(2). وهذا ما يؤكد نص البكري من حيث بروز مظاهر الحياة الإسلامية المتمثلة في كثرة المساجد، الأمر الذي يفيد أن انتشار الإسلام في تلك المنطقة أخذ زمناً طويلاً حتى وصل إلى ذلك المستوى، والتساؤل المطروح هل كان لتجار جبلا نفوسة أية أدوار في نشر الإسلام في مملكة غانا الوثنية ؟.

2) مملكة الصوصو:

أستغلت قبائل الصوصو — وهم من السوننكة وكانوا تابعين لغانا — الظروف السياسية الحرجة التي تمر بها إمبراطورية غانا بعد تعرضها للهجمات المتتالية من قبل المرابطين الذين كان هدفهم الأساسي نشر الإسلام ومحاربة الشرك في تلك المناطق من المعمورة، حيث تمكن أبو بكر بن إبراهيم من السيطرة على العاصمة (كومي صالح) في سنة 469 هـ / 1076 م (3). وبالفعل نجح المرابطين

(1) . البكري ، المسالك والممالك ، ج 2 ، ص 871 — 872 .

(2) . أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5 ، القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د . ت) ، ص 284 .

(3) . الهادي الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي ، ص 45 .

في تحويل جزء من السكان الوثنيين إلى الدين الإسلامي⁽¹⁾. وتحت ظروف المرابطين وإنشغالهم بمشاكل دولتهم في الأندلس قرروا الانسحاب من المنطقة تاركين فراغاً سياسياً أستغلته قبائل الصوصو لإقامة دولة مستقلة عن غانا.

وقبائل الصوصو كما يشير ابن خلدون هم أمة تجاوز غانة من ناحية الشرق⁽²⁾، ويتزعمهم فرع من أسرة سركلة يعرف (بجوسو)⁽³⁾، وفي عام 1180 م استطاع (جوة كنته) إسقاط تلك الأسرة عن الحكم والزعامة ليحل محلها وهو أيضاً يعود إلى السركلة⁽⁴⁾. وتمكن هذا الملك من توحيد إقليمي كانياغا وصوصو في مملكة واحدة، ثم خلفه ابنه الملك (سوماورو) الذي تولى الحكم فيما بين (1200 — 1235 م) وتمكن هذا الملك من إحراز عدة إنتصارات حتى امتد سلطانه إلى كل المقاطعات التي كانت خاضعة قديماً لحكم غانا ما عدا منديه⁽⁵⁾، التي عندما شرع في غزوها لتوسيع مناطق نفوذه جنوباً هزم أمام قبائل الماندنجو في معركة فاصلة بـ(كبرينا) حوالي عام 633 هـ / 1235 م، وفر من بقي من الصوصو إلى منطقة التكرور⁽⁶⁾. وبذلك تسنح الفرصة لقيام مملكة مالي الإسلامية بمنطقة السودان الغربي .

(1) . عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج 6 ، ص 237 .

(2) . نفس المصدر والصفحة .

(3) . الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي ، ص 46 .

(4) . عبد الرحمن زكي ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ، القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، 1961 ، ص 87 .

(5) . جبريل . ت . نياني ، مالي والتوسع الثاني للماندانغ ، تاريخ إفريقيا العام ، مج 4 ، (الفصل السادس) ، اليونسكو ، ص 137 .

(6) . الدالي ، مملكة مالي الإسلامية ، ص 21 .

وقد أرتبطت مملكة الصوصو بالرغم من قصر فترة حكمها بعلاقات اقتصادية مع دول المغرب الاسلامي لاسيما الدولة الرستمية وسيأتي الحديث عنها ضمن مبحث علاقات جبل نفوسة مع منطقة السودان الغربي لاحقاً . ومن الملاحظ بخصوص هذه المملكة لم يهتم بما أبرز مؤرخي السودان أمثال : (محمود كعت في كتابه الفتاش، و عبد الرحمن السعدي في تاريخ السودان) ، وبذلك تواجه الدراسة صعوبة في الوصول إلي المزيد من المعلومات التي من شأنها إبراز دورها السياسي والاقتصادي والثقافي .

2 (مملكة مالي الإسلامية :

يبدو أن البكري هو أول من أورد ذكر مالي ، التي سماها (ملل) ثم تعرض لها مؤرخون، وجغرافيون، ورحالة في صور عديدة⁽¹⁾، وهي التي خلفت إمبراطورية غانة الوثنية في حكم المنطقة بعد جهاد المرابطين عام 460 هـ / 1076م⁽²⁾. لقد أسست هذه الإمبراطورية قبائل الماندنـجو القاطنة في إقليم (كانجاب) بقيادة : (سندياتا كيتا) والملقب : بـ (ماري جاطة)⁽³⁾. وهو الذي تغلب على قبائل الصوصو في معركة (كيرينة) عام 633 هـ / 1235 م⁽⁴⁾، الذين نافسهم في وراثه حكم المنطقة بعد سقوط غانة الوثنية ، وقام سندياتا

(1) . اختلف المؤرخون والجغرافيون العرب في ضبط مالي ، والملاحظ أن البكري يسميها (ملل) ، في حين نجد كلا من العمري وابن بطوطة والوزان يطلقون عليها (مالي) ، أما أبرز مؤرخي السودان أهالي المنطقة المؤرخ لها يسميها محمود كعت (مل) أما عبد الرحمن السعدي (ملي) .

(2) . عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، نشر السيد هوداس والسيد بنوة، باريس: 1981 ، ص 9 ؛ الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي ، ص 48 .

(3) . وتعني بالعربية : الأمير الأسد .

(4) . عبد الرحمن زكي ، المرجع السابق ، ص 97 .

بتحويل العاصمة من جاربا (Jariba) في كانغابا (Kangaba) إلى مدينة نياي (Niani) عام 638 هـ / 1240 م، — ونياني هي التي اشتهرت فيما بعد باسم مالي — ويعد هذا التحول بداية التوسع لمملكة مالي الإسلامية ، حيث امتد سلطانها حتى شمل البلدان التي تقع بين بلاد برنو شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً ، والمنطقة الصحراوية شمالاً والغابات الاستوائية جنوباً ، وهي نفس المناطق التي كانت خاضعة لإمبراطورية غانا⁽¹⁾، ومملكة مالي تشمل خمسة أقاليم كل إقليم منها عبارة عن مملكة مستقلة وهي : —

1 (إقليم مالي : ويتوسط باقي أقاليم المملكة ، ويقع ما بين إقليم الصوصو من الغرب ، وإقليم كوكو من الشرق ، وعاصمته مدينة نياي .

2 (إقليم الصوصو : ويقع إلى الغرب من إقليم مالي .

3 (غانة : وتقع غربي إقليم صوصو ، وتمتد إلى المحيط الأطلسي وبه مناجم الذهب وإلى هذا الإقليم يصل تجار جبل نفوسة وهنا نشروا الثقافة الإسلامية .

4 (كوكو : يقع إلى الشرق من إقليم مالي وعاصمته كوكو .

5 (التكرور : وتقع في شرق كوكو، وعاصمته مدينة تكرور⁽²⁾ .

بلغت مملكة مالي الإسلامية درجة عالية من الازدهار والرقى الحضاري

وتحدث عنها عدد من المؤرخين والجغرافيين فأشار إليها: شهاب الدين العمري قائلاً: " وهذا الملك هو أعظم ملوك السودان المسلمين، وأوسعهم بلاداً، وأكثرهم عسكرياً، وأشدهم بأساً، وأعظمهم مالاً، وأحسنهم حالاً، وأقهرهم للأعداء،

(1) . محمود كعت ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر السيد هوداس والسيد دلافوس، باريس: 1964 ، ص 38 .

(2) . أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5 ، ص 283 — 286 .

وأقدرهم على إفاضة النعماء" (1). وأما مؤرخو السودان فنجد محمود كعت يقول : " وأما ملّ إققليم واسع ، وأرض كبيرة عظيمة مشتملة على المدن والقرى ويد سلطان ملّ ميسوطة على الكل بالقهر والغلبة ، وكنا نسمع من أعوام عـصرنا يقولون سلاطين الدنيا أربعة ، ما خلا السلطان الأعظم ، سلطان بغداد ، و سلطان مصر ، و سلطان برن ، و سلطان ملّ وبلده " (2).

كما اشتهرت مملكة مالي كذلك باسم (بلاد التكرور) إلا أن التكرور تعد كما اتضح سابقاً من ضمن أقاليم المملكة الخمسة وهذا ما لا يقبله سلطان مالي لو سمعه كما أشار لذلك العمري : " وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور ولو سمع هذا أنف منه ، لأن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته ، والأحب إليه أن يقال : صاحب مالي لأنه الإقليم الأكبر وهو به أشهر " (3).

وتعاقب على حكم مالي عدة ملوك وحكام ، إلا أن المملكة شهدت ذروة مجدها في عهد السلطان منسا موسى (707 – 733هـ / 1312 – 1337 م) وذلك لاتساع المملكة وحسن تنظيمها وسيطرتها على مناجم الذهب الذي أكسبها ثروة اقتصادية هائلة ، كما أن رحلة الحج التي قام بها منسا موسى كانت بمثابة رحلة إعلامية حيث ذاع صيته ، وبلغت مالي شهرة عالمية .

إن للدول والممالك أعماراً ونهايات كما أشار لذلك ابن خلدون عندما تصل الدولة إلى مرحلة الشيخوخة ، وهذا ما حدث لمملكة مالي الإسلامية التي

(1) شهاب الدين العمري ، المصدر السابق، ج 4 ، ص 108 .

(2) . محمود كعت، المصدر السابق، ص 38 .

(3) . العمري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 107 – 108 .

أصابها الضعف والانكماش خاصة بعد وفاة أبرز سلاطينها منسا موسى ، فتعرضت الدولة لمشاكل الانقسامات الداخلية ، وكثرة الفتن بين الأقاليم مما أدّى إلى تفككها ، وتوالت عليها الغارات من مختلف القبائل ، كالموشي من الجنوب ، والطوارق من الشمال إلى أن تمكنت قبائل السنغاي من السيطرة على الأوضاع ، وأقامت مملكتها خلفاً لمملكة مالي الإسلامية .

الإسلام في إمبراطورية مالي :

وبخصوص انتشار الإسلام في هذه المملكة فهو أمر على ما يبدو قديم فيها ، ومن أبرز الأدلة على ذلك إسلام أحد ملوكها منذ زمن مبكر من تاريخها ، قال البكري : " بلد اسمه ملل وملكهم يعرف بالمسلماني ... أسلم وأخلص نيته ... وصح إسلامه وإسلام عقبه ، وخاصته ، وأهل مملكته مشركون ، فوسموا ملوكهم مذ ذاك بالمسلماني "⁽¹⁾. من هنا يتضح لنا أن أول من أسلم من ملوك مالي هو (المسلماني) ، إلا أن البكري في روايته يصمت عن أشياء كثيرة منها : ما هو الاسم الحقيقي لهذا الملك ؟ وكذلك من هو الداعية الذي أسلم الملك على يديه ؟ . هذا ما سيتناوله الباحث في الأوراق التالية .

وبلغت مملكة مالي الإسلامية ذروة مجدها أثناء حكم السلطان منسا موسى (712 — 738 هـ / 1307 — 1332 م) ، لما تميز به عصره من اتساع في الرقعة الجغرافية، والتنظيم الإداري، والازدهار الاقتصادي، كما اشتهر هذا السلطان برحلته إلى الحج عام (725 هـ / 1324 م)، التي ذاع صيتها،

(1) . البكري ، المسالك والممالك ، ج 2 ، ص 875 — 876 .

وأعطى المملكة شهرة خارج حدودها لدي العرب والأوربيين، هي الرحلة التي خرج فيها 60,000 ألف جمال و500 خادم في حمل مذهبة، ويحمل كل واحد منهم عصا من الذهب⁽¹⁾، ويذكر كعت: " أنه كان معه حمل أربعين بغلة من الذهب"⁽²⁾، وفي أثناء عودة الرحلة اصطحب معه الشاعر والمهندس أبا إسحاق إبراهيم الساحلي الطويجن، وعبد الله الكومي الموحدى الغدامسى إلى مالي، وهما اللذان أدخلوا الطراز الهندسى الأندلسى فى البناء، حيث قاموا ببناء جامع سنكرى ومساجد أخرى بالمنطقة⁽³⁾. وبخصوص التأثير المعماري الذي تركه الشمال الأفريقي فى مناطق السودان الغربى والأوسط، يشير بعض المستشرقين أن هناك العديد من المباني وخاصة المساجد مبنية على الطريقة والهندسة الإباضية، ومما لا شك فيه أن لتجار ودعاة جبل نفوسة دور بالغ فى ذلك التأثير، لأنهم كانوا على إتصال دائم ومستمر مع تلك المناطق.

(1) . السعدى، المصدر السابق، ص 7 ؛ الدالى، مملكة مالي الإسلامية، ص 30 – 36 .

(2) . محمود كعت، المصدر السابق، ص 36 .

(3) . ابن خلدون، العبر، مج 6، ص 238 ؛ الدالى، مملكة مالي الإسلامية، ص 36 .

2 (علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان :

كما اتضح في بداية البحث أن منطقة جبل نفوسة تعد ضمن بلاد المغرب الأدنى ، وأن موقعه الجغرافي المتميز جعله يتوسط العديد من المدن والأقاليم من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعتبر نقطة تلاقي طرق القوافل التجارية القادمة من الواحات الداخلية ومن بلاد السودان (الغربي والأوسط) والمتجهة نحو ساحل ومدن البحر المتوسط الجنوبية مثل طرابلس وتونس والأسكندرية وغيرها ، وبذلك لتكمل البضائع التجارية طريقها صوب المشرق الإسلامي وجنوب أوربا⁽¹⁾. ويؤكد ذلك ما ذكره أبو عبيد البكري : " كانت هناك عدة طرق تربط بين تادمكة وكاوكاو، وتمتد إلى غانا والقيروان عبر وارجلا والجريد وطرابلس مارة ببغدامس وجبل نفوسة "⁽²⁾.

إذن نفهم الدور التجاري الذي أدّاه الجبل في محيطه الجغرافي بين مختلف المناطق وخاصة بلدان السودان الغربي والأوسط ، غير أن السؤال المطروح هو إلى أي فترة زمنية ترجع علاقات الجبل مع بلاد السودان ؟ وما هي تطوراتها عبر العصور الوسطى ؟ . هناك بعض الباحثين من يرى أن العلاقات ترجع إلى عهود تاريخية قديمة (الفترة القرطاجية والرومانية بالمغرب) واعتبروها سلسلة ربطت بلاد الشمال الإفريقي بأراضي السودان الغربي والأوسط عبر الصحراء الكبرى⁽³⁾.

(1) . محمد فرج دغيم ، التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية الواقعة على جانبي الصحراء ودور ليبيا في هذا التواصل ، ص 615 .

(2) . البكري ، المسالك والممالك ، ج 2 ، ص 879 - 881 .

(3) . أحمد إلياس حسين ، طرق التجارة في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى ، (ندوة الصحراء الكبرى) ، إعداد : عماد غانم ، طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية ، 1979 ، ص 211 .

فما مدي صحة هذا الرأي؟ وهل هذا الأمر يشمل منطقة الجبل ؟ فإذا تحقق ذلك الأمر فهو يتناقض مع ما ذكره محمد علي دبوز حين رأى أن الدولة الرستمية هي التي مهدت لأهل جبل نفوسة القيام بالرحلة إلى السودان للتجارة ونشر الدين بحكم كونهم من رعاياها في بعض الفترات التاريخية⁽¹⁾. الواضح أنه من العسير الوصول إلى حقائق تاريخية في هذا المجال لندرة المعلومات المتعلقة بتاريخ جبل نفوسة القدم.

ومن الملاحظ أن العلاقات بين المنطقتين قد ارتكزت على التجارة العابرة للصحراء الكبرى، إذن لم تشكل الصحراء عائقاً وحاجزاً يفصل بينهما، وإنما هي محل اختراق تجاري وثقافي⁽²⁾. وهذا رد على دعاوى بعض المستشرقين الذين يرون أن الصحراء تشكل حاجزاً طبيعياً دون التواصل بين مناطق شمال إفريقيا وبلاد السودان. بل بالعكس من ذلك فالملاحظ أن العلاقات كانت قوية وعميقة نتيجة للانتقال وترحال الأهالي من كلا المنطقتين إلى الطرف الأخر. كما أشار لويسكي إلى وجود جماعات من السودان تقطن بجبل نفوسة في القرن الثاني الهجري⁽³⁾ وهي تعد فترة مبكرة. وفي المقابل كان بعض التجار من الجبل يسافرون إلى مناطق في السودان الغربي وقيمون هناك⁽⁴⁾. ومن تلك المناطق التي انتظم تجار جبل نفوسة لزيارتها : ملاحات أوليل والتكرور، وغانا، وغيارو، والأخيرة تعد المصدر الرئيسي

(1) . محمد علي دبوز ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 352 .

(2) . بنعروز فريدة ، قراءة في أبحاث تاديوش لفيتسكي ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس - ليبيا ، 1998 ، ص 456 .

(3) . محمود إسماعيل عبد الرزاق ، المرجع السابق ، ص 282 .

(4) . باولو فرناندو دي مواريس فاوياس ، نظام تجارة تادمكة وجاو وكاوكاو وكوكيا في إطار تاريخ الاتصالات الثقافية على امتداد طرق التجارة عبر الصحراء ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، 1981 ، ص 47 .

لتجارة الذهب والرقيق، وكذلك الأمر يتاجرون مع مالي وخاصة الذهب بالإضافة إلى وصولهم إلى كوكو وتادمكة⁽¹⁾.

هذا الأمر يفسر إتقان الكثير من أهالي الجبل لبعض اللغات الإفريقية ، كما أشار إلى ذلك الشماخي بقوله : إن أبا عبيدة عبد الحميد الجناوني يحسن اللغة الكانمية⁽²⁾. وأن مسألة إتقان مجتمع للغة مجتمع آخر تعني عمق التواصل وتغلغل العلاقات وتشابكها إلى حد بعيد فاللغة هي وسيلة التخاطب والتفاهم ومشروع لنجاح العلاقات وتقويتها . يمكن أن يطرح السؤال نفسه هنا عن وسائل تعلم أهالي الجبل للغات الإفريقية . هل تتم في مدارس أم كانت عن طريق الاختلاط والاحتكاك ؟ في حالة عدم توفر معلومات دقيقة في هذا الخصوص يمكن ترجيح الرأي الأخير .

ويؤيد الأراء السابقة ما شاهده ابن بطوطة (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)، من وجود مجموعتين من البيض في مملكة مالي في بلدة تسمى زغاري بين ولاتة والنيجر وكانت إحدى هاتين المجموعتين جماعة من الإباضية⁽³⁾، ولا شك أن يكون البعض منهم من جبل نفوسة، وهذا ما يشير أيضاً إلى أن التجارة الصحراوية مع بلاد السودان الغربي ما زالت حتى القرن الثامن الهجري تحت أيديهم.

وينبغي هنا الإشارة للوفد الذي أرسله الإمام أفلح بن عبد الوهاب الرستمي إلى مملكة الصوصو برئاسة محمد ابن عرفة وهو من جبل نفوسة حاملاً

(1) . جاك تيري ، المرجع السابق ، 533 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 185 ؛ سليمان الباروني ، المرجع السابق ، ص 180 .

(3) . ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 680 .

الهدايا لمؤازرة انتصارات الصوصو التي حققتها ببلاد السودان الغربي، ولتوثيق العلاقات بين الطرفين وتشير المصادر إلى إعجاب ملك الصوصو بابن عرفة قائلاً له : " أنت حسن الوجه حسن الهيئة والأفعال " (1).

وهذا النص يوضح عمق التفاهم، والرغبة في إقامة واستمرارية الإتصالات. بمختلف جوانبها بين المراكز الحضارية على جانبي الصحراء . كما يلاحظ وقوع أراضي جبل نفوسة محل طرق الحجاج التكرور ، ونستدل بذلك بما أورده المصادر التاريخية : أن الشيخ أبا عمرو ميمون بن محمد الشروسي وكان حاكماً على الجبل وقتذاك (ما بين 350 – 400 هـ / 961 – 1009 م) حيث جاز عليهم جماعة من التكرور يريدون الحج فقام باستقبالهم أحسن استقبال ، وأمر بإغلاق الأسواق والخروج إلى أولئك الجماعة للتعامل معهم بالبيع والشراء وقد عبروا عن إعجابهم به فيما إعجاب لأدبه وعلمه وحيائه ، وامتنع عن أخذ أي مقابل رغم تقديمهم له مبلغ أربعمئة دينار (2).

وظلت التجارة العابرة للصحراء الكبرى، حتى أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، تحت سيطرة الإباضيين في كل من : مزاب، وبلاد الجريد، وغدامس، وجبل نفوسة (3).

ونفهم من ذلك أن العلاقات كانت متينة بين الطرفين وتعبر عن خلفية تاريخية وثقافية واجتماعية بين سكان الشمال الأفريقي عموماً وبلاد السودان .

(1) . ابن الصغير، المصدر السابق، ص 17 ؛ سليمان الباروني، المصدر السابق، ص 223 .

(2) البغطوري، المصدر السابق، ورقة 82 ؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 273 — 274 .

(3) . جاك تيري، المرجع السابق، ص 535 .

3) الطرق والمحطات التجارية⁽¹⁾:

اهتم أهالي جبل نفوسة كغيرهم من سكان بلاد المغرب الكبير بالتجارة وهي تعد من الأنشطة الاقتصادية الهامة إلى جانب الاشتغال بالزراعة كغراسة أشجار الزيتون والكروم والأعشاب وزراعة القمح والشعير ، وبعض الصناعات المحلية مثل صناعة الجرود وصياغة الذهب والفضة ، والصناعات الفخارية ، وأغلبها يعتمد على المواد الطبيعية المحلية ، إلا أن جَلَّ اهتمامهم بالتجارة نتيجة لموقعهم الجغرافي حيث يمثل جبل نفوسة حلقة وصل واتصال بين القارة الإفريقية وبين مدن الساحل على البحر المتوسط الذي تنتقل منه البضائع صوب جنوب أوروبا والمشرق الإسلامي .

وتجارة الجبل اتخذت سبيلين الأول : محلي مع المدن والمناطق المجاورة مثل : طرابلس وغدامس وزويلة والقيروان وغيرها ، ويتحدث أبو الحسن بن سعيد المغربي عن العلاقة التجارية فيما بين جبل نفوسة وطرابلس ، ويورد أنواعا من الإنتاج الزراعي كانت تعد من البضائع المصدرة حيث يقول : " ومنه (أي من جبل نفوسة) تمتاز طرابلس بأنواع من الخيرات حتى الخضر والفواكه ، وفيه الزيتون والزيت والزبيب والتمر "⁽²⁾. إذن نفهم أن مدينة طرابلس كانت تعتمد على جبل نفوسة فيما تحتاجه من الغلال (الخضر والفواكه) ، حيث إن المسافة بين المنطقتين تعتبر قريبة نسبياً فهي لا تتعدى الثلاثة أيام⁽³⁾.

(1) . ينظر الخريطة رقم (2) .

(2) . أبو الحسن المغربي ، المصدر السابق ، ص 145 – 146.

(3) . الحموي ، المصدر السابق ، ص 305 ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص 389 .

أما السبيل الآخر : فخارجي ومن ضمن ما يتمثل فيه التجارة مع بلاد السودان (الغربي والأوسط) ، وحيث إن البحث يهتم بعلاقات الجبل مع بلاد السودان فسوف يتم التركيز على طرق القوافل التجارية التي يسلكها تجار الجبل للوصول إلى مدن وحواضر بلاد السودان ، والتعرض لأهم المحطات التجارية التي تعد حلقات وصل للتجار .

1 (طريق جبل نفوسة — غدامس — تادمكة — كاوكاو — غانا) :

بداية هذا الطريق من مدينة شروس أكبر مدن الجبل في اتجاه غدامس والمسافة بينهما سبعة أيام⁽¹⁾. وخدامس من الواحات المشهورة في الصحراء الليبية ونظراً لموقعها التجاري المميز إلى الجنوب من الجبل فهي تأتي على طريق القوافل المتجهة لبلاد السودان ، ومن هنا فيما يبدو جاءت أهمية هذا الخط التجاري ، ومن غدامس يتجه الطريق نحو تادمكة والمسافة بينهما أربعون مرحلة⁽²⁾. وتمثل تادمكة مفترق للطرق التجارية منها ما يتجه جنوباً إلى كاوكاو (كوكو) — جاو لمدة تسعة أيام، ومنها ما يتجه ناحية الجنوب الغربي صوب غانا، لمدة خمسين يوماً وبذلك تكون المسافة ما بين جبل نفوسة وغانا حوالي سبعة وتسعين يوماً تقريباً، وما بين الجبل وكوكو حوالي ستة وخمسين يوماً تقريباً .

(1) . نفس المصدر والصفحة .

(2) . البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص 881 .

2) طريق جادو — زويلة — كاوار :

الطريق التجاري الثاني الذي يسكله تجار الجبل يبدأ من مدينة جادو وهي أيضا من المدن الكبيرة في الجبل ، ويشير البكري إلى هذا الطريق بقوله : " من أراد الطريق من نفوسة إلى زويلة فإنه يخرج إلى مدينة جادو المذكورة ، ثم يسير ثلاثة أيام في صحراء ورمال إلى موضع يسمى تيري ... ثم يصعد في ذلك الجبل فيمسي في صحراء مستوية نحو أربعة أيام لا يجد ماء ثم يتزل على بئر تسمى أودرف ، ومن هناك يلقي جبلاً شامخة تسمى تاغرين يسير فيها الذهاب ثلاثة أيام حتى يصل إلى بلد يسمى تامرما فيه نخيل كثير يسكنه بنو قلدين وفزانة ... ويسير من هذا البلد إلى بلد سباب يومين ... ويسير من سباب في صحراء مستوية ... ومن هذه الصحراء إلى زويلة يوماً⁽¹⁾. ومن خلال هذا النص ندرك بوضوح المدن والمحطات التي يمر بها السالك لهذا الطريق فقد اهتم البكري بذكرها : (جادو ، تيري ، بئر أودرف ، تاغرين ، تامرما ، سباب ، زويلة) . ثم يستمر الطريق بعد زويلة إلى مدينة سبها وهي على مسيرة خمسة أيام ، ومن هناك تتجه القوافل نحو كاوار ، وهذا الطريق الأخير يستشف من نص للبكري : " مضي عقبة من فوره إلى قصور فزان فافتتحها قصراً قصراً حتى انتهى إلى أقصاها ثم سألمهم : هل وراءكم أحد ؟ قالوا : نعم أهل خاوار"⁽²⁾. وبالتالي يمكن أن نستنتج المسافة ما بين جبل نفوسة وزويلة حوالي ثلاثة عشر يوماً تقريباً، ومن زويلة إلى كوار 15 يوماً، وبالتالي فالمسافة ما بين الجبل وكوار حوالي 28 يوماً .

(1) . المصدر نفسه ، ص 656 — 657 .

(2) . البكري : المسالك والممالك ، ج 2 ، ص 661 .

إذن نفهم من خلال تلك الطرق نشطت الحركة الاقتصادية بين الطرفين والمتمثلة في التجارة وعمليات البيع والشراء ونقل البضائع ، والملاحظ أن التجار المسلمين إلى جانب نقلهم البضائع إلى بلاد السودان نقلوا معهم أفكارهم ودينهم وحضارتهم ، تلك المعاني التي جسدها على أرض الواقع ، وترجموها سلوكاً ومعاملة مع الآخرين الذين اقتنعوا لما رأوه من أخلاق ونظافة وقيم ومبادئ ، كما ينبغي الإشارة إلى نقطة هامة وهي أن كثير من تجار جبل نفوسة إلى بلاد السودان كانوا علماء وفقهاء ، يدركون مهامهم الدينية فعملوا على نشر اللغة العربية والدين الإسلامي ، في إفريقيا فيما وراء الصحراء ، إلى جانب اشتغالهم بالتجارة .

ومن الطبيعي أن تقف القوافل التجارية المنطلقة من جبل نفوسة صوب بلاد السودان في عدة محطات ، وهذا ما يميز الطرق التجارية عندما تتوفر على محطات للراحة وللتزود بالمياه والمؤن ، وكذلك تتم فيها عمليات البيع والشراء ، ويمكن أن نستخلص المحطات من خلال النصوص السابقة ، فمن أبرزها على سبيل المثال :

أ (غدامس : وهي من أهم الواحات في بلاد المغرب الأدنى ، وكانت مأهولة بالسكان قبل الفتح الإسلامي ، وتسمى : (سيداموس)⁽¹⁾ ، وقد شاهدت فيها رسم منقوش على إحدى الصخور لحيوان وهو على ما يبدو رسم لبقرة بجانب مقبرة سيدي البدري ، مما يدل على وجود الإنسان منذ التاريخ القديم بمدينة غدامس ،

(1) . الطاهر الزاوي ، معجم المدن الليبية ، ص 241 .

قام بفتحها القائد العربي عقبة بن نافع سنة 42 هجرية⁽¹⁾. وتميزت غدامس بموقعها الجغرافي الهام فهي على مفترق الطرق التجارية ، وترتبط مع جبل نفوسة بعلاقات تجارية وثقافية .

ب (زويلة: من الواحات المشهورة في الصحراء الليبية ، تقع ضمن إقليم فزان ، وتنطلق منها القوافل التجارية إلى مختلف مدن السودان ، كما تعد نقطة ملتقى القوافل عبر الصحراء الكبرى .

إذن نفهم من خلال هذه الطرق أن منطقة جبل نفوسة كانت تربط ما بين طرق القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان الغربي والأوسط ، والطرق التجارية المتجهة صوب مدن ساحل البحر المتوسط، وبذلك تمت عمليات التبادل التجاري ونقل البضائع ما بين المنطقتين شمالاً وجنوباً ، وينبغي الإشارة إلى جانب نقل تجار جبل نفوسة البضائع التجارية إلى بلاد السودان نقلوا معهم أفكارهم الدينية والأخلاقية والثقافية وتأثر بهم أهالي السودان مباشرة وبطرق غير مباشرة .

(1) . محمد بن أبي القاسم الرعيحي القيرواني، المصدر السابق، ص 42 .

3 (التأثير الديني والثقافي :

تغلغت علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان (الغربي ، الأوسط) بحكم التبادلات التجارية، التي عرفت قبل مجيء الإسلام وازدادت عمقاً بعده، فأتاحت ظروفاً من الاحتكاك والاختلاط جعلت الطرفين يتعرف كل منهما على ثقافة وفكر الآخر، وتأسيساً على ذلك تسربت التأثيرات الحضارية (دين، فكر، علوم) إلى بلاد السودان، لاسيما وأن تجار الجبل يحملون في وجدانهم الدين الإسلامي ، الأمر الذي جعلهم يتصفون بصفات أخلاقية عالية مثل : الأمانة والصدق والنظافة وحسن المعاملة . بالإضافة إلى محافظتهم على أداء صلواتهم ، كما ينبغي الإشارة إلى أن بعض التجار كانوا علماء في الدين والشريعة، ويدركون أن القرآن يأمر أتباعه بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ونرى ذلك بوضوح في العديد من الآيات القرآنية كقوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾⁽¹⁾ . وقال عز وجل : ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تفتدون ، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾⁽²⁾ .

وبذلك كانوا من الرواد في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في بلاد السودان الغربي⁽³⁾ .

(1) . سورة:النحل، الآية: 125 .

(2) . سورة: آل عمران، الآية: 104 .

(3) Z. DRAMANI - ISSifou, Les Relations Historiques Entre La LanGue

Arabe Et Les LanGues Africaines. Tunis, 1992 . P. 41

ويبرز سؤال هنا : كيف تأثر أهالي السودان بالإسلام ؟ إن مسألة، انتشار الإسلام في بلاد السودان جاءت بطريقة عفوية وسلمية من ناحية انتشار الإسلام بطرق غير مباشرة ودون وضع الخطط والبرامج وهو بتأثر أهالي السودان بأخلاق التجار المسلمين من مختلف بلاد الشمال الأفريقي الذين ساروا بينهم حسب تعاليم الدين الإسلامي ، ومن ناحية أخرى انتشر بفعل جهود العلماء والدعاة الذين كانوا في نفس الوقت يزاولون التجارة ، حيث يرون من واجباتكم الدينية نشر العقيدة الإسلامية واللغة العربية في الأوساط الأخرى الغير المسلمة دون إكراه خاصة وأن ظروف الرحلات التجارية وفّرت تلك الفرص .

كما ينبغي طرح سؤال حول من هم العلماء من الجبل الذين قاموا بنشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان ؟ تشير المصادر إلى الشيخ أبي يحيى الفرسطائي من الذين كانوا يتاجرون في بلاد السودان وقام بدعوة أحد ملوك السودان إلى الإسلام ونجح في ذلك وهذا ما أشار إليه البغطوري قائلاً : " روي عن أبي يحيى أنه سافر إلى بلاد السودان ، فوجد مليكهم ناحل الجسم ضعيفاً ، فسأله : لما صار حالك هكذا ! ؟ فقال : عندنا ها هنا شيء إذا نزل ببعضنا أزاله وذهب به ، ويعني به الموت . قال أبو يحيى : فأخبرته عن ذلك : الله عز وجل وصفة الجنة وثوابها لمن أطاع الله وأخبرته عن النار وعقابه لمن عصى الله ، فقال لي : كذبت لو كان عندك يقين بما تصف لم تأت إلي هنا لطلب الدنيا ، فما زلت أحاوله وأذكر له الله ونعمائه ، وأرغب في الإسلام حتى أسلم وحسن إسلامه " (1)

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 52 .

وبتحليل النص نستخلص بعض المعلومات ، منها أن الشيخ أبو يحيى عاش خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، أي أن نشره للإسلام في بلاد السودان يعود لفترة مبكرة تسبق غيرها من المحاولات ، إلا أن السؤال من هو هذا الملك السوداني ؟ وما هي مملكته ؟ وفي أي بقاع السودان ؟ هذه الأسئلة لم يفصح عنها المؤرخ البغطوري !! فلماذا ؟ ، إلا أن رواية البغطوري تفيد أن الفرستائي كان بالفعل من الدعاة ، أي أنه يضع الدعوة إلى الإسلام قضية من قضاياها ويتضح ذلك من إصراره واستمراره في دعوة الملك السوداني ، وقيامه بتوضيح عقائد الإسلام المتمثلة في معرفة الله سبحانه وتعالى ، والإيمان بالجنة والنار ، فهو يدرك أن الناس على دين ملوكهم في ذلك الزمان، وبإسلامه سوف يكسب إسلام أهالي المملكة جميعاً .

ويبدو من خلال النص أن المحاورة استمرت أياماً حيث يقول : فما زلت أحاوله والملك يكذبه ... الخ . ويتضح من رد الملك أن أبا يحيى كان تاجراً حيث قال له : لو كان عندك يقين بما تصف لم تأت إلي هنا لطلب الدنيا ، وطلب الدنيا يقصد بها طلب التجارة ، كما نفهم من النص أن أبا يحيى الفرستائي كان على صداقة قديمة مع هذا الملك وذلك من خلال سؤاله لما صار حالك هكذا ! ؟ أي أنه كان على معرفة بحاله الأول وتعجب من سوء حاله . كما يمكن أن نفهم من علاقة الشيخ الفرستائي بملك السودان ، أن التجار المسلمين عموماً يحظون بدرجة عالية من التكريم والتقدير في تلك المجتمعات . والأهم من ذلك كله هو نجاح أبي يحيى في إقناع الملك بالإسلام وهذا يمثل أعمق تأثير ديني وثقافي لعلماء الجبل في بلاد السودان .

كما يورد الشماخي رواية تفيد جهود الشيخ علي بن يخلف التيمجاري⁽¹⁾ في سبيل نشر الإسلام واللغة العربية في بلاد السودان الغربي قائلاً: " علي بن يخلف فكان عالماً تقياً ... ومن أعظم كراماته ما اشتهر عند الموافق والمخالف ، وذكر ذلك البكري في المسالك والممالك إلا أنه لم يسمه وسماه غيره ، وهو أنه سافر إلي دواخل غانة تاجراً فقام بما وله مكان عند ملكها وكان عظيماً تحته اثنا عشر معدناً يستخرج منها التبر ، ووقع القحط ببلادهم ، فاشتكت الرعية إلي السلطان ، وذلك بمدينة مالي ... وكان الشيخ علي على ارتحال ، فقال له الملك : لدع ربك لعله يغثنا ، فقال : لا يجوز وأنتم تعبدون غيره ، قال : كيف صفة الإسلام ، فما زال به حتى وحّد وتكلم بكلمة الحق "⁽²⁾.

وبتحليل نص الشماخي يتضح أن هذه المعلومة التاريخية الخاصة بالشيخ علي بن يخلف النفوسي التيمجاري ، مدونة في مصادر تاريخية أخرى كانت متوفرة للشماخي ولم تصل إلينا . إلا أن السؤال لماذا لم يذكره البكري في مسالكة وممالكه ؟ وهذا ما أشار إليه الشماخي. بالرغم من تطابق رواية كل منهما للآخر! . إلا أن البكري يشير إلي اسم الملك (المسلماني)⁽³⁾ ، وهذا ما لم يذكره الشماخي ! . في حين تذكر بعض الدراسات التاريخية المعاصرة أن اسم ملك غانا (برو مند انه)، هو الذي أسلم علي يدي الشيخ علي بن يخلف، وصار اسمه

(1) . نسبة إلي قرية تيمجار إحدي قرى مدينة الرحيات بالجل، وكان من التجار المشهورين. ينظر: الحبيب الجنحاني، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي، بيروت: دار الطليعة، 1980 ، ص 94 – 95 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 457 .

(3) . البكري ، المسالك والممالك ، ص 875 – 876 .

(المسلماني)، كما أسلم عدد من رعيته⁽¹⁾، وهو نفس الاسم للملك السوداني (برمندانة) الذي يرى ابن خلدون : " أنه أول من أسلم منهم " ⁽²⁾.

ومن الشخصيات التي أدت دوراً في نشر الإسلام والثقافة واللغة العربية الشيخ أبو هارون بن يونس الجلاملي الذي كان من التجار الذين يسافرون كثيراً إلى تادمكت ببلاد السودان ، ونجح في تجارته بكسبه مالا كثيراً⁽³⁾. ويعد أبو هارون من علماء الجبل الكبار وقام بتأسيس مدرسة في الجبل تخرج منها العديد من العلماء البارزين ، فمن الطبيعي أن يترك آثاراً ثقافية ودينية بحكم سفره المستمر إلى بلاد السودان واختلاطه بالأهالي هناك .

وتساءل باحثة معاصرة عن مدي مصداقية وصحة روايات مؤرخي الجبل قائلة : " وهل كان ما رمى به أهل السنة الخوارج من الخروج سبياً في أن يحاول كتابهم أن يضيفوا عليهم أمجاداً وبطولات تبين جهودهم في نشر الإسلام كرد فعل لما رموا به ؟ " ⁽⁴⁾. من ناحية الإباضية ليسوا من الخوارج⁽⁵⁾ ، ومن ناحية أخرى فقد أشارت العديد من المصادر التاريخية والجغرافية العربية — كما هو واضح في الأوراق السابقة من البحث — إلى علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان منذ ما قبل الإسلام وتمثلت تلك العلاقة في التجارة ، وبعد مجيء الإسلام ازدادت

(1) . الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي ، ص 10 .

(2) . ابن خلدون، العبر، ج 6 ، ص 237 .

(3) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 30 .

(4) . نبيلة حسن محمد، في تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة: دار المعرفة الجامعية ، بيروت : (د . ت)، ص 25 .

(5) . يعد إطلاق لفظ الخوارج على الإباضية من الدعايات المفرضة التي نشأت عن التعصب السياسي أولاً ثم المذهبي ثانياً، فلما ظهر غلاة المذاهب وقد خلطوا بين الإباضية والأزارقة والصفيرية والتجدية، فالإباضية لم يجمعهم جامع بالصفيرية والأزارقة ومن لم يحوهم إلا إنكار التحكيم بين علي ومعاوية، وهو رأي علي قبل الضغط عليه بقبول التحكيم، والإباضية لا يستبيحون مال المسلمين ولا دماء الموحدين. للمزيد انظر: صالح باجييه، المرجع

السابق، ص 4 .

وترسخت تلك الصلات . وفي هذا الصدد تشير بعض المراجع إلى جهود تجار جبل نفوسة وتاهرت، في نشر الإسلام وترى : " أن أول أشكال الإسلام التي عرفها السودان كان الإباضية "⁽¹⁾، كما يؤكد صحة هذا الرأي بعض المستشرقين مثل ليفيتسكي وماسكراي والأخير: " أكد أن الإسلام وصل حتى بلاد غانة عن طريق التجار الإباضية من رعايا الدولة الرستمية "⁽²⁾ فمن الطبيعي أن يقوم تجار الجبل خاصة العلماء والفقهاء منهم، وهم على مستوى عال من التفقه بمسئولية الدعوة، " وإذا ما دخل مثل هذا الرجل قرية وثنية فسرعان ما يلفت الأنظار بكثرة وضوئه وانتظام أوقات الصلاة والعبادة ... وإن ما يتحلي به من سمو عقلي وخلقي ليفرض احترامه والثقة به على الأهالي الوثنيين "⁽³⁾. كما يمكن ترجيح أسماء أخرى كان لها نفس الدور لم تذكرها المصادر بسبب الإهمال من ناحية، أو ضياع بعض المصادر التاريخية من ناحية أخرى .

(1) . جاك تيري، المرجع السابق، ص 528 .

(2) نقلاً عن محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 299 – 300.

(3) . توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن و عبد المجيد عابدين، ط 2 ، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1957 ، ص 391 .

الخاتمة

انتهت والله الحمد والمئة هذه الدراسة التاريخية، المتعلقة بدراسة الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي والأوسط، من القرن الثاني الهجري – الثامن الهجري / القرن الثامن الميلادي – الرابع عشر الميلادي، ويمكن أن نجمل أبرز ما أوضحتها هذه الدراسة في النقاط التالية:

1 (أن جبل نفوسة يقع ضمن سلسلة جبلية طويلة متصلة، تمتد من جبال أطلس (المغرب الأقصى) غرباً إلى مدينة الخمس بليبيا شرقاً (مرتفعات النقازة). وتطلق على أجزاء من هذا الجبل أسماء محلية منها : جبل درن (أطلس) بالمغرب والجزائر، وجبل الأوراس بالجزائر ، وجبل دمر ومطماطة بتونس، وجبال طرابلس في ليبيا وتسمي مسافة منه جبل نفوسة .

2 (أن تسمية جبل نفوسة جاءت نسبة إلى قبيلة نفوسة المستوطنة بالجبل منذ أوائل العصر الوسيط، إلى جانب عدة قبائل أخرى منها : هواره، وزناتة، ولواتة، وسدراتة، ومغراوة، وتمكنت قبيلة نفوسة من السيطرة على تلك القبائل تدريجياً، وبذلك كانت تسمية الجبل بنفوسة، إلا أنها تعد تسمية متحركة تتمدد وتتقلص حسب الظروف السياسية والاجتماعية، وأقصى امتداد لها من مدينة نالوت غرباً إلى مدينة يفرن شرقاً ، ويبدو أن هذه الوضعية للتسمية لها علاقة في إختلاف آراء الجغرافيين العرب حول تحديد طول جبل نفوسة .

3) تفاعل سكان الجبل مع بيئتهم الطبيعية التي تجمع ما بين ثلاثة أشكال جغرافية وهي: (الجبل، والجفارة، والظاهر) ومنحتهم أنماط وأساليب للعيش تميزوا بها عن غيرهم، فجمعوا ما بين حياة الحضر والاستقرار بمعرفتهم للزراعة، وبناء البيوت والمنازل، والاشتغال بالتجارة، وحياة شبه البداوة التي مارسوها في فصول أخري من السنة، وذلك بخروجهم إلى الجفارة للمراعي.

4) يعد الجبل من المناطق المأهولة بالسكان منذ التاريخ القديم، ودلت على ذلك الاكتشافات والدراسات الأثرية (رسوم، نقوش) وبذلك كان للجبل حضارته القديمة التي تطورت عبر العصور فأنشأ العديد من القرى والمدن على طول جغرافية الجبل، ولوحظ السكن في الغيران (الكهوف)، ثم عرف بناء البيوت بالمواد الطبيعية المحلية (الحجارة، والطين، والتراب، والجبس)، وعرف الزراعة ومن مغروساته: الزيتون والتين والكروم واللوز والحمضيات والنخيل كما زرع القمح والشعير والبقوليات، كما عرف الصناعة وقام بصناعة بعض من حاجياته اليومية مثل: المحراث، والرحى، والأواني الفخارية، والملابس والأغطية الصوفية.

5) تعاقبت الأديان على جبل نفوسة، وتعاصرت في نفس الوقت فمن الوثنية المتمثلة في عبادة وتقديس الأصنام والصخور، وعبادة الشمس والشجر، إلى الديانات السماوية (اليهودية، والمسيحية) إلى مجيئ الإسلام الذي دخل فيه الأهالي، وكانت له الغلبة على كافة الأديان الأخرى، حيث تحول الناس تدريجياً للإسلام طواعية ودون إكراه.

6) وصل الإسلام إلى جبل نفوسة على يد القائد عمرو بن العاص سنة 23 هـ، زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وفتح أهم مدنه شروس وكانت عاصمة الجبل وقتذاك، ويبدو أن الجبل تم فتحه صلحاً، ودخل أهله في الإسلام .

7) أدى سكان الجبل دوراً مهماً في الحياة السياسية ببلاد المغرب الاسلامي (الأديني، والأوسط) وساهموا بشكل أساسي في قيام الدولة الرستمية التي عاشوا في كنفها حتى سقوطها ، كما كان لهم حضور اقتصادي قوي بسيطرتهم على طرق التجارة العابرة للصحراء التي مكنتهم من الاتصال ببلاد السودان (الغربي والأوسط) ، وتفاعلوا مع سكانه تأثيراً وتأثراً .

8) في ظل الحضارة الإسلامية التي تدعو إلى التسامح والعدالة الاجتماعية، والحرية بمختلف معانيها ومستوياتها، فقد تعايشت الأقليات الدينية (اليهودية ، المسيحية) في جبل نفوسة إلى جانب سكانه المسلمين دون المساس بحريتهم الدينية والفكرية والاجتماعية إلى أن تحولوا تدريجياً وبطواعية إلى الدين الإسلامي .

9) بفعل تعاليم الدين الإسلامي توجه سكان الجبل إلى العلم والتعليم، فقاموا بالرحلات العلمية فرادي وجماعات إلى المراكز الحضارية العربية الإسلامية، وعادوا إلى الجبل لنشر العلوم والفنون، واهتموا ببناء المساجد والمدارس في مختلف قرى ومدن الجبل، وخاصة في المناطق التي تخلو من المدارس والمعلمين

وأنشأوا المكتبات العامة، وزودوها بالكتب في مختلف التخصصات، وبذلك خلقوا المناخ العلمي لطلاب العلم والمعرفة .

10) ظهر بجبل نفوسة عبر القرون الوسيطة العديد من العلماء والعلماء والفقهاء والمفكرين، الذين أسهموا بشكل كبير في ازدهار الحركة العلمية والثقافية بالجبل، فقاموا بتدريس الطلاب والتلاميذ الذين صاروا علماء فيما بعد، وقام بعض العلماء والمشايخ بالتجول في قرى ومدن الجبل لنشر العلم ومحاربة الجهل، والاهتمام بالعلوم والفنون بحثاً ودراسة، كما ألفوا الكتب في مختلف الفروع والمجالات، وقاموا بنسخها ونشرها.

11) أصبح لجبل نفوسة مكانة علمية وثقافية في بلاد المغرب، فقصده الطلاب من خارج الجبل فدرسوا في مساجده ومدارسه، ورجعوا إلي أوطانهم حاملين معهم علوم الجبل ونشروها في مختلف البقاع .

12) رحل العديد من علماء وفقهاء الجبل إلي مناطق أخرى في بلاد المغرب الأدنى والأوسط : (فزان ، غدامس ، جربة ، بلاد الجريد ، الجنوب الجزائري)، وساهموا في نشر الثقافة العربية والإسلامية .

13) ارتبط جبل نفوسة ببلاد السودان (الغربي والأوسط) بروابط وصلات وعلاقات منذ القدم، وخاصة العلاقات التجارية كغيره من مناطق الشمال الإفريقي ومنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء، وبعد وصول الإسلام إلي بلاد المغرب عامة، قام علماء وتجار الجبل بنشر الدين الإسلامي، واللغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية في تلك البقاع .

التوصيات

أوضح من خلال هذه الدراسة أن منطقة جبل نفوسة تعد من المراكز الحضارية ببلاد الغرب الإسلامي، وهي ما زالت منطقة بكر فلم تستوفي حقها من البحث والدراسة العلمية الجادة وخاصة الدراسات الأثرية والتاريخية ، فهذه المنطقة تزخر بالعديد من المخطوطات والوثائق في مختلف المجالات (دينية ، وتشريعية ، ولغوية، وأدبية، وتاريخية، وفلسفية وغيرها)، إلا أنها مشتتة عند الأهالي وأغلبها مخزنة بطريقة غير علمية . كما تتميز منطقة جبل نفوسة بوجود كم هائل من الآثار بعضها يعود إلى فترة التاريخ القديم، والبعض الآخر — وهو الأكثر — يرجع إلى التاريخ الإسلامي، إلا أن المؤسف في الأمر أغلب تلك الآثار في حالة سيئة للغاية وتتعرض للدمار والضياع، وتجنباً لتلك المخاطر توصي هذه الدراسة بما يلي : —

1 . إنشاء وتأسيس متحف يهتم بالآثار (صيانة وترميم) بالإضافة إلى الاهتمام بإجراء البحوث والدراسات الأثرية للمنطقة .

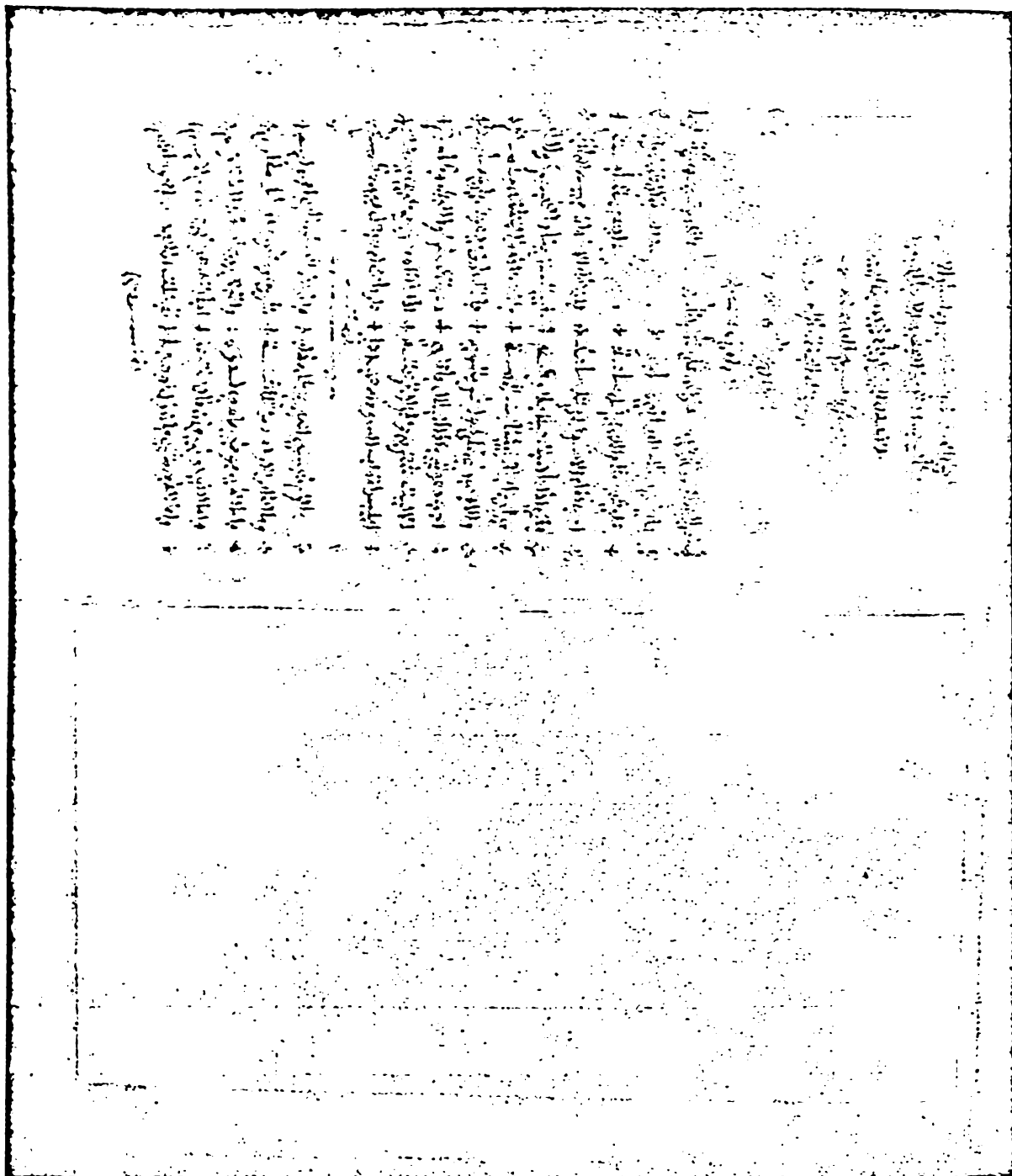
2 . إنشاء وتأسيس مركز للمخطوطات والوثائق ، وأن يهتم هذا المركز بجمع كافة المخطوطات والوثائق، ومن ثم تقوم عليها الدراسات والبحوث التاريخية .

الملاحق

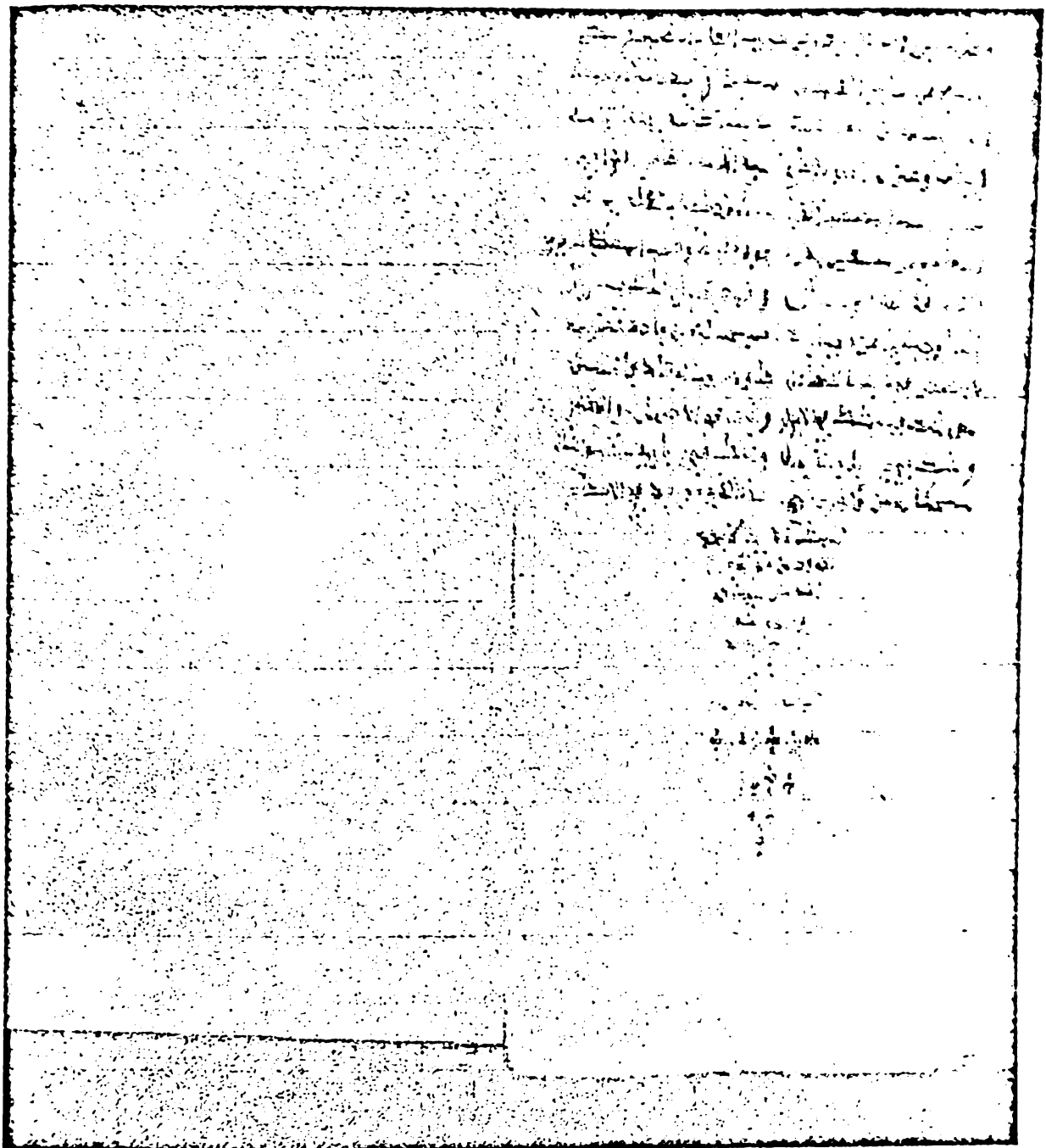
- نماذج من المخطوطات.
- قائمة المساجد الأثرية بجبل نفوسة.
- قائمة الولاية على جبل نفوسة.
- الخرائط.
- الصور الضوئية.

نماذج من المخطوطات

الورقة الأخيرة من مخطوط : (أصول الدينونة الصافية)
· تأليف : الشيخ عمرو بن فتح المساكني .



الورقة الأولى من مخطوط : (السير وأخبار الأئمة)
تأليف : الشيخ أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني .
(القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)



الورقة الأخيرة من مخطوط : (السير وأخبار الأنمة)
تأليف : الشيخ أبي زكرياء يحيى الوارجلاني .

تصنيف في تاريخ العرب قديماً

(1) تصنيف في التاريخ وقصص النبوة

رواه عنه في كتابه (تاريخ النبوة)
لقد كان في ذلك وقت من وقت النبوة
السلامة من عذبة
قصاره
وغيره
من جملته

سورة كثر
الاجتهاد
الملك
الدين
و (ضمام بن ابي ساري)
بن عوف
عبد الله بن يحيى
والله اعلم

الورقة الأولى من مخطوط : (سيرة أهل نفوسة)
تأليف : الشيخ مقر بن محمد البغطوري .
(القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)

بها ذوقها في كبرها ونحو ذلك في اربع الساعات فقاموا في الاضداد به واد
 رهم عن مرسى المطالب ورضي الله عنه انه قال العبد من عرف عن
 سبابة نفسه وقال بعض الحكماء من عرف نفسه عرف الله وسبابة
 ذلك النبي عليه السلام الله عز وجل نفسه وعرفني بنو عبد الله
 انه قال اذا علمت نفسك بما كرهت فلا تعلم انما اوجب
 ولا تدري انك شئت من غيرك بل اترك ذنوب الانسان ان يشغل به ولا يح
 نفسه لان دواعيها تنصرف الى الله وادفعا الشكل اللطيف والرائد
 لا يعرف صدمه انه عدو من اخوان الصالحين اذ كان من داخل سميت
 الحيلة فيه وعظم الضرر منه وقد قال النبي صلى الله عليه وآله
 عليه وآله انه اذا عرف الخطيئة حبت وقال النبي صلى الله عليه وآله
 والنازلة به ويجوز به والانساني في نفسه محبو به اذ كان في
 وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم كان اشد الايام
 فمن عرف نفسه عرف الله ومن عرف الله عرف نفسه وقال النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم في يوم كان اشد الايام من عرف نفسه عرف الله
 يدونها فانها كانت كذلك فانها كانت في تصفية وقال له
 وهو لا يشعر الا انه صدمه انه عرفه وانما كانت الاضداد الا انها
 الا انك لا تدري وضا لان يعرفها في نفسه من غيرها الا انما يطيبه
 التي تطيب به سبابة الامر ولا تصح له في البراقعة على الطاعة
 وانما يعرف بها ببوله على اربع الشهور التي هي معه في حياة
 الانسان معرفة بما بها وموتها من الموتى في اكمال القابل
 ولقد علمت بتعلمها من اجل انه كما انك تعرفه في الحسنة
 فترى كيف قلت له في مصلاه فانها هي التي تعلمها في التوفيق
 انما كان حالها انفس هكذا انما انما كان انما كان انما كان انما كان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هو القطار الخيرات

وقطاع النصارى

وبها التوفيق قال الله سبحانه حكاه في سورة يوسف عليه السلام
 وما جرى بنفسه اذ انفس الامارة بالسوء والاشباح والاشباح
 للديف من رسول الله صلى الله عليه وسلم انما عدت اذ دعيت لعل
 التي بين يديك ثم اهلك ثم علك لولا انك انما عدت اذ دعيت لعل
 فتات كذا الله بعد ذلك الا انه سلك فانها معه من انفس النصارى
 فذلي الى ما تصرفي داعي به كذا انما في الانصارى
 كذا في النصارى من غيري في هذا انما كان من غيري في النصارى
 فانما كانت خيرا بعد انما انما كان انما كان انما كان انما كان
 ففتنة في الانسان انما يشغلها بها في نفسها وعرفها عن غيرها
 شهرها وانما في النصارى فانما كان انما كان انما كان انما كان

الورقتين الاولى والثانية من مخطوط : (قناطر الخيرات)
 تأليف : الشيخ أبو طاهر إسماعيل الجبيطالي .
 (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)

جميعا كانا في الدنيا ورد الباطل على من خالده به . معناه كانا او
 انفسنا فاستخرجت اعلم النافع من كل كتاب علم لتفسيره والى
 على خطأ كان اوصواب ونقلت الحق المظهر من بين
 الشوك والسهم وراوية لله على الانسان ثم الحق وتعلمه
 من اى ان جمعها ولسان والله التوفيق وانا استغفر الله من
 جميع القول التي خالفت لعمالي واستغفر من كل نعمة انعم بها
 على تقويت بها على صديقه واستغفره من كل ذنوبه وعادته
 من انسى ثم اوف به واستغفر من كل امر اوردت به
 وجهه خالطه ما ليس له واستغفر من كل خيرة وخلة
 ونظره وحركة خالفت ما ليس الله فيه رضى او غاها الى صنع
 وولادة من كتاب الفناء والام والامر او بهى الظهور كاه
 رضى رضى به به التوفيق والاستغفار ان شئنا ان رضى الله
 واستغفره فيما صنعناه وقلناه لان رضىته واسعة وكريمه
 عظيم ووجوده على اصناف
 الخلق فانصن وبالله
 التوفيق
 وللايم
 ٢

اذم طبع الكتاب المشتمل على كتاب قناطر الخيرات بالمدينة المنورة
 الكاتبة بعليا اية بصر للشيخ على ردة منزلة من رة الاسناد
 الشيخ عبد البارقي وشركاه كان الله في عونهم بجاه خير
 ابيهم وقد وافق انما هو في جادى الثانية سنة ١٢٤٠

الورقة الأخيرة من مخطوط : (قناطر الخيرات)
 تأليف : الشيخ إسماعيل الجيطالي .

بان يكفر واو يبتئهم فاختاروا القتل على الاكفر وقتلهم ثم راعهم
 في قلبه فذلك سبوا اصحاب الرس فانما طالوت فامر كان
 غير السبب الذي فيه الملك فلذلك رغب عنه اصحابه وانما
 اذ ريس فانزله من الهوى كل يوم مثل على اهل الارض
 فاستاذن فيه ملك من الملائكة ان يواخيه فاذا له فيه
 الله عز وجل فلذلك قال فيه سبحانه ورفعاها كما انا عليها

سفر كتاب الجواهر
 بحمد الله وعونه

وحسين
 لؤلؤه

على ذمة ما ذكره الشيخ محمد بن يوسف المارون في شرحه للملاح
 سليمان بن مسعود الجدي ومن له رغبة في تحصيله
 ولطالعه من كان الملاح ساهما في الملائكة رغبته عليه
 اذ من الشيخ محمد بن يوسف المارون في تفسير والله المستعان
 واليه الاشارة والصلوة والسلام في المبدأ والختام
 على خير الامم والصلوة والتهنئة لظهور الاسلام واليه
 وسعيه انكلام ومن يتبعه بالاحسان الى يوم تزل فيه
 حج عتق الاقلام

اذا دخلت قبرك ودخل عليك نانا القبر منك ويكره فقال بحر
 وما منك ويكره يا رسول الله قال هل كان اسود ان ازرقات
 فطان على فطان بختان الارض بانها بما ريطان ونحوها
 فقال كذا ان يرمي يا رسول الله قال كذا كذا اليوم فقال
 اذا انكبتكم يا رسول الله ويكره ان ما يسيل من جسد الميت
 عيناها واول ما ينشق شعرة وروي ان ابراهيم رضى
 الله عنه قال كعب الاحبار ان سالك عن سبب ايات
 من كتاب الله فانه يخبر في الايمان في كتاب الله المترك
 ما يخبر ما عليه من ما سدره البنتى ما جنة الاوى
 ما اصحاب الرس ما قال طالوت رغب عنه اصحابه ما ان
 اذ ريس قال الله عز وجل فيه ورفعاها كما انا عليها فقال
 كعب والله نفسي بيده لا خير لك الايمان وجدت في كتاب
 الله المترك اما سبحان فانه شجرة تحت الارضين المسبح
 سواد مظلة مكتوب فيها اسم كل شيطان فاذا مضى
 نفس الكافر ويخرج برالى السماء غلفت عند ارباب السماء
 وروي ما فهم على سبحان ذلك سبحان واما عليه فاذ
 قبعت فممن المسبح بها الى السماء ونحت لها ابواب السماء
 حتى يتبعها الى البرزخ يخرج كل من المرث فتمت له منزلة
 وكرامته فذلك عليه واما سدره البنتى فانه سدر من
 عين المرث البنتى اليها مع العالم فلا يعلم اللما ما وراء
 تلك السدره واما جنة الماوى تاوى اليها الارواح الموقنين
 واما اصحاب الرس فانهم قوم كانوا يعبدون الله
 في ملك ملك صار لا يعبد الله فيه صبرهم خير وا

الورقتين الأخيرتين من مخطوط (الجواهر المنتقاة)
 تأليف: أبو الفضل البرادي .

(٧٧)

وقد اشتهر السور بعصمته الله من قول يظن المصدق وعفوا لنا ما
فيه اليقين من التوراة الربيع وسبق ان علي سيدنا محمد باله وسه
التي بالقرية الشيخ الامام بن فونق والاسم في اهل ارض
سلا الاكرام احمد بن ابي مهران سعيد بن محمد او ابا الشماخي
البنين بل ارض الله ومنه في تزيينه من اياه وجيله من تزيينه واداء
وله فضل وساقية نال عماد بن محمد بن ابي ابي روي رحمه الله
وان الله في العرش انان على اللذ ورا ذكره في زادك اذ هو من
يذكره ما تيسر وحرر ولي التيسير وفيه الله التوفيق والذوار انهم
اشهر قال وتوفي المصنف رحمه الله في شهر ربيع جاري سنة ثمان
وعشرين بعد تسعين وقد اقلت هذه النسخة من نسخي

مفتحة من نسخة

مخطوطة الاول

رحمه الله

فتح

ابن

١٣ ٢

(٧٨)

عقدا فقد ائتمنا من ابي يوسف وقر عليه كابو يوسف ما ائتمنا ان
احدا يقارن به في العمل والفضل والبلية فكلواها علامة ومهر ائتمنا
من عماد بن محمد بن ابي القاسم البرقي ابو بكر بن يحيى بن ابي البر
وكان شيخا جليلا فاملا مطالعا في الناس وله قدرة على الشعر نظم
جمل الاعراب شعر العنق التي لها على والى لا عملها كثير جدا منها
ابن عامر بن يحيى بن زكريا بن محمد بن ابي القاسم بن ابي
عفيف صالح ومنهم ابو عبد الله محمد بن عثمان بن ابي
احمد بن محمد بن ابي ساكن عامر بن ابي الشماخي وسكن في ارضه
سكنت في ارضه فانه بعض الناس الذين لم يكن ذلك منهم من اهل العلم
واستغفر الله من كل غفلة وزلل وسكن ابو عبد الله بن ابي عثمان
سعيد بن عبد بن ابي كان شيخا فاضلا وعرفه الله في زمانه بحججه
وانه رساله ارساهم الى اهل ارضه بلان فيها الراد على اهل ارضه والسبب ان
بعضهم نقل فيهم على من جهلوا بالامسية وذكره في القفيل في
من ارضه بلان فارتفعوا الى اهل ارضه فاجابهم ورد اليه الى ارضه وما
اجاب ما نقس به الا يمشي ومنهم ابو عبد الله محمد بن ابي البرقي
الصفه بنان وكان شيخا فاضلا عند العلم منه جماعة وهو الذي سأل الشيخ ابا
المنذر ابا القاسم من حد وروى عن العلم ترصتها انها اجاب فيها او ائتمنا عليه
تفسيره لان ابا القاسم اظهر فيها علمه وتبين درجته فيه ومنهم ابو عثمان
سعيد السديكي والعلامة في ذكره في ارضه فاجابه الكفاية وليكن
هذا آخر ما فيهم والحمد لله رب العالمين والحمد كما جازت في
السنن ابا القاسم بن ابي القاسم بن ابي القاسم بن ابي القاسم بن ابي القاسم
والحمد لله رب العالمين والحمد لله رب العالمين والحمد لله رب العالمين

وقته

الورقتين الأخيرتين من مخطوط : (السير)
تأليف : الشيخ أبو العباس أحمد الشماخي .

قائمة المساجد الأثرية في جبل نفوسة

قائمة المساجد الأثرية* بجبل نفوسة

مرتبة من الغرب إلى الشرق:

رت	اسم المسجد	مكانه	ملاحظات عامة
1	مسجد أبو خليل الدركلي	قرية دركل (الحرابة)	وهو عبارة عن (غار) بناء تحت الأرض، وتوجد به كتابة تاريخية تعود لسنة (535هـ/1130م) نسبه إلى الشيخ أبو خليل
2	مسجد أبو عبدة الجنائري	قرية إيجناون (جادو)	لم يبق منه سوى جدار بسيط أسفل المسجد الحديث (زرته ووثقته بالصور الضوئية)
3	مسجد أبي عثمان سعد بن يونس	طمزين	ما زال بحالة ممتازة وذلك لتعاهد أهالي طمزين بصيانته وترميمه
4	مسجد الشيخ أبو معروف	مدينة شروس	وهو البناء الوحيد الذي ما زال قائماً بشروس وحالته جيدة

* هذه المساجد التي زرناها ووقفت عليها بمناطق الجبل وبعضها معروف التسمية وبعضها الآخر لم أوفق حالياً في معرفة أصله ومن بناه فنسبها للمنطقة الواقعة فيها، وأغلبها كان له دور علمي وثقافي بالغ، وبذلك تعد ثروة وطنية لبلادنا ليبيا الحبيبة، وعنوان لحضارتنا وتراثنا وأرد الإشارة هنا وبالبحاح شديد أننا في حاجة ماسة جداً للصيانة والترميم لحمايتها من الضياع والإندثار.

5	مسجد إلياس أبو منصور	في تدميرة بموقعها الأول قبل أن تنتقل في موقعها الحالي على الحافة	مازال بحالة جيدة لإهتمام وعناية أهالي تدميرة به بالرغم أن آخر صيانة له كانت عام 1964م، توجد به كتابة على لوحة حجرية حمراء اللون تعود للقرن ؟
6	مسجد عمرو بن فتح المساكني	قرية أموساكن (قطرس حالياً)	مازالت حالته جيدة لوقوعه بالقرب من مساكن أهالي قطرس حالياً
7	مسجد إيبانين	قرية إيبانين	هذا المسجد بالرغم من وقوعه بقرية إيبانين المهجورة من السكان إلا أن حالته جيدة ومازال قائماً
8	مسجد إمسراتن	مدينة جادو	المسجد الأثري قد هدم لأكثر من مرة على مر السنين واليوم مستحدث المسجد على الطراز الحديث
9	مسجد أبو يحيى الفرستاني	قرية فرسطا	حالته جيدة ومازال قائماً وبه في الداخل كتابة حديثة على رخام بيانات ومعلومات حول الشيخ أبو يحيى كتبها الشيخ علي منصور

هذا الامسجد عبارة عن غار تحت الأرض وبه أقواس	قرية الجزيرة	أبو النبي مامد بن يانس	10
مازال قائماً وبجالة جيدة	قرية تمصمص	مسجد أبي محمد خصيب التمصمصي	11
حاله جيدة وهو بمدخل القرية	قرية طرميسة	مسجد أبو موسى عيسى الطرميسي	12
عبارة عن غار تحت الأرض وتم فوقه بناء مسجد حديث	قرية مزغورة	مسجد أبو زيد التمزغورتي	13
هذا المسجد يعود لفترة تسبق الشيخ عامر وتوجد به في الداخل على إحدي أقواسه كتابة وتاريخ ربما يعود لسنة مائة وسبعة أو تسعة هجرية	مدينة يفرن بقرية المعانين	مسجد أبو ساكن عامر الشماخي	14
لم يتبق من هذا المسجد سوى بيتين والقسم الأكبر منه قد تساقط وتهدم ويبدو أنه كبير المساحة	مدينة تملوشايت	مسجد أبو نصر التملوشايتي	15
مازال قائماً وبجالة جيدة وهو بجوار الطريق العام بقرية ماجر	مدينة تملوشايت	مسجد عيسى بن زرعة التملوشايتي	16

17	مسجد أبو هارون التملوشايتي	مدينة تملوشايت	—
18	مسجد أوتلجام	قرية أوتلجام	هذا المسجد متساقط البناء وحجارته متراكمة كبقية المباني الأخرى في القرية لهجرة ورحيل سكانها، لم أعثر على اسمه أو معلومات تاريخية حوله
19	مسجد الجزيرة	قرية الجزيرة	لم يتبق من هذا المسجد سوى حجارة الأساسات يارتفاع لا يتجاوز المتر الواحد ويبدو أنه كان مسجداً كبيراً ومتسعاً ولم أعثر على اسمه أو معلومات تاريخية حوله
20	مسجد تحارت	طمزين	هذا المسجد هو عبارة عن غار تحت الأرض ربما يعود لفترة قري ومدن الغيران والكهوف
21	مسجد ولي العهد المرقسي	قرية مرقس	
22	مسجد أبو الحسن الإبديلاني	قرية إبديلان	قسماً منه بحالة جيدة والقسم الأخر متساقط
23	مسجد إبديلان	قرية إبديلان	لم أعثر على اسمه

24	مسجد تحواريت (الداخلية)	قرية تمزدا	مازال بحالة جيدة
25	مسجد تحواريت (الخارجية)	قرية تمزدا	مازال بحالة جيدة
26	مسجد الحواريين	قرية فرسطا	مازال بحالة جيدة
27	مسجد أبو زكريا الأرجاني	قرية أرجان	—
28	مسجد تغليس	قرية فرسطا	حاله جيدة
29	مسجد علي بن يخلف التميمي جاري	قرية تميمي جاري (أولاد بوجديد حالياً)	كما يسمى مسجد بين القصرين لوقوعه بين قصري المالطي وأولاد بو جديد ونظراً لقربه من مساكن الأهالي فحاله جيدة ومازال يصلي به الأهالي إلى يومنا هذا
30	مسجد أبو نصر	قرية تمزدا	حاله جيدة
31	مسجد جادو	جادو	حاله جيدة
32	مسجد تحواريت	قرية طرميسة	حاله جيدة
33	مسجد أرجان	قرية أرجان	—
34	مسجد أبو زكريا	قرية مزو	حاله جيدة
35	مسجد الأعلى	مدينة لالوت (نالوت حالياً)	حاله جيدة
36	مسجد الرحبة	مدينة لالوت (نالوت حالياً)	أقدم زمناً من الأعلى

37	مسجد تيندرار	مدينة لالوت (نالوت حالياً)	قسم منه قد تمت صيانته حديثاً وقسم مازال بحالته الأثرية وهو بجوار الطريق العام في صعود جبل نالوت
38	مسجد أمنا حواء	مدينة يفرن قرية قصة بن مادي	هذا المسجد مازال قائماً وحالته جيدة ولموقعه بين منازل الأهالي تمت صيانته من قبل فضلاء قصة بن مادي وحالياً تقام فيه الصلوات الخميس
39	مسجد أم الصفار	قرية أم الصفار	حالته جيدة
40	مسجد جريجين	قرية جريجين	عبارة عن بناء أثري مازال قائماً ومهجور
41	مسجد أبو قفة	قرية بغطورة	لم يتبق منه سوى بقايا الجدران ومكان الخراب ينسب هذا المسجد للشيخ أبو القاسم البغطوري
42	مسجد أبو شيبدة الدجي	قرية دجي	مازال قائماً وبحالة جيدة رغم هجرة السكان من القرية
43	مسجد أبو عثمان المزاوي	قرية دجي	كذلك بحالة جيدة
44	مسجد أبو الليث	ما بين قريتي تلات أونميرن وإيجناون	حالته جيدة
45	مسجد الشيخ يونس	قرية تندباس	حالته جيدة

46	مسجد الشيخ يونس	مدينة جادو	—
47	مسجد نانا مارن	قرية جماري	—
48	مسجد أبو محمد عبد الله الوزيري	قرية ونزيرف	حاله جيدة لأهتمام فضلاء قرية ونزيرف به
49	مسجد ونزيرف	قرية ونزيرف	هذا المسجد حاله متبالكة وحجارته في قسم منه متراكمة ولم أعثر على اسمه
50	مسجد أبو يحيى زكريا السدراتي	قرية ونزيرف	—
51	مسجد سيدي سليمان	قرية فرسطا	عبارة عن غار
52	مسجد أبو زكريا التوكيتي	قرية توكيت	عبارة عن بناء تحت الأرض تمت تسويته وقمذيه وحاله جيدة
53	مسجد أبو ميمون الجيطالي	قرية جيطال	حاله جيدة
54	مسجد إسماعيل الجيطالي	قرية جيطال	—
55	مسجد أبالي الفساطوي	جادو	عبارة عن غار
56	مسجد أبو محمد الكباوي	مدينة كباو	عبارة عن غار تحت الأرض وحاله من الداخل جيدة لأهتمام فضلاء مدينة كباو به وهو اليوم مجاور لمسجد القشقاشة
57	مسجد أبو رغوة	في وادي إكرين	يبدو أن صيانه مستمرة
58	مسجد أبو ربيع	في وادي إكرين	مازال قائماً وحاله جيدة
59	مسجد آت بارون	قرية آت بارون	مازال قائماً وحاله جيدة

60	مسجد الحاجة مسعودة	طمزين	لوقوع هذا المسجد بين منازل الأهالي فتم صيانته من قبل فضلاء قرية طمزين بشكل مستمر
61	مسجد الثنية	قرية ترغت	هذا المسجد الأثري حالته جيدة لموقعه بين صخور الثنية توجد به كتابة على سقفه تعود للقرن 9هـ/13م لم أعر على اسمه الأول
62	مسجد ترغت	قرية ترغت	حالته جيدة وينسب إلى أبو القاسم الترغتي
63	مسجد توزنرت	قرية توزنرت	قسماً منه تساقط
64	مسجد المتيونية	قرية متيون	حالته جيدة
65	مسجد نوح المرساوي	قرية إمرساون	حالته جيدة لإهتمام فضلاء قرية إمرساون به
66	مسجد أبو محمد	قرية تنومات	—
67	مسجد أبو سليمان الكمزيني	قرية كمزين	—
68	مسجد وشيشال	ككلة	—
69	مسجد تكيت		—
70			

قائمة ولاية جبل نفوسة

قائمة ولاية جبل نفوسة

تولي حكم جبل نفوسة مجموعة من الولاة، بعضهم تولي زمن الدولة الرستمية، والبعض الآخر بعد سقوطها بإتفاق العلماء والمشائخ، وينبغي الإشارة إلى أن معظم أولئك الولاة كانوا على درجة عالية من العلم، وامتحن بعضهم إلى جانب وظيفة الوالي وظائف أخرى مثل: القضاء والحسبة والتدريس وغيرها. وهذا ما يتضح من خلال الإشارات الواردة في المصادر، وسوف نورد أهم أولئك الولاة وزمن توليهم، حسب التسلسل التاريخي على النحو الآتي:

أولاً: الولاة زمن الدولة الرستمية:

ر.ت	اسم الوالي	الفترة الزمنية	ملاحظات تاريخية
1	السمح بن أبي الخطاب	171هـ/222م	تولي زمن الامام عبد الوهاب الرستمي
2	أبو الحسن أيوب بن العباس	حي بعد: 204هـ	تولي زمن الامام عبد الوهاب الرستمي
3	أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني	ت بعد: 211هـ/826م	تولي زمن الامام عبد الوهاب الرستمي، ثم عاصر أفلح بن عبد الوهاب، ومركزه مدينة جادو، وامتحن مهنة المحتسب إلى جانب الولاية

4	العباس بن أيوب	حي في: 208هـ/823م	زمن الامام أفلح بن عبد الوهاب
5	أبو ذر أبان بن وسيم الويغوي	عاش في ق: 3هـ/9م	لم تتجاوز ولايته سبعة أشهر، تولى زمن الامام أفلح بن عبد الوهاب
6	أبو منصور إلياس التندميرتي	حي في: 261هـ/874م	تولى زمن الإمام أبي اليقضان، ثم زمن الإمام أبي حاتم، وفي عهده تم القضاء على الحركة الخلفية.
7	أفلح بن العباس	حي في: 283هـ/896م	تولى زمن أبي اليقطان، وأقيل بعد معركة مانو، ثم تولى بعدها مرة أخرى
8	أبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي	حي بعد: 283هـ/896م	تولى بعد معركة مانو مباشرة بإتفاق مشايخ الجبل، كما مارس مهنة القضاء

ثانياً: الولاة بعد سقوط الدولة الرستمية، وتولوا باتفاق مشائخ وعلماء
الجبيل:

ر.ت	اسم الوالي	الفترة الزمنية	ملاحظات تاريخية
1	أبو يحيى زكريا الأرجاني	ت عام: 325هـ/936م	مارس مهنة القضاء إلى جانب كونه والياً، مات في معركة تبركت ضد العبيدين
2	أبي عبد الله بن أبي عمر	تولي عام: 325هـ/936م	وهو حفيد إلياس أبو منصور، تولي فترة يسيرة ثم أقيـل عن الحكم
3	أبو زكريا بن أبي يحيى الأرجاني	حي بعد: 340هـ/951م	دامت فترة ولايته حوالي ستون عاماً ومات بعد عودته من إحدى المعارك ضد العبيدين، وأغتاله رجل من طرميسة
4	أبو محمد زيد بن أفصيت الدرفي	عاش ما بين: 300 — 350هـ/912 — 961م	تولي إلى جانب الحكم القضاء وكان مقره بجادو
5	أبو يحيى سليمان بن ماطوس	حي في: 283هـ/896م	أصله من مدينة شروس
6	أبو عبد الله بن جلداسن اللالوتي	حي ما بين: 300 — 350هـ/912 — 961م	تولي باتفاق العلماء والمشائخ بالجبيل

7	أبو زكريا يحيى بن سفيان	حي ماين: — 350 — 400هـ / 961 — 1009م	أصله من مدينة نالوت
8	أبا سليمان التدميري	—	تنازل عن الحكم طواعية للشيخ أبو عمرو الشروسي
9	أبو عمرو ميمون الشروسي	حي ماين: — 350 — 400هـ / 961 — 1009م	شاع في عهده الأمن والعدل وكانت له علاقات طيبة ومتينة مع حكام وأهالي بلاد السودان الغربي
10	أبو الفضل سهل	عاش خلال ق: 4هـ/10م	له جهود قوية في إعادة الهدوء والسلام للجبل بعد سيطرة القبائل الأخرى عليه ومنها قبيلة زناتة، كما له جهود مباركة في إصلاح الفساد في مدينة غدامس
11	أبو محمد عبدة بن زارود التغميني	أوائل ق: 4هـ/10م	لم يوفق في الحكم فتنازل طواعية للشيخ أبو إسحاق الإشاري
12	أبو إسحاق الإشاري	ق: 4هـ/10م	أصله من قرية إشارن وهي حالياً من ضمن قرى الرجبان

أصله من مدينة تملوشايت، وعندما صار والياً أقام في قرية إيبانين وله هناك مسجد منسوب إليه زرته وهو مازال بحالة جيدة	أواخر ق: 4هـ/10م	أبو هارون موسى التملوشايتي	13
من مدينة تملوشايت وهو نجل الوالي السابق	ق: 5هـ/11م	أبو الربيع سليمان بن موسى التملوشايتي	14
سليل أسرة الباروني العريقة في السياسة والعلم بجبل نفوسة خلال العصر الوسيط	ق: 5هـ/11م	هارون بن سليمان بن أبي هارون موسى بن هارون الباروني	15
—	ق: 5هـ/11م	أبو زكريا يحيى بن إبراهيم	16
سليل الأسرة البارونية المشهورة	حي في عام: 722هـ/1322م	إبراهيم بن أبي يحيى زكريا الباروني	17
			18

الخرائط

- خريطة (1) توزيع القرى والمدن في جبل نفوسة
- خريطة (2) طرق القوافل التجارية من جبل نفوسة إلى بلاد السودان الغربي والأوسط.

الصور الضوئية

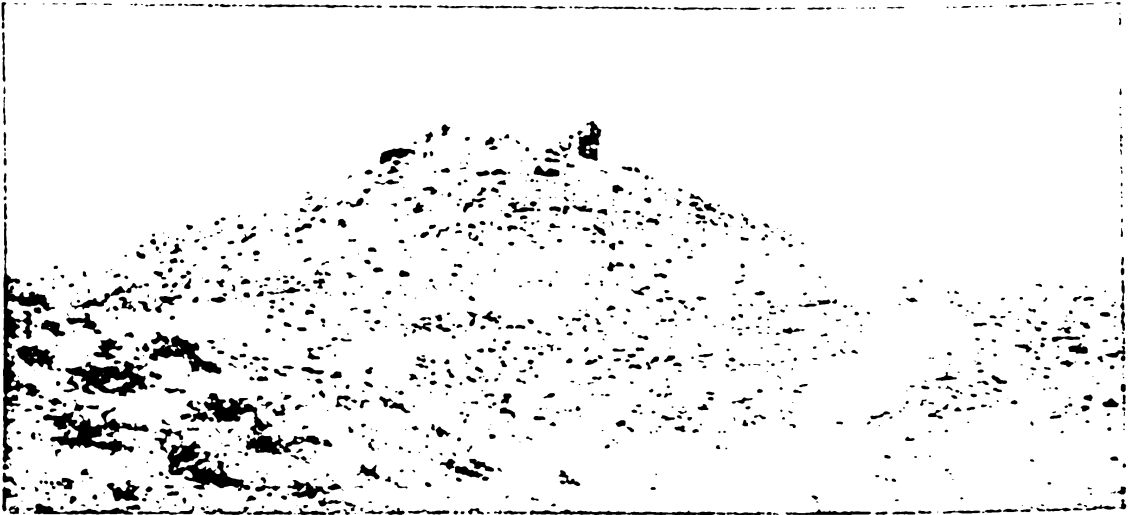
لبعض القرى والمدن

وأهم المعالم التاريخية والأثرية بجبل نفوسة



الصورة رقم (1)

مدينة شروس من الناحية الغربية، والمدينة تحولت إلى أطلال دارسة لم يبق منها سوى مسجد أبو معروف المشار إليه على يسار الصورة ، وإلى يمينه بقايا قصر فوق الربوة، وهي من أكبر المدن وأشهرها وكانت عاصمة الجبل في العصور الوسطى، وتحيط بها الجبال من جميع الجهات ماعدا من الشمال حيث يمر الوادي ، ومدخل المدينة . زرتها يوم الجمعة عام 2004 .



بقايا قصر في مدينة شروس ، كان يستعمل لتخزين قوت وتموين الأهالي ويقع فوق ربوة عالية لتسهيل حمايته والدفاع عليه، وهو بجوار مسجد أبو معروف على يمينه، وقد تساقطت حجارتة ولم يبق منه إلا أجزاء بسيطة.

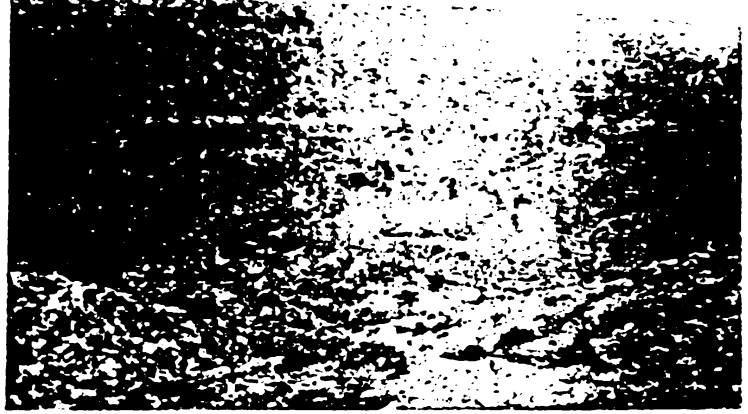


الصورة رقم (2)

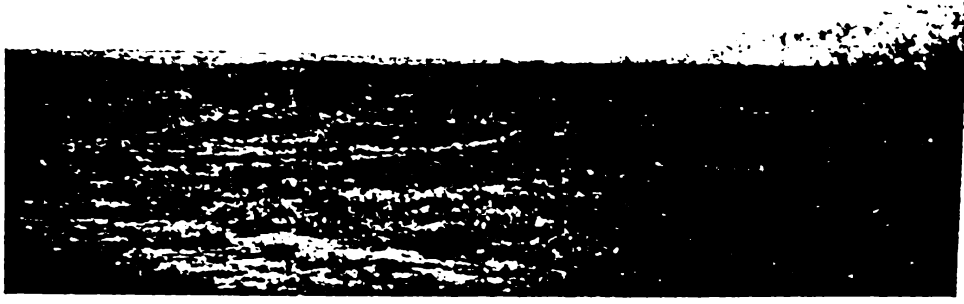
قرية إيجناون من الناحية الجنوب شرقية إحدى قرى مدينة جادو تبعد عنها حوالي 4 كلم ، وأختلطت فيها المباني الحديثة بالقديمية ، وتقع في سفح جبل أسفل عين وقرية تموجط، ويوجد بها مسجد أبو عبيدة الجناوني ، وهي محاطة بين ثلاث جبال من الشرق والغرب والجنوب، وهي واقعة تحت الجبل الشرقي، الذي توجد فيه ثلاث قرى وهي : يوجلين، وأوشباري، وتلات أونميران، ويحدها من الغرب جبل فوقه ثلاث قرى أخرى وهي : مزغورة، وتندباس، وجماري وقرية إيجناون مرت بعدة مراحل منها : مرحلة سكن الغيران في سيح أقمار، والثانية أسفل الجبل وأشتهرت القرية بصناعة الفخار أو القلال، وحجر الرحي لطحن الحبوب . زرتها عام 2004 .



بساتين قرية إيجناون التي كانت قديماً حدائق وجنانن، تعتمد على مياه عين تموجط التي تظهر في أعلي الصورة، ويذكر الشماخي : " أن عين إيجناون تدور على أنثي عشر ألف زيتونة " . كما كانت تشتهر بغراسة النخيل، وهذا يشير إلي الإزدهار الزراعي للقرية



صورة رقم (3): تبين ثلاث نماذج من قصور الجبل المتعددة: (الأعلى قصر فرسطا)، و(الأوسط قصر كباو)، و(الأسفل قصر دركل).



الصورة رقم (4)

مدينة ويغو من الناحية الغربية، وتظهر في الصورة آثار الأبنية والغيران التي كانت تتخذ مساكن للأهالي، ومن خلال تناثر المباني يتضح إتساعها وكبر حجمها، وهي تقع جنوب الحراة حوالي 10 كلم، زرتها عام 2004 .



نماذج لبعض الأبنية بمدينة ويغو، وهي تظهر الفن المعماري الإسلامي .



الصورة رقم (5)

قرية دركل من الناحية الغربية، وتبعد عن مركز الحراية حوالي ١٠ كم، وتقع فوق ريوثة عالية تشرف على وادي دركل، الذي يصب في وادي شروس، ويتجه شمالاً ناحية سهل الجفارة، ويظهر في أعلى قمة الربوثة قصر دركل، وتحيط به آثار بناء المساكن والبيوت، وهي حالياً عبارة عن خرائب وآثار هجرها أهلها . زرتها عام 2004 .



المؤلف جالس وسط ركام، وبين آثار قرية دركل



المدخل الغربي لقصر دركل ويقع في أعلى الربوثة ، مازالت آثاره باقية ومن الناحية الشرقية يفصله خندق طبيعي ليكون محصناً .

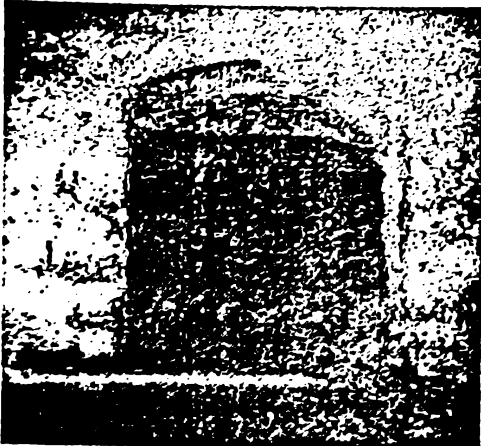


صورة رقم (6) المؤلف أمام مدخل المسجد الذي نسبه إلى الشيخ أبو خليل الدركلي بقرية دركل، ويقع أسفل الربوة وأثار القرية ومساكنها. وفي هذا المسجد توجد كتابة تبين سنة 535هـ.

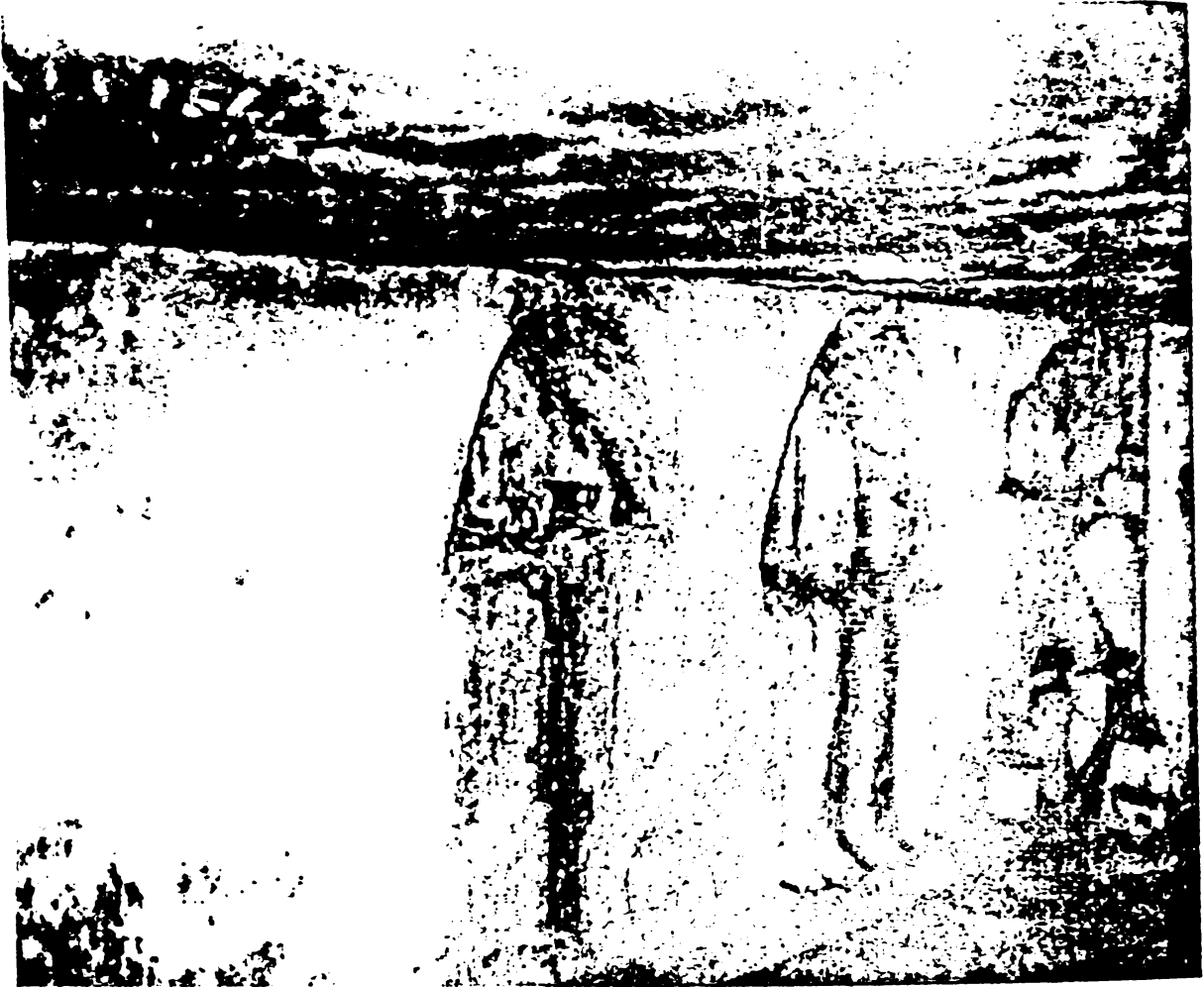
أقواس من داخل مسجد أبو خليل



الدركلي..

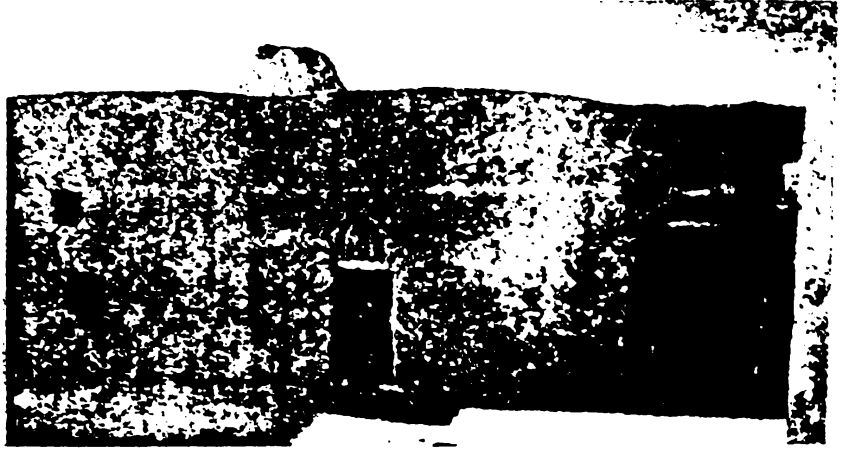


محراب المسجد في حالة عودة إلى طبيعته الأولى.

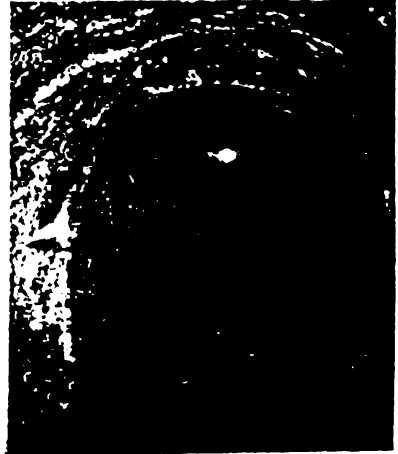


الصورة رقم (7)

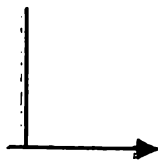
جدار من مسجد الشيخ أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني، بقرية إيجناون، هذا الذي تبقي من المسجد الأثري حيث قام الأهالي وللأسف الشديد بهدم المسجد الأثري في إطار بناء مسجد حديث عام 1392 هـ / 1972 م والمسجد على ما يبدو كان متسعاً أيام الشيخ عبد الحميد خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، حيث تذكر المصادر التاريخية : أجمع به سبعون عالماً . وكان هذا المسجد أحد المؤسسات التعليمية حيث قام الشيخ عبد الحميد بالتدريس فيه، زرته عام 2004 .

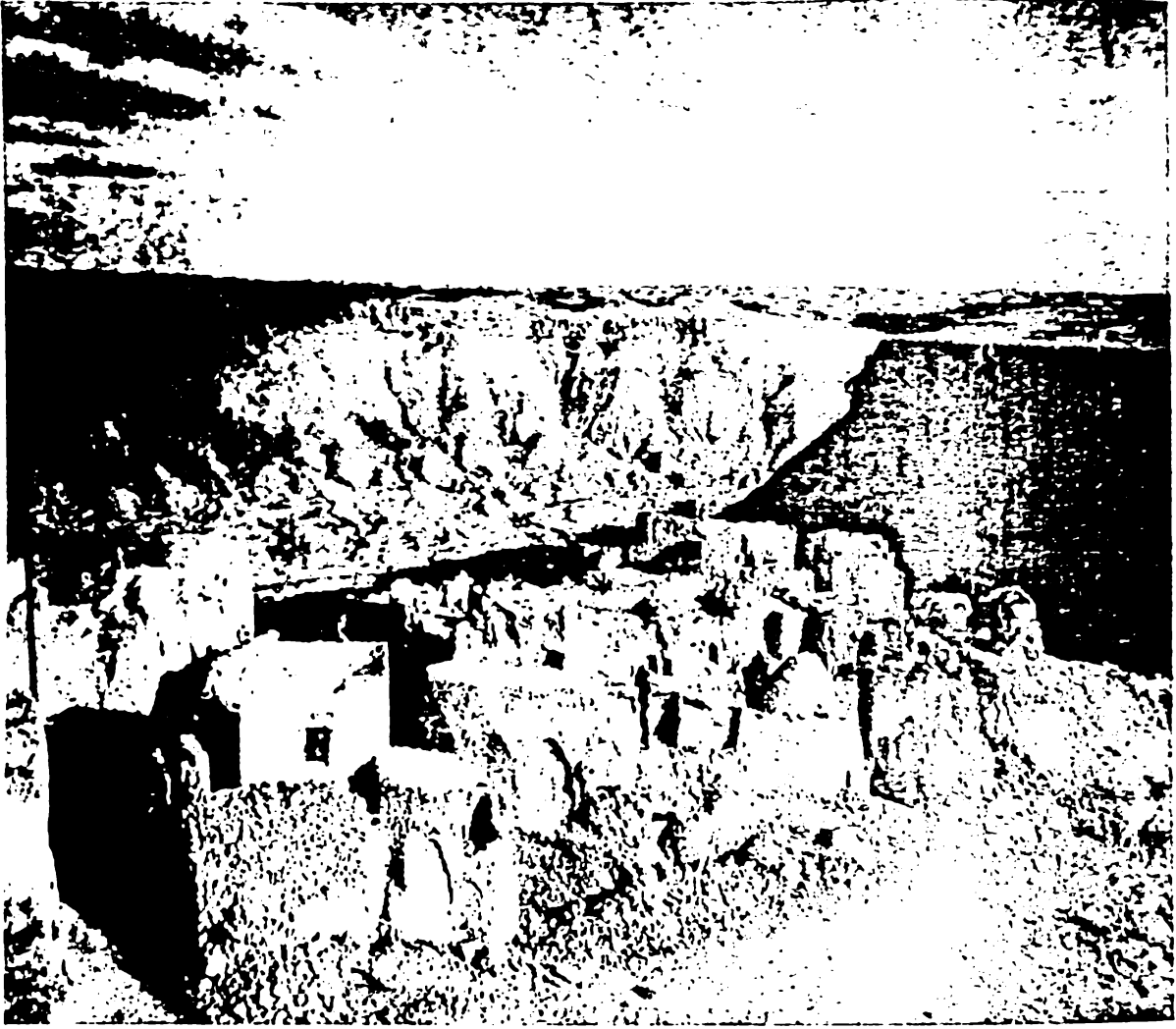


الصورة رقم (8) مسجد ومدرسة الشيخ أبو عثمان سعد بن أبي يونس الطمزي، في منطقة أبو خروية بمدينة طمزين ، وهذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان قبل الانتقال إلي حافة الجبل، والمسجد ما زال بحالة جيدة، وهو متسع نسبياً فطوله حوالي تسعة أمتار وعرضه ثمانية ونصف أمتار ، بابه يفتح من التلحية الشرقية ، وفوقه منذنة صغيرة . قام الشيخ سعد بالتدريس فيه ، كما درس به العديد من المشايخ ، ولعب دوراً كبيراً في نشر العلوم والفنون ، وأمد نشاطه حتى القرن الثامن الهجري ، زرتة عام 2004 .



من داخل مسجد ومدرسة الشيخ أبو عثمان
محراب مسجد ومدرسة الشيخ أبو عثمان





الصورة رقم (9)

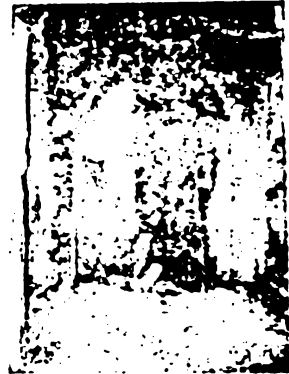
قرية طمزين من الجهة الشرقية ، وتظهر منازل وبيوت القرية على حافة الجبل وتطل على وادي طمزين ، تأسست في أواخر القرن الثامن الهجري / للربيع عشر الميلادي . وذلك لوجود تاريخ مكتوب على صخرة بجانب قصر طمزين (775هـ) وشاهد الأهالي هذا التاريخ، وقبل تأسيسها كان الأهالي يسكنون إلى الجنوب منها في منطقة تحارت في مرحلة سكن الغيران والكهوف، والتي مازالت آثارها باقية . وقرية طمزين يحدها من الشمال وديان وجبال ثم سهل الجفارة، ومن الجنوب منطقة الظاهر، ومن الشرق وادي طمزين، ومن الغرب حافة الجبل ووادي عميق يفصلها عن قرية فرسطا ، زرتها عام 2004.



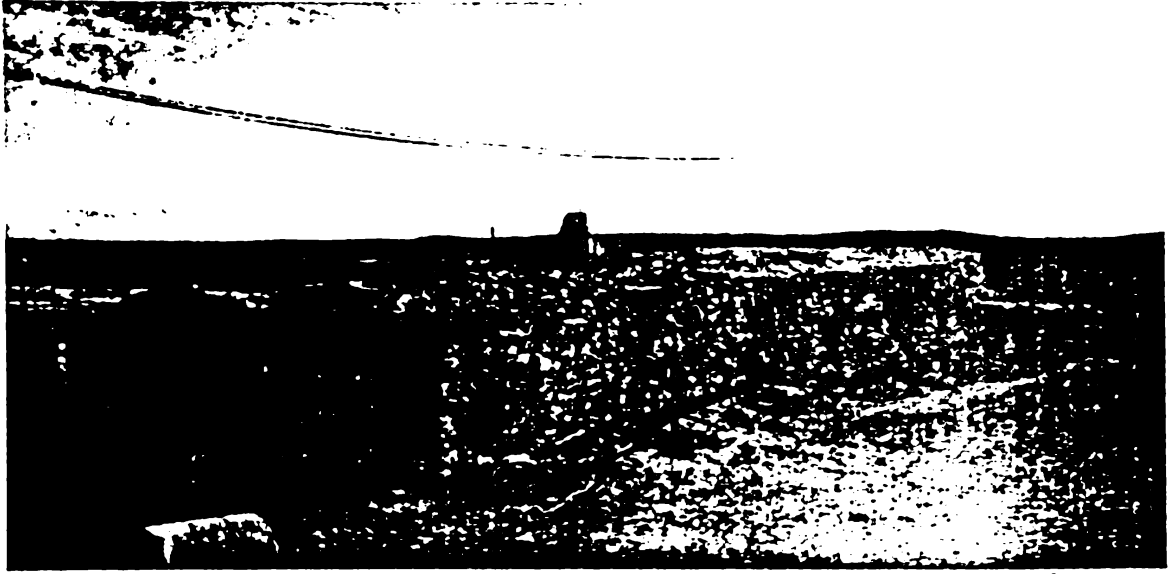
الصورة رقم (10) المؤلف أمام المدخل الشرقي لمسجد الشيخ أبو معروف ويدران بن جواد، بمدينة شروس، والمسجد مازال بحالة جيدة، وهو البناء الوحيد تقريباً الذي مازال قائماً وسط ركام وحطام المدينة ، وهو من المساجد الكبيرة في الجبل، طوله 15 متر وعرضه 15 متر ، ويرجع بناؤه إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وهي فترة مبكرة في التاريخ الإسلامي، وللمسجد بابان شرقي وغربي، وكانت توجد فوق الباب الغربي من الخارج كتابة عربية بالخط الكوفي إلا أن يد العابثين قد عبثت بها، كما توجد فوق سطح المسجد منذنة من الناحية الجنوبية، والمسجد مبني على الطراز الإسلامي به بعض الزخارف وبه بعض الآيات القرآنية ، ساهم في نشر العلوم والفنون الإسلامية، ويبدو أن آخر صيانة تمت للمسجد كانت عام 1275 هـ ، وهو التاريخ المكتوب على أحد سقوف المسجد، على يد محمد فرج الوازني ، والمسجد اليوم في حاجة ماسة إلى الصيانة والترميم كما هو في حاجة إلى الدراسات الأثرية والتاريخية ، زرتُه عام 2002 و 2004 .



جانب آخر من داخل مسجد الشيخ أبو معروف ويدران بن جواد وتظهر الأعمدة والأقواس من فنون العمارة الإسلامية في مساجد جبل نفوسة خلال العصور الوسطى .



محراب مسجد الشيخ أبو معروف وهو معرض للخراب وقد سقط العمود الرخامي الأيسر .



الصورة رقم (11)

مسجد الشيخ أبو منصور إلياس ، ويظهر بابه الشرقي وتعلوه منذنة صغيرة، والمسجد كان أكبر حجماً من حجمه الحالي، ويتضح ذلك من خلال الآثار الملاصقة للمسجد من الناحية الشمالية وطوله حوالي 5 . 18 متر ، وعرضه كان 16 متر ، سقط منه حوالي 9 أمتار فبقي 7 أمتار والمسجد يتكون من خمسة بيوت كل بيت حوالي ثلاثة أمتار عرض . والمسجد له بابان شرقي وشمالي، ويوجد به عشرة أعمدة قديمة دعمت فيما بعد بعرضات أخرى لدعم هيكل المسجد، وتوجد به لوحة مثبتة على الجدار بجانب المحراب على يساره مكتوب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم صلي الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً (كلمتين غير واضحتين) المسجد في شهر الله المبارك محرم عام خمس وسبعين سنة بعد ثمن مائة في القرن التاسع، وكتب سعيد ابن مصباح ابن إبراهيم ، رحمه الله رحمه الله . وأخبرني أحد أهالي تندميرة (الحاج إمام صالح التندميرتي) وهو شاهد عيان : أن المسجد تمت له آخر صيانة عام 1946 ف قام بها أهالي تندميرة . زرته عام 2004.



محراب مسجد الشيخ أبو منصور إلياس ، ويحيط بالمحراب حوالي 26 قطعة حجرية مزخرفة بزخرفة إسلامية، ومبطن من الداخل بحوالي 32 قطعة مزخرفة .



الصورة رقم (12) جانب من قرية تدميرة القديمة الواقعة على حافة الجبل، وتطل على وادي تدميرة وفي أعلى قمة الجبل يوجد قصر تدميرة، وتحيط به المساكن والبيوت من جميع الجهات، وإلى الشمال من القرية كان يوجد خندق حفره الأهالي كتحصين للقرية والقصر، توضع فوقه جنوع النخيل كجسر للعبور يستعملونها نهاراً، وتتازع دليلاً زيادة في التحصين، وكانت تدميرة في مراحلها السابقة تقع إلى الغرب إبان هذه الأبنية، وفي مرحلة سكن الغيران والكهوف ويحدها مسجد أبو منصور إليس وبقايا قصر قديم فوق ربوة بجانب المسجد .



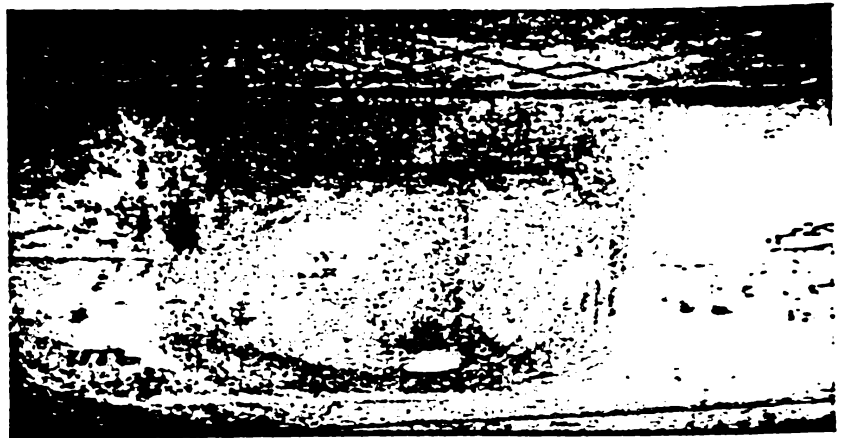
الطرف الجنوبي لقصر تدميرة، حيث تظهر بقايا آثار الأبنية الخاصة بالقصر، وهو يقع في أعلى قمة الجبل ، يتوسط المساكن ، وهو على شكل مستطيل طوله حوالي 50 متر وعرضه 15 متر ، ويتضح من الآثار الباقية وجود دور أرضي للقصر ، والقصور في الجبل عموماً تستعمل لتخزين قوت وتموين الأهالي ، كما يقام فيه سوق محلي تتم فيه عمليات البيع والشراء ، ويوجد بداخله مسجد يعرف بمسجد القصر ، وبه صهريج لمياه الشرب ، وغرفة الحارس وهي في الجهة الشمالية من القصر .



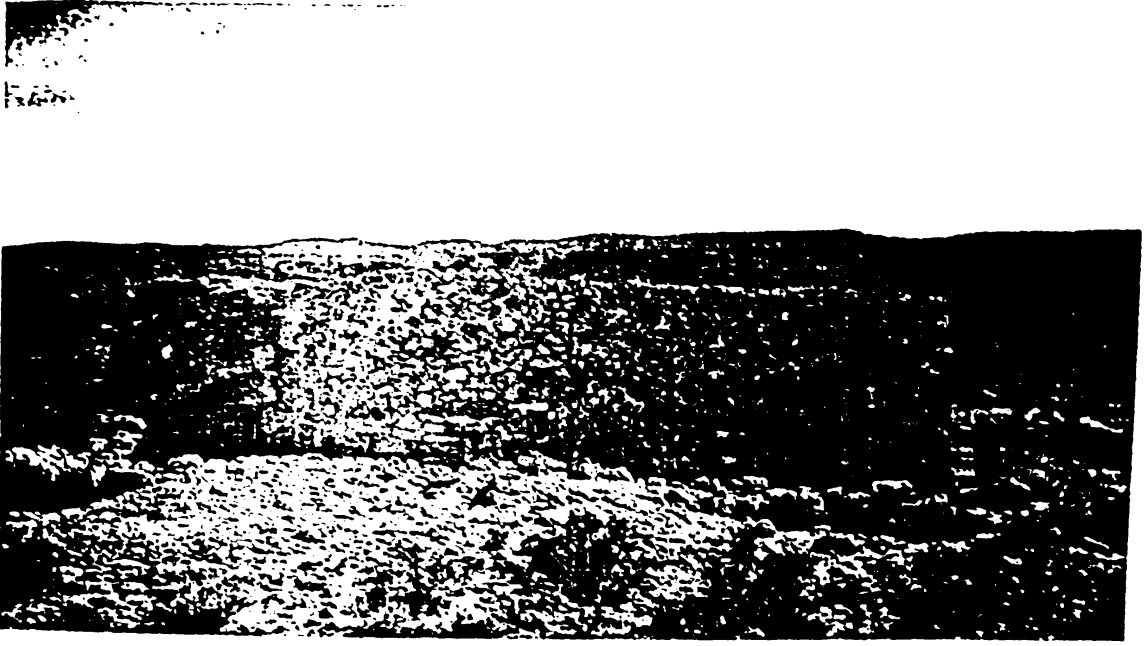
الصورة رقم (13) المؤلف أمام مسجد الشيخ أبو حفص عمرو بن قنح المسكني أحد علماء القرن الثالث هـ / التاسع م ، يوجد هذا المسجد في قرية إمسكن (قَطْرَس حَلِيَا) من قري مدينة الرحيبات ، وما زال المسجد محافظ على متانته ويقاؤه بفضل اهتمام وصيانة الأهالي للمسجد ، وهو كبير ومتسع طوله من الشرق إلى الغرب 15 متر وعرضه حوالي 7 أمتار ، وارتفاعه 3.5 متر تقريبا ، والمسجد مقسم إلى بيتان تفصل بينهما مجموعة من الأعمدة والأقواس، له بايان من التلحية الغربية تم إغلاق أحدهما: (خلف الباحث مباشرة) زرته عام 2005 .



من داخل مسجد الشيخ عمرو بن قنح المسكني



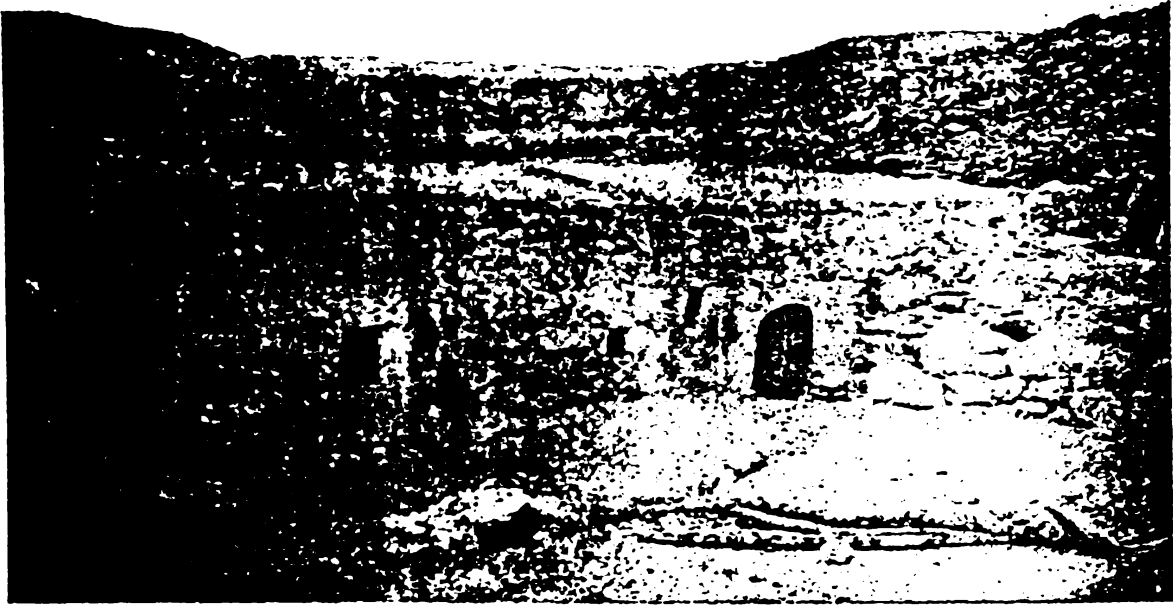
محراب مسجد الشيخ عمرو بن قنح المسكني.



الصورة رقم (14) مسجد إيبانين بناه الشيخ أبو هارون موسى التملوشايتي خلال القرن الرابع هـ / العاشر م ومازال المسجد في حالة جيدة ، طوله 8 أمتار وعرضه 10 أمتار، ويظهر في الصورة بابان لدخول المصلين، إحداهما للرجال والأخر للنساء ، وبه عدد 5 فتحات للإضاءة والتهوية، وبه عدد من الأعمدة والأقواس، وبجواره توجد ساحة مسورة بسور قصير بها صهريج لحفظ مياه الأمطار، زرته عام 2004 .

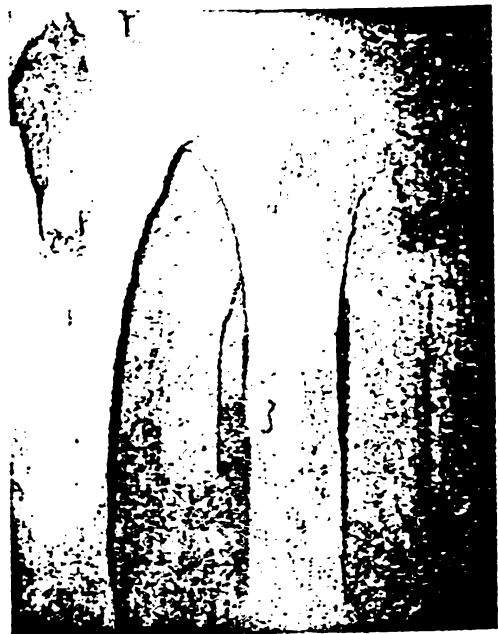


الصورة رقم (15) جبل إيبانين ، و تقع في أعلى قمته قرية إيبانين التي تبعد عن مدينة كيناو حوالي 15 كلم غرباً، ومازالت آثار بيوتها ومساكنها باقية تحيط بقصر القرية، وهي حالياً قرية مهجورة السكان وهناك عدة كهوف كانت تستعمل كسكن ، وهذا ما يشير إلى أنها قرية قديمة التأسيس ، والجبل يطل على وادي إكرين الفسيح الذي يتجه شمالاً صوب سهل الجفارة . زرته يوم 11 / 22 عام 2004 .

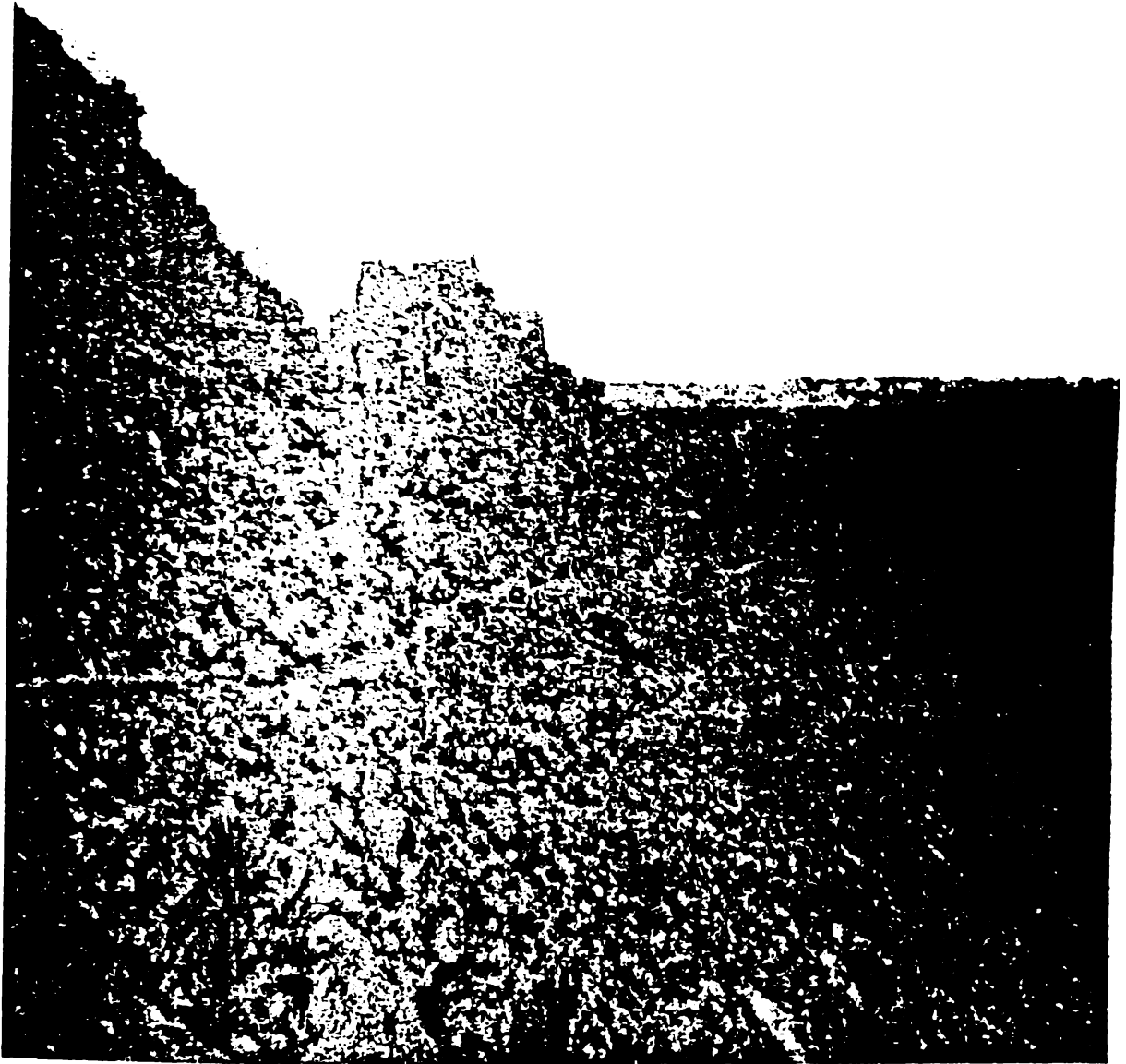


الصورة رقم (16) واجهة مسجد الشيخ أبو يحيى زكريا الفرستاني، ويقع أسفل قرية فرسطا في وسط الجبل، طوله 11 متر ، وعرضه 14 متر تقريبا، له بابان شمالي وجنوبي، والمسجد بحالة جيدة ، كما توجد خارجه ساحة بها محراب تستعمل للصلاة ، زرته يوم الاثنين 16 - 2

• 2004 -

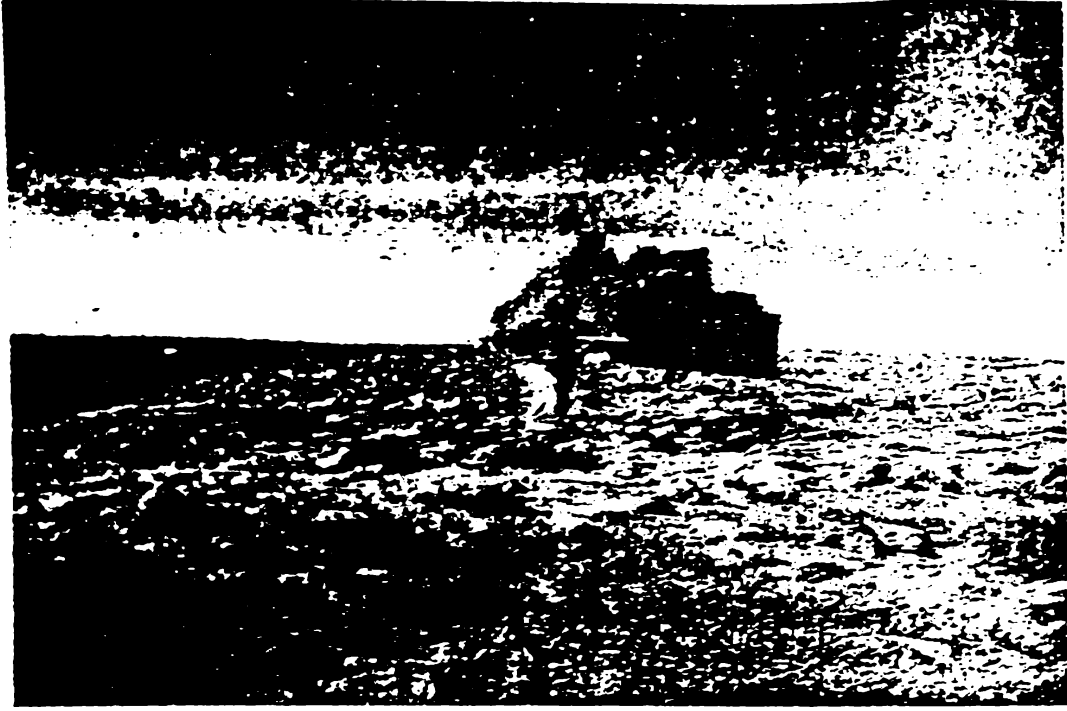


الصورة على اليمين من داخل مسجد الشيخ أبو يحيى زكريا الفرستاني وتظهر الأعمدة والأقواس، أما على اليسار محراب المسجد .



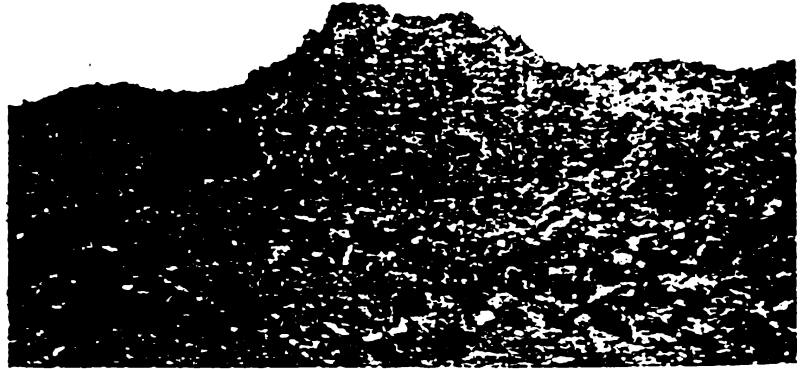
الصورة رقم (17)

قرية فرسطا القديمة، تقع على قمة جبل فرسطا ، وتطل على وادي يعرف باسمها، وهي واقعة بين قريتين قديمتين تابعتين لها الأولى : تازات على شرقها ، والثانية : بنغوري غربها ، وتقابلها من الناحية الشرقية قرية طمزين ، زرتها يوم الأثنين بتاريخ 16 - 2 - 2004 .



الصورة رقم (18) مدينة إيفاطمان

المؤلف في وسط مدينة إيفاطمان ، والمدينة تحولت إلى أطلال دارسة لم يبق منها سوى بعض بقايا البيوت ، وتلك القصبة التي مازالت منتصبة تعاند الزمن في بقاتها ، ومن خلال الأثار يتضح أن المدينة كانت تشغل مساحة كبيرة ، وفي هذه المدينة أسست أول مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة وهي مدرسة : الشيخ عمر بن يمكتن خلال القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، زرتها عام 2004 .



بقايا آثار لبناء في إيفاطمان.



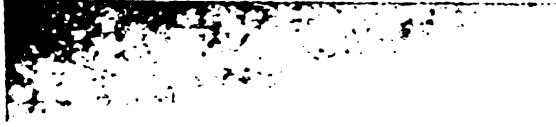
الصورة رقم (19) جبل الجزيرة ، تقع فوقه قرية الجزيرة ، وسميت بذلك الاسم لإحاطة الودين بالجبل والقرية من ثلاث جهات ماعدا الناحية الشرقية ومنها يتم الدخول للقرية من مكان ضيق وصعب طلباً للتحصين والحماية، وهي حالياً مهجورة السكان، وتبعد عن مركز الحراية حوالي كلم، والقرية تشرف على وادي شروس من الشرق الذي يفصلها عن قرية تدميرة، وتحيط بها ثلاثة أودية : وادي شروس، ووادي دركل، ووادي إيندل، وهي شبه مثلث في الشكل قاعدته عند الغرب بطول نصف كليو متر من الشمال إلى الجنوب ، ورأسه عند الشرق، وطول الجزيرة حوالي كيلة ونصف من الغرب إلى الشرق ، زرته عام 2004.



واجهة ومدخل مسجد ومدرسة الشيخ أبو المنيب محمد بن يانس لدركلي (المعروف بالجزيرتي) في قرية الجزيرة ، وهو عبارة عن بناء تحت الأرض (غار) ، وهذا يدل على قدم المدينة تاريخياً وتحتاج إلى دراسات أثرية لاستجلاء غوامض التاريخ ، زرته عام 2004.



من داخل مسجد ومدرسة الشيخ أبو المنيب محمد بن يانس وتظهر أعمدة وأقواس المسجد كفن من فنون العمارة الإسلامية في جبل نفوسة.



الصورة رقم (20) مدينة نالوت (لالوت سابقاً)، تقع فوق قمة جبل نالوت، ويظهر وسط أثر المدينة قصر نالوت أحد المعالم التاريخية للمدينة وتحيط به المنازل والبيوت من جميع الجهات، وتنقسم لالوت القديمة إلى العليا والسفلى، ويفصل بينهما القصر، الذي مازال قائماً وبحالة جيدة بفضل اهتمام الأهالي به، ونالوت من مدن الجبل الكبيرة، وهي تقع في القسم الأول والغربي من جبل نفوسة، زرتها عام 2004 .



واجهت مسجداً الرحبة أحد مساجد لالوت السفلى يقع على يمين القصر ناحية الشرق، فوقه منذنة قديمة تحتاج إلى دراسة معمارية .



صورة المؤلف من داخل قصر

نالوت، في المكان الذي يقام فيه سوق محلي داخل القصر، في 15 / 2 / 2004 .



الصورة رقم (21) قرية تمصمص من الجهة الغربية، وهي تبعد عن طمزين حوالي كيلو ونصف، إلى الجنوب الشرقي منها، وهي من القرى القديمة في الجبل حيث تكثُر بها الغِرن والكهوف المستعملة للسكن قديماً، كما يوجد بها آثار الأبنية والمسكن، وعلى يمين الصورة تظهر مدرسة الشيخ أبو محمد، وعلى اليسار بقايا آثار قصر تمصمص، ويحيط بالقرية غابة زيتون، زرتها عام 2004.



بقايا آثار قصر قرية تمصمص تحول إلى ركام من الحجارة، ويبدو أنه تعرض لدمار في فترة من فترات التاريخ، ويقع القصر في الطرف الجنوبي للقرية، ويشغل مساحة قدرها ألف متر مربع، وتم تشييده فوق ربوة عالية تشرف على مساكن القرية، وكان القصر يستعمل لتخزين المحاصيل الزراعية وغيرها من تموين وقوت الأهالي، زرتة في عام 2004 .



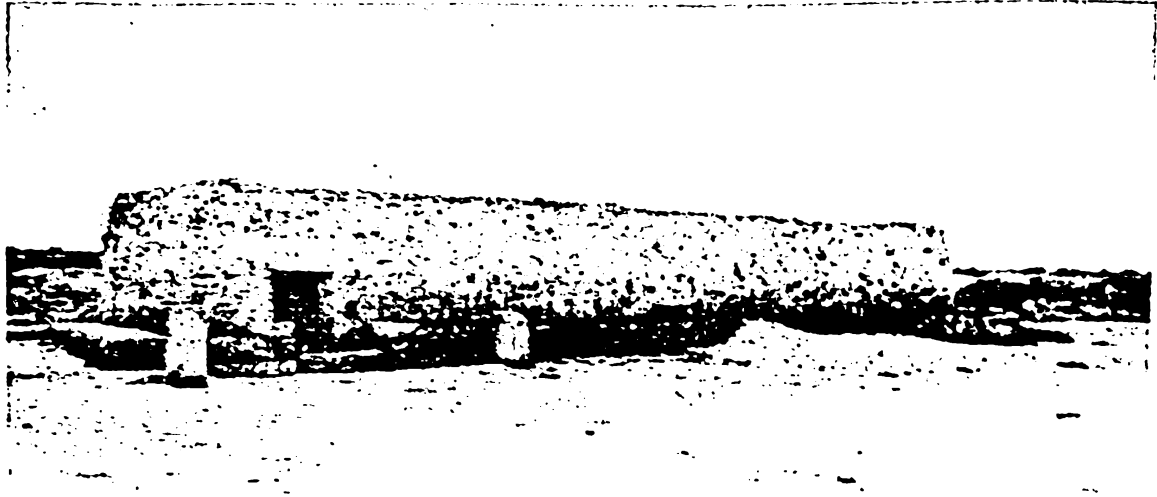
تابع الصورة رقم (21) واجهة مسجد ومدرسة الشيخ أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصصي، بقرية تمصص الذي تعد من أبرز مدارس الجبل لتعليم الطلاب، ويقع في قرية تمصص، والمسجد بحالة جيدة ، طوله حوالي 9 أمتار وعرضه 6 أمتار تقريبا، بابه من الشمال الشرقي، ويقع في الطرف الغربي للقرية، في هذا المسجد درست أم ماطوس أول فتاة لبيبة تدرس في مدرسة مع القتيان، وكانت تأتي من قرينتها جاراصرا التي تبعد عن تمصص حوالي 1 كلم . زرته عام 2004 .



من داخل مسجد ومدرسة الشيخ أبو محمد خصيب، بقرية تمصص، وتوجد به أربعة أعمدة في الوسط وهي كبيرة الحجم ، كما تظهر في الصورة كوة واحدة للإضاءة.



محراب مسجد الشيخ أبو محمد خصيب التمصصي .



الصورة رقم (22) مسجد ومدرسة الشيخ أبو موسى عيسى الطرميسي، من أشهر مساجد ومدارس الجبل، ويقع في مدخل قرية طرميسة، مازال بحالة جيدة، طوله حوالي 14 متر ، وعرضه 5 أمتار تقريبا، تحيط به غابات الزيتون، تخرج من هذه المدرسة كبار علماء الجبل، من أبرزهم الشيخين : عامر الشماخي، وإسماعيل الجيطالي، وأبو عزيز، حيث كانت من المدارس العليا بالجبل، زرتها عام 2004 ف .



المؤلف داخل مسجد ومدرسة

الشيخ أبو موسى
الطرميسي، بجوار سلام المؤذن .

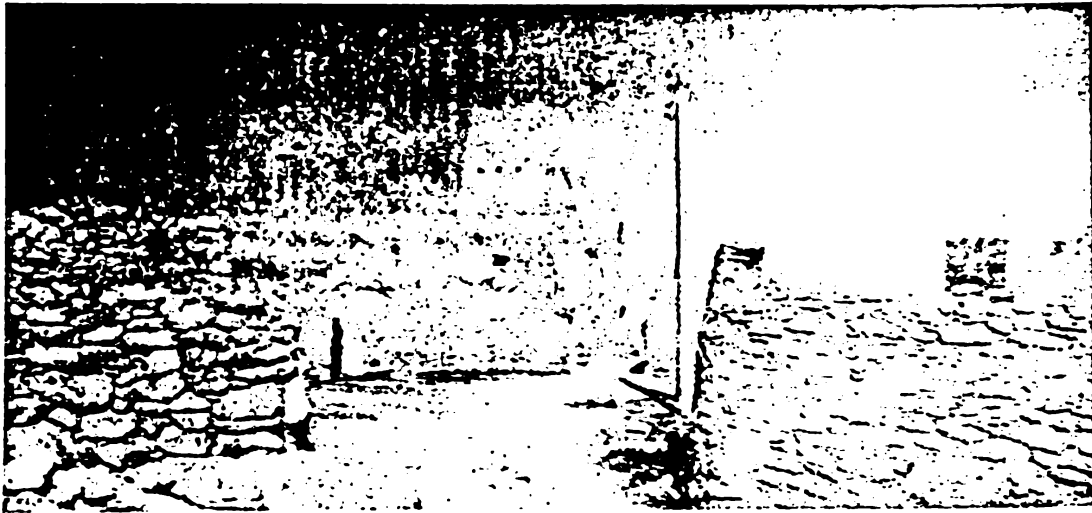


محراب مسجد الشيخ أبو موسى عيسى

الطرميسي وهو مستطيل الشكل .



الصورة رقم (23) قرية طرميسة إحدى قري مدينة جادو، وتبعد عنها حوالي 5 كلم، أخذت الصورة من الناحية الشرقية للقرية، وهي تقع فوق قمة الجبل لتكون محصنة بشكل طبيعي، كما يتضح وكأنها جزيرة معلقة، ويفصلها من الناحية الجنوبية خندق أقامه الأهالي لفصل القرية عن محيطها الجنوبي ويقومون عليه جسر معلق للعبور نهاراً، وينزعونه ليلاً للحماية وتحصين القرية، كما يوجد بها مسجد تحواريت مازال بحالة جيدة ، زرتها عام 2004 .

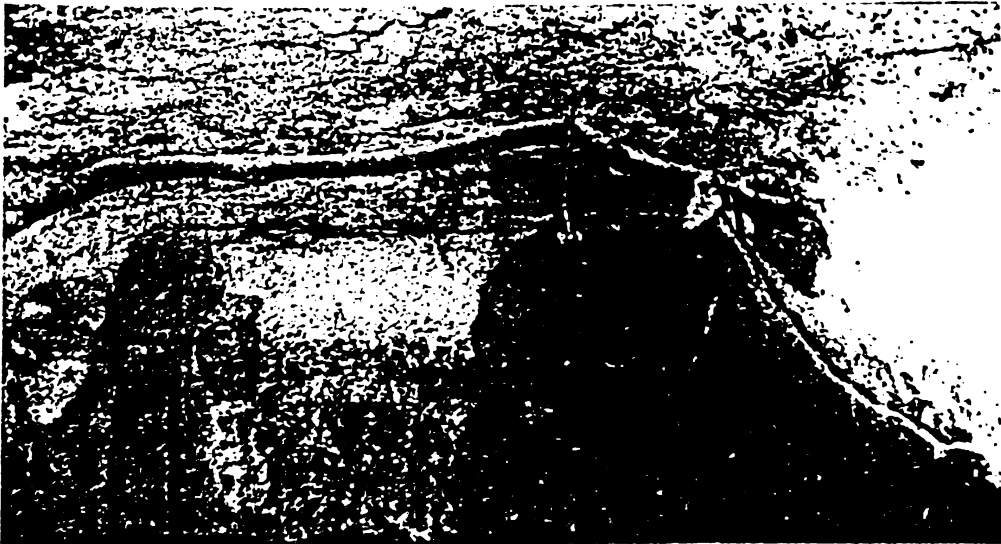


قصبة طرميسة في وسط القرية، كانت تستعمل للمراقبة والدفاع على عادة أغلب مدن وقري الجبل .

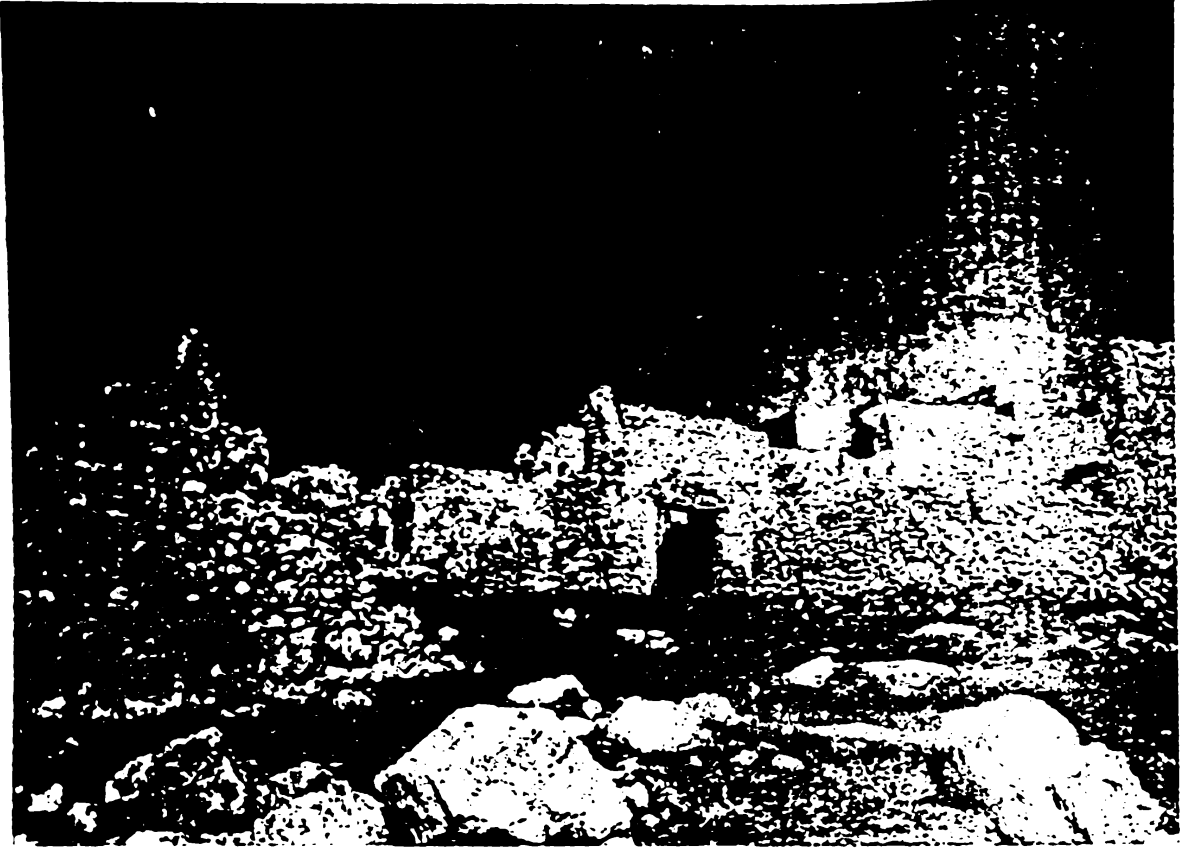


الصورة رقم (24)

مدخل مدرسة الشيخ أبي زيد المزغورتي، قام بالتدريس في هذه المدرسة مجموعة مشائخ من بينهم الشخين : عامر السماخي وإسماعيل الجيطالي، وهو عبارة عن بناء تحت الأرض بقرية مزغورة احدي قري مدينة جادو، وتبعد عنها بحوالي 5 كلم، زرتها عام 2004 .

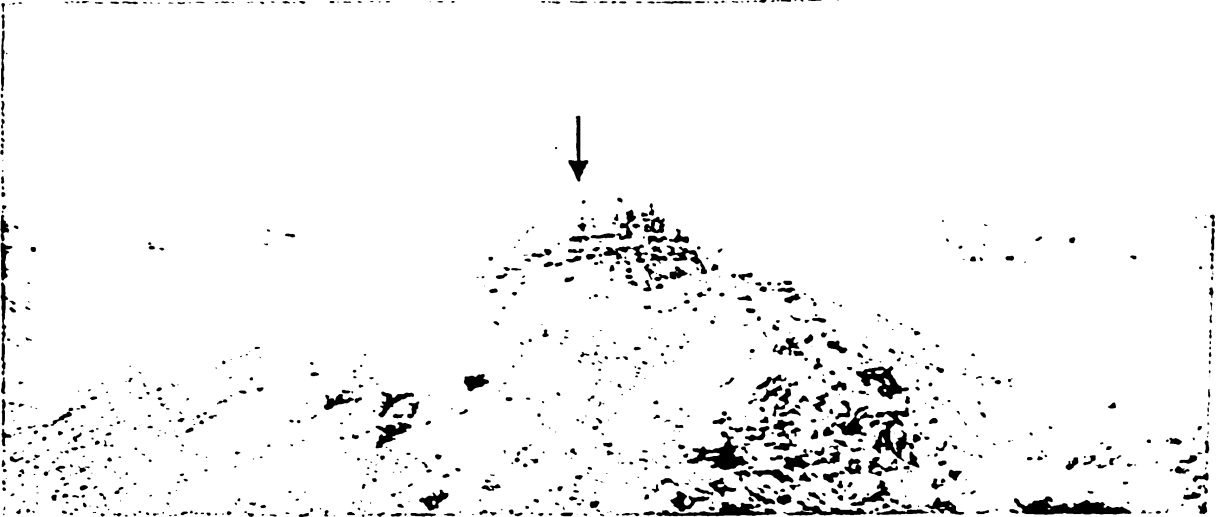


من داخل مدرسة الشيخ أبو زيد المزغورتي .

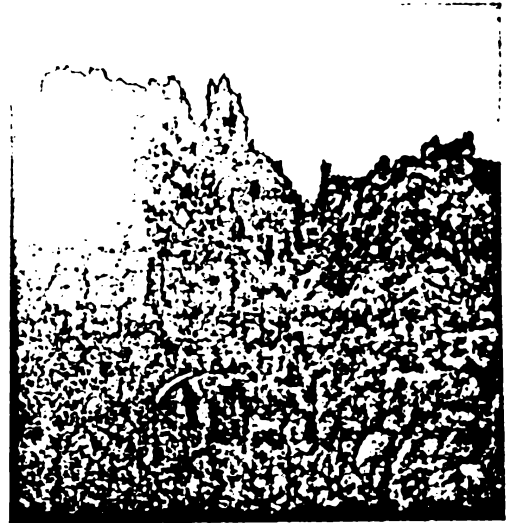
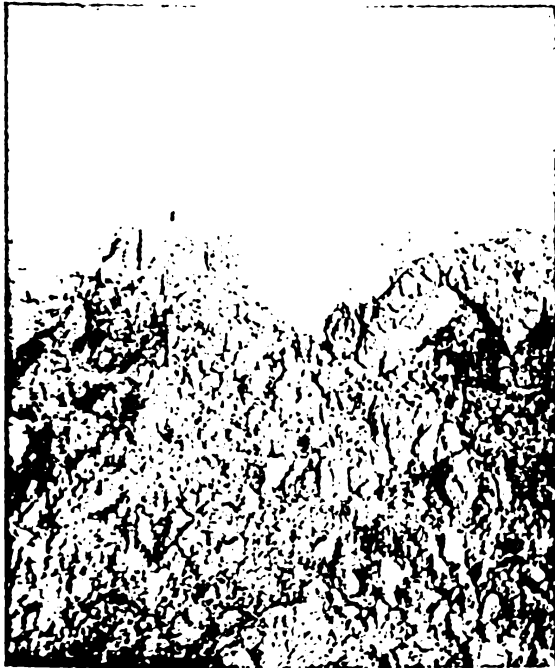


الصورة رقم (25) (قرية المعانيين بمدينة يفرن)

جانب من الشارع السفلاي لقرية المعانيين، إحدى قري مدينة يفرن، وتتوسط باقي قري المدينة، حيث يحدها من الشرق قرية البخابخة، ومن الغرب قرية الشقارنة ويفصل بينهما وادي عيسى توجد به سانية مياه كانت يعتمد عليها سكان القرية، ومن الشمال قريتي : قصبه مادي، والقصير ومن الجنوب قريتي : القرايين والمشوشيين، وفي هذه القرية أسس الشيخ عامر الشماخي مدرسته بالمسجد الكبير عام 756 هـ / 1355 م ، الذي يعد من أبرز معالمها التاريخية والأثرية كما يوجد بها العديد من معاصر الزيتون القديمة ، بالإضافة إلى عدة مصليات مثل : إزكوان، وكوجليت، وأتوارجان ، وهذه الأسماء ربما تكون لعلماء أو رجال صالحين لم يدون التاريخ معلومات خاصة بهم، كما تظهر على يسار الصورة بقايا من قصبه القرية التي كانت تستعمل للمراقبة والدفاع. ومؤلف هذه السطور ينتمي إلى هذه القرية العزيزة.



الصورة رقم (26) جبل (قصر ولم)، حيث يتربع على قمته قصر ولم (حيث إشارة السهم)، وفي داخل القصر توجد مكتبة، تعد من أكبر مكتبات جبل نفوسة في العصر الوسيط، والمعروفة بـ (خزانة نفوسة)، التي قدر عدد كتبها بثلاثة وثلاثون ألف كتاب، ويطل هذا الجبل على مدينة شروس من الناحية الشمال شرقية، وربما اختار الأهالي هذا المكان بالذات للمكتبة لتكون بمعزل عن نشاط وحركة سكان العاصمة (شروس)، لتوفير الهدوء والسكون لطلاب العلم والباحثين عن المعرفة، بالإضافة إلي فرصة التأمل لهيبة المكان وطبيعته، زرته يوم الثلاثاء بتاريخ : 18 شوال 1425 هـ / الموافق 30-11-2004 ف .

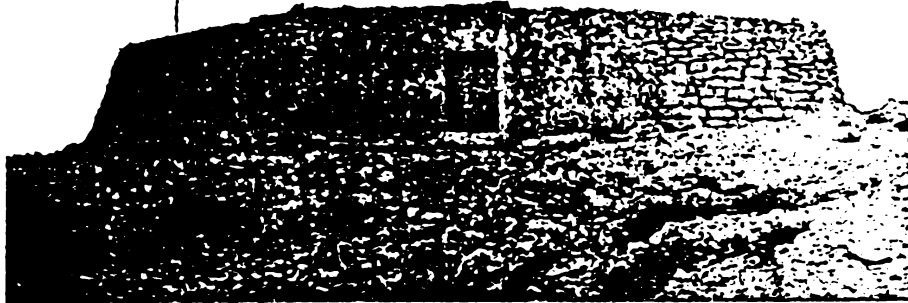


(من داخل قصر ولم الشهير)

الصورة على اليمين : من داخل القصر حيث الممر الذي يقسم القصر إلي قسمين يمين وشمال وكل منهما يحوي على طوابق من الغرف، كانت تستعمل للتخزين، والصورة على اليسار : جانب من بقايا آثار القصر عند نهايته الغربية، وفي مكان ما كانت المكتبة ؟ وهذا ما يستدعي ضرورة إجراء الدراسات الأثرية لجلاء الغوامض التاريخية للمنطقة .



الصورة رقم (27) (مدينة تملوشايت [قرية القصر]) مدينة تملوشايت إحدى مدن الجبل الكبيرة ، وتتكون من عدة قرى وهي : قرية القصر ، وقرية ماجر ، وقرية أميطار، وقرية إمحيجل، وقرية أبدليل ، وقرية ثلاث خرب، وقرية توزنرت وكانت لتملوشايت أهميتها العلمية والثقافية في العصر الوسيط ، حيث أنجبت العديد من العلماء من أشهرهم : أبوهارون موسى التملوشايتي، وأبنة أبو الربيع ، والشيخ عيسى بن زرعة، والشاعر أبو نصر فتح بن نوح التملوشايتي، يظهر في الصورة قصر قرية القصر التي سميت عليه، والملاحظ أن بناء مثل هذه القصور في قرى ومدن جبل نفوسة أمر ضروري لإستعماله في أغراض اجتماعية واقتصادية فكان يستعمل لتخزين المحاصيل الزراعية: (القمح والشعير وزيت الزيتون الذي اشتهرت به المنطقة)، وحفظ قوت وتموين الأهالي ، كما استغلّت بعض ساحات القصور لتكون أسواق عامة تتم فيها عمليات البيع والشراء . زرتها يوم الجمعة بتاريخ : 14 - شوال - 1425 هـ / الموافق 26 - 11 - 2004 .



الواجهة الجنوبية لمسجد الشيخ أبو موسى عيسى بن زرعة في قرية ماجر (بمدينة تملوشايت)



الصورة رقم (28) قرية أوتلجام من قري الجبل القديمة، تقع في أسفل وادي عميق، فوق ربوة عالية وتطل على وادي أوتلجام، وهي محاطة بين مجموعة جبال، كما يحيط بها فرعين صغيرين أحدهما يحدها من الشرق، والآخر من الغرب وهو الأصغر، ومن الشمال يحدها مجري وادي أوتلجام الرئيسي ومن الجنوب فرع وادي أوتلجام، والربوة في أعلاها تنقسم إلي ربوتين (كما يتضح في الصورة)، يوجد على إحداها (الربوة اليمنى)، آثار لبقايا قصر القرية، والأخرى (اليسرى) عليها آثار بناء متساقط ربما تكون القسبة لغرض المراقبة والدفاع . وتحيط بالربوة من جميع الجهات آثار المباني والمساكن، كما توجد آثار مقبرة قديمة جداً إلي الشمال من القرية، كما يوجد مسجد قديم متساقط يقع أسفل الربوة من ناحية الجنوب لم نعثر على اسمه. وتبعد أوتلجام عن قرية تنزغت (إحدى قري الحرابية) حوالي 4 كلم، يفصل بينهما وادي أوتلجام، زرتها يوم الأحد بتاريخ : 16 - شوال - 1425 هـ / الموافق 28 - 11 - 2004 .



آثار قصر قرية أوتلجام، ويقع في أعلى الربوة، وتحيط به المباني والمساكن .



الصورة رقم (29) الجامع الكبير في جزيرة جربة بحومة الحشن، (تبعد حوالي 4 كلم متر عن حومة السوق) أسسه الشيخ أبو مسور يسجا بن يوجين اليراسني في أواخر القرن الثالث هـ / التاسع الميلادي، وأوصل به مدرسة، يعد إكمال دراسته وتعليمه في مدارس جبل نفوسة كما قام بنسخ مجموعة كبيرة من الكتب ونقلها معه إلى جربة، وشكل بها التواة الأولى للحركة العلمية بالجزيرة، فقصدته طلاب العلم من جميع الأتحاء من بينهم طلاب الجبل، فقام بتكريسهم في هذا المسجد، كما قصده الشيخ إسماعيل الجيطالي في القرن (8 هـ / 14 م)، وأقام فيه مدرسا، وألف فيه العديد من الكتب، وبقي فيه إلى أن وافته المنية، ودفن في مقبرة بجانب المسجد وهذا يوضح أهمية جبل نفوسة في الحركة العلمية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي - زرتة يوم الأحد (أول أيام عيد الأضحى) بتاريخ : - ذي الحجة - 1425 هـ / الموافق

. 2004 - 2 - 2



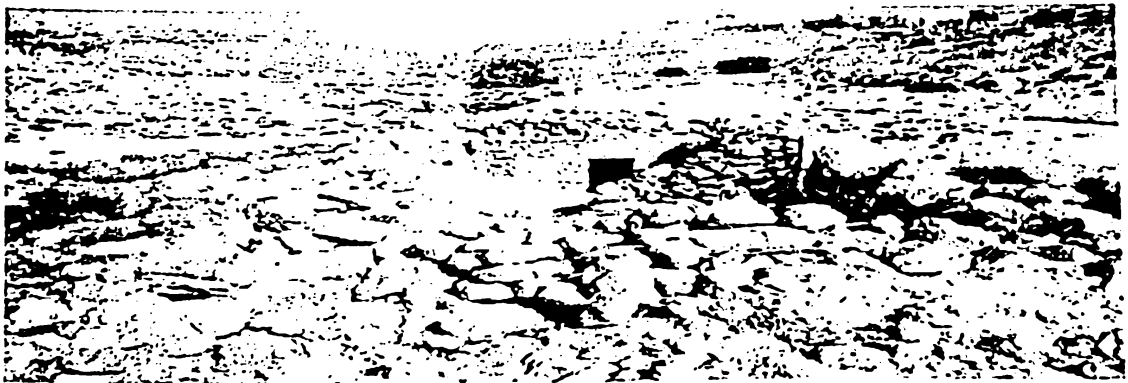
الأقسام الداخلية بمسجد ومدرسة الجامع الكبير
حيث كان يقيم الطلاب القادمين من أماكن نائية، وتوجه عدد كبير من طلاب جبل نفوسة
للدراسة في هذا الصرح العلمي عبر فترات التاريخ.



الصورة رقم (30) لقرية بغطورة، وفوق هذه المرتفعات وبين تلك الشعاب كانت قرية بغطورة ومن خلال الآثار الباقية للغيران (الكهوف) وبقايا حجارة المساكن المتناثرة تبدو أنها كانت قرية كبيرة ومتسعة الأرجاء، ويحدها من الشرق قرية تمنكرت (بقيقيلة حالياً) ومن الغرب والشمال تحيط بها غابات الزيتون ومن الجنوب وادي بغطورة (الظاهر في الصورة) الذي يتجه جنوباً ثم يلتف شمالاً ليلتقي مع وادي أبو الرصف الشهير. ومن معالمها التاريخية الباقية مسجد الشيخ أبو القاسم البغطوري، وقصر القرية، زرتها يوم الثلاثاء بتاريخ: 18 - شوال - 1425هـ / الموافق: 30 - 11 - 2004.



قصر بغطورة ويقع فوق احدي المرتفعات ليشرف على الأماكن البعيدة.



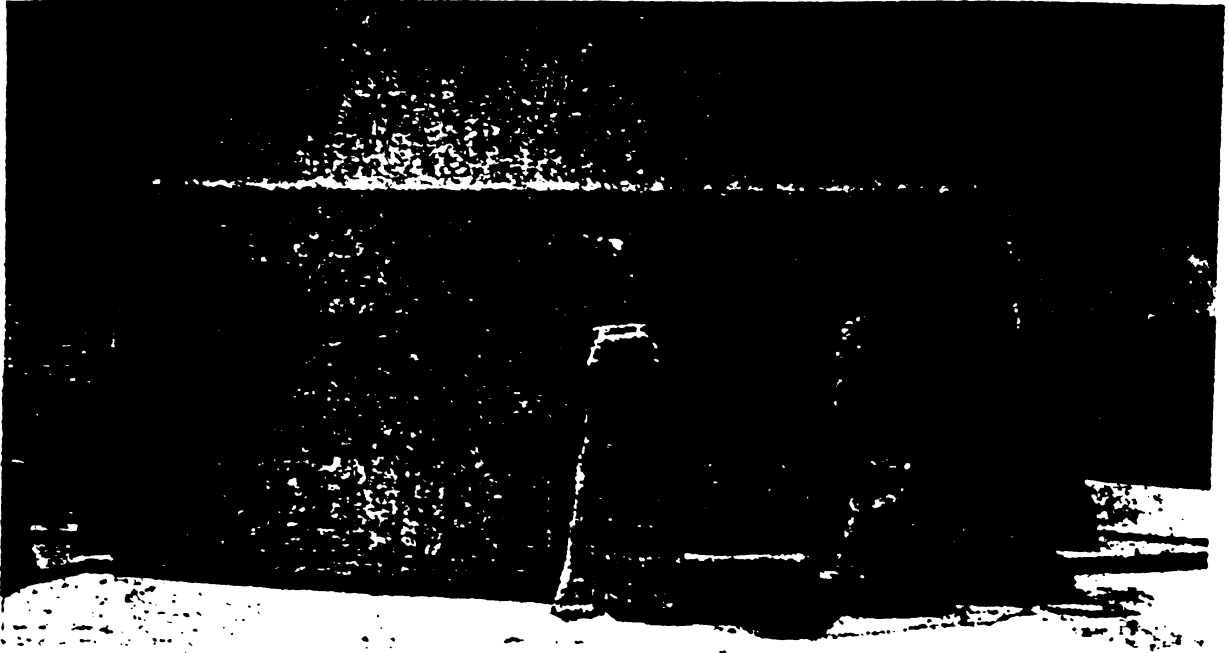
مسجد الشيخ أبو القاسم البغطوري بقرية بغطورة.



الصورة رقم (31) آثار قرية ونزيرف (احدي قرى مدينة الرحيبات حالياً) تقع على جبل ما بين وادي أوجنت شرقاً، ووادي أبو غنداس غرباً، ومن الشمال نهاية وادي قويام الذي ينحدر من وادي أمسين ومن الجنوب تحدها منطقة الظاهر ومرت القرية بمراحل تاريخية منذ نشأتها وتطورها فتنتقلت في أكثر من مكان، وكذلك في طريقة البناء وكيفية شأنها شأن باقي مدن وقرى الجبل، فمن السكن بالغيران (الكهوف) على ضفاف الوديان إلى البناء على حافة الجبل تاركة آثارها في مختلف الأماكن ، ومن أبرز معالمها التاريخية والآثرية: مسجد الشيخ أبو زكريا يحيى السدراتي ، ومسجد الشيخ أبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي ومسجد قديم لم أعثر على اسمه كما لم أهتدي إلى بانيه، ويقع في طرف القرية الشرقي بعيداً عن المساكن ويتناقل أهالي ونزيرف روايات شفوية مفادها أن هذا المسجد ألحقت به مدرسة قديمة، كما يوجد بالقرية قصر يقع فوق ربوة عالية . زرت هذه القرية يوم السبت (ثالث أيام عيد الأضحى المبارك) ، بتاريخ: ذي الحجة - 1425هـ/ الموافق: 22 - 1 - 2005.



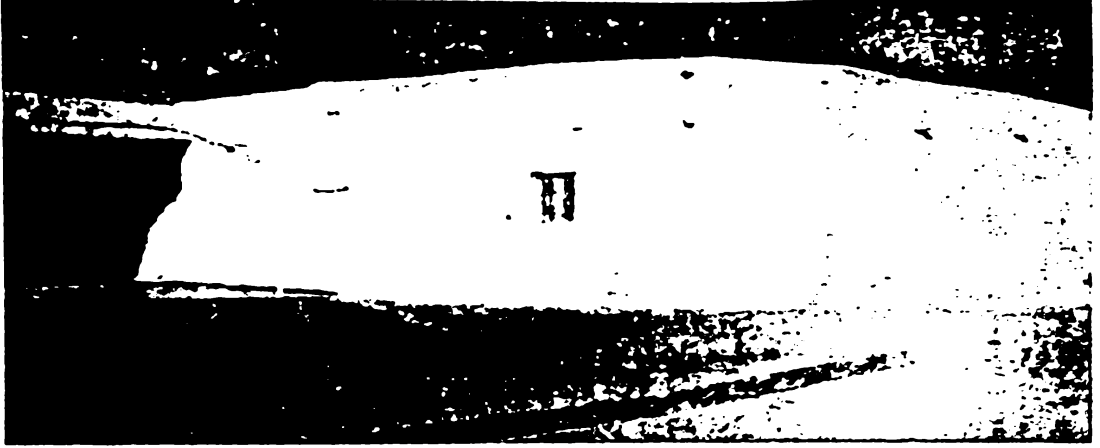
قصر قرية ونزيرف يطل على وادي أوجنت وتقابله في أسفل الوادي عين أجلازن التاريخية وسط واحة صغيرة من النخيل ويفصل القصر عن القرية خندق عميق لحمايته وتحصينه وللقصر مدخلان شرقي وغربي ويظهر في الصورة المدخل الشرقي والبناء الخلفي للقصر . وكان يتكون في أساسه من ثلاثة أدوار ويستعمل لتخزين المحاصيل الزراعية وغيرها من أقوات ومعاش الأهالي . وكان يستعمله الأهالي حتى أواخر الستينات من القرن الماضي.



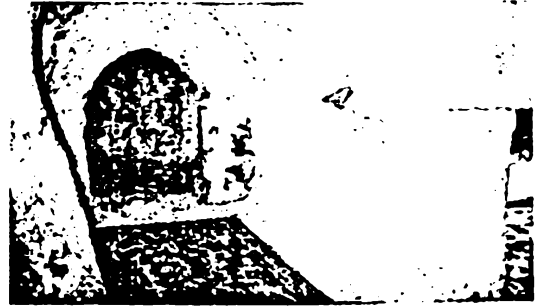
الصورة رقم (32) واجهة ومدخل مسجد الشيخ أبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرقي ، أحد وأبرز علماء قرية ونزيرف عاش خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وكان يضرب به المثل حتى قالوا: (من ضيع كتاباً كمن ضيع خمسة عشر عالماً مثل عبد الله بن الخير)، وذلك لبلوغه درجة عالية من العلم والتفقه. والمسجد ما زال بحالة جيدة لإهتمام أهالي القرية به وصيانتهم له، زرته عام 2004.



من داخل مسجد الشيخ أبو محمد عبد الله الونزيرقي، وتظهر أعمدة وأقواس المسجد، وكامور سقف البيت الأول.

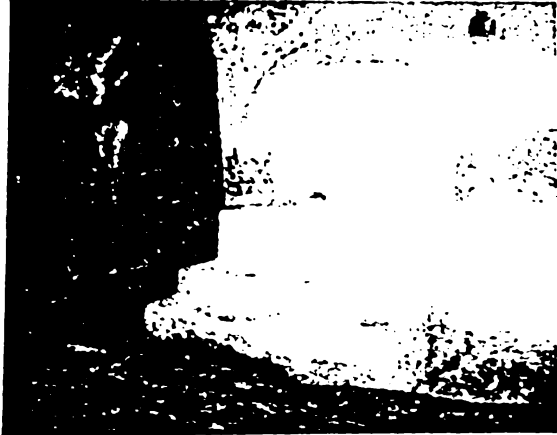


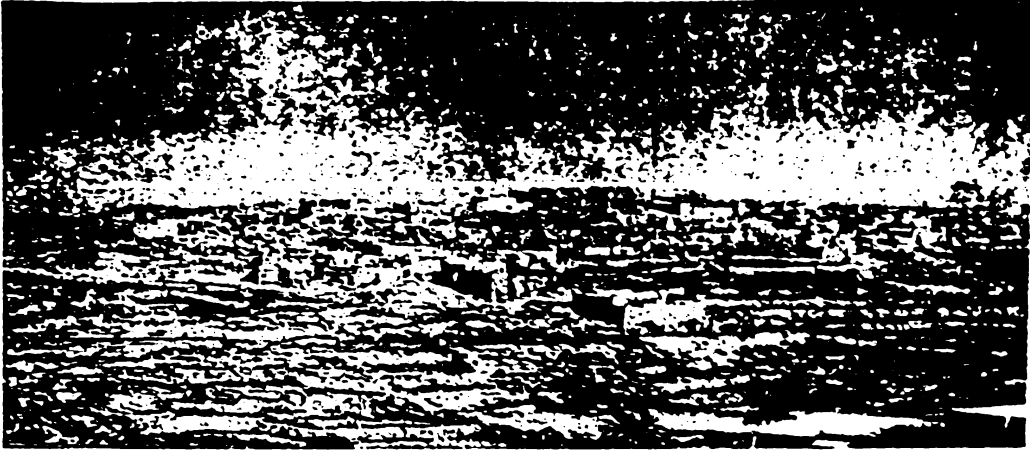
للصورة رقم (33) الواجهة الغربية للجامع الكبير بقرية المعاتين في مدينة يفرن وهو الجامع الذي اتخذه الشيخ عامر الشماخي مدرسة لتعليم الطلاب حوالي عام 756هـ/1355م. وتخرج على يديه منها العديد من الطلاب جاؤا من مختلف المناطق، الذين صاروا فيما بعد علماء كبار لهم شأنهم في ميدان العلم والثقافة، وهو مسجد كبير ومتسع طوله 16م، وعرضه 16م تقريبا . وهو مبني بالحجارة والطين والجبس، وتوجد به على أحد لقواسه كتابة تاريخية تشير إلى تاريخ ربما يكون في زمن التأسيس وهو (مائة وتسعة هجرية) هذا إذا صحت قراءته بالشكل الصحيح ، وبذلك يكون هذا المسجد تم بناؤه في تاريخ مبكر ويكون من المساجد القديمة في جبل نفوسة، ولهذا المسجد بايان شرقي وغربي، وبه مجموعة أعمدة وأقواس تدل على الفن الإسلامي في المعمار، وما زال أهالي القرية يتعاهدونه بالصيانة والترميم من فترة لأخرى.



مصلي للنساء وهو في نهاية المسجد يفصله ستار (مبني من الحجارة) ليفصل الرجال عن النساء ، حيث كانت للنساء تحضر الصلاة و الدروس العلمية.

محراب ومنبر الجامع الكبير بالمعاتين، والمنبر يتكون من ثلاثة درجات فقط .



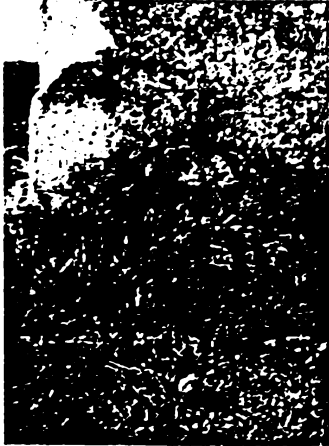


الصورة رقم (34) قرية أت غاسروا (القصير) من قرى مدينة يفرن، وهي تقع في طرفها الشرقي، ومازالت أثارها قائمة وبحالة جيدة بالنسبة لباقي قرى المدينة التي يزحف عليها الأسمنت دون الاهتمام بالآثار والمباني التاريخية . وفي هذه القرية عاش الشيخ عامر الشماخي ومازالت سلالة الشماخة تقيم في هذه القرية، وهي تقع فوق ربوة عالية كما تظهر في الصورة ، وتطل على وادي بايسي المعروف ببئر (بايسي) كان يشرب منه الأهالي، وأدركت ذلك في السبعينات من القرن الماضي.

المؤلف أمام منزل الشيخ
عامر الشماخي بقرية القصير



قبر الشيخ عامر الشماخي بقرية القصير توفي رحمه الله عام



792هـ/1349م.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث الشريفة.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس الكتب.
- فهرس القضايا والمصطلحات.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن والمواضع
- فهرس القبائل والجماعات والفرق والدول.

فهرس الآيات القرآنية

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ : / 37.

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
أوتوا العلم درجات، والله بما تعملون خبير ﴾ : / 37.

﴿ رب زدني علماً ﴾ : / 37.

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ : / 37.

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتتي هي أحسن ﴾ : / 262.

﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تتدون
ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ : / 262.

فهرس الأحاديث الشريفة

﴿إني بعثت معلماً ولم أبعث تاجراً ، فتعلموا العلم لوجه الله وعلّموا الناس لوجه الله تكونوا ورثة أنبياء الله﴾: / 68.

﴿من يرد به الله خيراً يفهمه وإنما العلم بالتعلم﴾: / 68.

﴿خيركم من تعلم القرآن وعلمه﴾: / 68.

﴿مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها اجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به﴾: / 68.

﴿نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه

لا فقه له﴾: /

.140

﴿إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين﴾: /

.140

فهرس الأبيات الشعرية

(1)

العلم أبقي لأهل العلم آثارا	وليلهم بشموس العلم قد نارا
يحيي به ذكرهم طول الزمان وقد	يريك أشخاصهم روحاً وأبكارا
حي وإن مات ذو علم وذو ورع	إن كان في منهج الأبرار ما مارا
أو أنما غيرت أشخاصهم ومضوا	ما مات عبد قضي من ذاك أوطارا
وذو حياة على جهل ومنقصة	ولا يبالي أخيراً نال أم عارا
حياته عدم في طول مدته	كميت قد ثوى في الرمس أعصارا
لله عصبه أهل العلم أن لهم	في كل أفق من الآفاق أنوارا
نالوا الأمان به طراً وبان لهم	فضل على الناس غياباً وحصّارا

العلم علم كفى بالعلم مكرمة	ومن يرد غير خير العلم ما اختارا
كم جاهل بأمور الدين محتبط	والجهل جهل كفى بالجهل إدبارا
العلم عند اسمه أكرم به شرفاً	للمرء إذ يكتسي بالعلم أطمّارا
ما للفتى غير نور العلم من رتب	والجهل عند اسمه أعظم به عارا

يشرف العلم للإنسان منزلة ويجتني من جناه العذب أثمارا
العلم فخر علا عن كل مرتبة ويرفع العلم للإنسان أقدارا
العلم در له فضل ولا أحد محص له كل عقل دونه حارا

:أفصح بن عبد الوهاب/ قصيدة: (تحريض الطلبة) / 54.

(2)

عَلِمَ بَنِيكَ صِغَاراً قَبْلَ كِبَرَتِهِمْ
إِذْ لَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْكِبَرَةِ الْأَدَبُ
إِنَّ الْعُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا اعْتَدَلَتْ
وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهَا الْخَشَبُ .

: / 111.

(3)

سما من سما بالجهد والعزم والصبر وسهر الليالي والسرى والتهجري
وغودر بالتسويق في النوم أو غدا أخو العجز والكسل البطيء عن الخير
أحب فتى ماضي العزائم حازماً لدنيا وأخرى عاملاً بالشمير
وأما أخو النومات لا مرحبا به ولا بالجثوم الراكد المتدثر

ثم قال:

من الأهل والأولاد والنشب الدثر
على الصلوات الخمس من أول العمر
أو آخر منها فهو أضيع للغير
تم بما لا عذر إلا لذي عذر
بقلب خلي فارغ من سوى الذكر

يفرق هذا الدهر بين أحبة
كتفريق بين العبد والكفر حفظه
فمن ضيع المفروض من صلواته
ومحرم بعضاً من وظائفها التي
إذا قمت للتوجيه بالقصد فانتصب

وجاء في آخرها:

فما بلغوا معشار عشر ولا عشر
قد أغفلها الشيخ العماني أبو بكر
أبي يديع الصنع بالظم للنثر
بنظم علوم الفقه والدين بالشعر
كما أعجز الأمي من فاه بالسحر
ورضوانه يا حبدا طيب الذكر
وراح إلى الفردوس مع صالح الزمر

لقد أسهبوا شرح الصلاة وأطنبوا
ونظمت فيها القافيات لأنها
على أن شمس العصر شيخ مبرز
ولم يجد منوالاً تقدم قبلة
فأعجز أهل العصر كلا وبعده
عليه سلام الله ثم صلواته
فطوبى لمن كان النبي شفيعه

: الشاعر: أبو نصر فتح بن نوح الملوثاني، قصيدة: (الرأية في الصلاة وأحكامها الفقهية)
وكانت في 142 بيت. 177/، 235.

(4)

من نعم أو نعم قد أزاح
على الآلاء الظاهرات الوجاح
نبيه أحمد زين البطاح

الحمد لله على ما أراح
أحمده حقاً وأشكره
والصلوات الطيبات على

ثم الرضى عن أهل قوتنا
وبعد حيّ الله حزب الهدى
يعبق رياها كنشر الشذا
أهلاً بذكرهم وسهلاً بهم
إن ازدواج العقد مستحسن

أئمة الدين نجوم الفلاح
تحية تحكي محيا الصباح
كالمسك ضوعاً ومتى صين فاح
ومرحباً بالقسمات الوضاح
وواسط العقد جمال الوشاح

وقال في آخرها:

حذار من دينك أن يخطفوا
فالدین فلّ بل طريد غريب
لم إلا رسمه واسمه
فليك باك أو ينح شجنأ
وأنشد الله أديباً رأى
فلست أعني رابعاً للخليل
لكن خطابي للذي يعتني
هذا كلامي والسلام على
أبناء جدني حيثما قطنوا
خصّوا أخاكم بالدعاء إذا

خطف عقنبات لحوم الأضاح
مقلص الأفياء واه قراح
وحرمات الله قد تستباح
فما عسى يجديه صاح وناح
عيباً أقام العذر لي وأشاح
ولا لضليل مجنون الملاح
بالعلم والآداب والإفتصاح
كل أديب ما أضاءت براح
وأينما حلوا بأقصى النواح
قرأتوها وأعلموا بالنصاح

: الشاعر: أبو نصر فتح بن نوح الملوثاني، قصيدة:(الحانية) لغرض تحريض الطلبة بطلب العلم، وهي في مائة بيت./ 178، 236.

(5)

بنجد وخيف والسهولة والحزن
أقدمها للنفس يوم التغابن
فما حكمتها بوصف جام ولا دن
درسنا فلم يحفل بما كل معتن
بقاف وصورها من الصحف واللحن
بفقه المعاش مولعين بالسن
أما صعاب وما فيها ثمار لمن يجن .
تناثر من تلك العقود بأمتن
على الفور توحيد الإله المهيمن

على الفور توحيد الإله المهيمن
وإلا فما أحرأه شياً بذى الوثن
ما كنت تدعوا يا أبا الجهل من من
وقد كان لا كينونة من مكون
وقد سبق الأوقات كوناً بلا كون

ولا كون تحلال تعالى عن الكُن
ولكنه بالعلم والحفظ والصون
وجلّ عن التكيف والحيث والأين

فماذاته تحوي بعين ولا أذن
فذلك غير الله فانف عن الذهن
بنقض وإبرام وإتقان متقن

سلام على الإخوان في كل موطن
سأهدي إليكم من كلامي قصيدة
تنبهكم عن بعض ما لم يسعكم
أروم بها أحياء علم عقائد
ألا بدلوا قافاً بعين وصادها
نظرت إلي قرائنا فوجدتهم
تناسوا أصول الدين من أجل
فأحببت تجديد العهود لنظم ما
فأول علم يلزم العبد فرضه
فأول علم يلزم العبد فرضه
فإن أدرك التوحيد درج غيره
فقل ونبني لمن أنت عامل
أقول بأن الله حق حقيقة
كما كان قبل الخلق قد كان بعده

بكل مكان كان لا كون جوهر
وليس ككون الشيء في الشيء والجاء
تقدّس عن حد وشبه وصورة

دنا ونا معني يرانا ولا يُرى
فكل الذي أضحي على البال سانحاً
على العرس والخلق أستوى فإستواءه

وليس كمعقول إستواء أميرهم على سرر معهودة للتمكن
له المثل الأعلى وليس كمثله مثال ولا شيء يشابهه في الكون
فهذا إعتقادي في إلهي وخالقي مماتي ومحياي بإيمان موقن

: الشاعر: أبو نصر الملوثاني، قصيدة: (التونية في أصول الدين)/ 193، 234.

(6)

فما كل من صلى يقال مصلياً فشتان بين الاسم والفعل فانظر
صلاة إمرئ نذل بغير طهارة كمن لم يصل البت فافهم وطهر
إملاك الصلاة في الطهارة والنقا لباس وأبدان وأمكنة طهر
وقد شرع الله الوضوء تعبداً وسن رسول الله باقي التطهر
وأما الأذان والإقامة سنة مرادهما الإعلام للوقت بالحصر
وليس على الغداة من ذاك ملزم وليس عليهم الإمامة في المصر
وقد وسع الله المواقيت منة وفضلاً ولم يحصر مداها على الفور

فكل صلاة وقتها حاصل لها وشدد في ذا قائلوه على إصر
وأفرط ما قد قيل فيها اشتراكها نهاراً وليلاً فطرح ذا على حجر
وأوسطها فالظهر والعصر شركة كذاك صلاة الليل وقت لها يسر

وأما صلاة الصبح فالشمس حدها فإن طلعت حقت عليه عُرى الكفر
ومن كان صلى قبل وقت فإنه يعيد ولو صلى بألف على طهر

كذلك الفروض اللازمات لوقتها على الأصل لا تجزيك قبل التحضر
ومن نام عنها أو تناسى فوقتها إذا قام والنسيان ينسخ بالذكر

: الشاعر: أبو نصر المرشاني، قصيدة: (الرأية في الصلاة وأحكامها)/202.

(7)

قولوا ألا لبيك داع الفلاح	دعاكم الله لدار السلام
ما دامت الأرسان طلقاً فساح	فالله ثم الله في عزمكم
والجد معوان الفهوم لقاح	جدوا فإن الأمر جدّ بكم
قيده العجز عن الإكتداح	لا يستوي من جد عزمًا كمن
والورع والصدق تمام الصلاح	العلم زين والتقى شرف
والعلم فيها كتباً شير الصباح	وأمّ دفر كلّها ظلم
فأخر الصاد يُرى كل صاح	من ضيع التعليم في وقته
بشراه بالعلم على الإمتياح	من أدمن الدرس ونادمه
قراءة الكتب كليل السواح	من لم يعود نفسه دائماً

فآية الكهف له في إتضاح	من حالف النوم ولازمه
جاحت عليه الصلوات وجاح	من فارق الإبريق في نسكه
لعلة أوجرّ نفع رقّاح	والعمل المقبول لله لا

لا ينفع العلم بلا عمل ولا أجَمّ القرن عند النـطاح
وشجر الدفلا ذميم الجنا شَبهاً لذي العلم العقيم المصاح
من صاحب الدنيا بغير التقا فهم غثاء وجُفَاء كُـساح.

: الشاعر: أبو نصر فتح بن نوح الملوثاني، قصيدة: (الحانية) لغرض تحريض الطلبة بطلب العلم، وهي في مائة بيت./203.

فهرس الكتب

(أ)

- الأحكام: 232.
الأشعار الستة: 112.
أجوبة، وألغاز: 127.
أبو مسألة: 127.
الاستكشاف عن حقائق أسرار معاني: 132.
الإنصاف والعدل: 132.
الإخوان: 156.
أصول الدينونة الصافية: 6، 197، 227.
الإيضاح: 114، 180، 182، 237.
أجوبة الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون: 231.
أجوبة أبي زكرياء يحيى الجناوني: 231.
أجوبة داود بن هارون: 231.
الألواح: 6، 232.

أخبار علماء نفوسة ومناقبهم: 238.

(ب)

البانية في الأخلاق: 237، 204، 199.

البحث الصادق: 183، 132.

بدء الإسلام وشرائع الدين: 208، 226، 118، 7.

(ت)

تذكرة النسيان وأمان حوادث الزمان: 238.

التوحيد: 232، 71.

التحف المخزونة: 174.

تقييد كتب اصحابنا: 183، 176، 132، 97.

التقييدات: 233، 209.

تبيين أفعال العباد: 232.

تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم: 233.

(ج)

الجنائز:

جواب لبعض أهل الخلاف: 183، 132، 97.

الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات: 183، 132، 97، 6.

جمل الزجاج: 184، 112.

(ح)

الحيض: 232
الحائية المسماة: (تحريض الطلبة): 178، 203، 236، 349، 352
الحساب وقسم الفرائض: 211، 238

(خ)

الخليل الصالح: 152

(د)

الدييات: 232
ديوان الأشياخ: 172، 229
ديوان العزابة: 112، 123، 229، 230، 232
ديوان أبي الربيع: 119
الدعائم: 112، 188

(ر)

الرهن: 232
الرانية في الصلاة: 176، 235، 236، 348، 351
الرد على الناكثة: 228
روايات أهل الجبل: 238
رسالة المسترشد وكفاية المستشهد: 204، 237

- رسالة متن الديانات: 237، 187، 182
رسالة الحقائق: 132
رسالة في كيفية إنفاق أوقاف المساجد: 132

(س)

- السؤالآت: 233
السيرة في الدماء والجراحات: 232
سير نفوسة: 233، 209
سير الأئمة وأخبارهم: 175، 118
سير أبو الربيع: 119

(ش)

- شرح النونية لأبي نصر بن نوح التملوشايقي: 238
شرح الدعائم: 188
شرح الطهارات: 132

(ص)

- الصوم: 232

(ط)

- الطهارات: 233
طبقات المشائخ بالمغرب: 7، 50، 127، 132

(ع)

- عقيدة الجيطالي: 238
عقيدة نفوسة: 231
العمروسي: 197، 227
العدل في أصول الفقه: 114

(ف)

- فتاوي وأجوبة: 132
الفرائض والحساب: 127

(ق)

- القسمة وأصول الأرضين: 232

- قصيدة الأزمنة . : 237 ، 183
- قواعد الإسلام: 237
- قناطر الخيرات: 238 ، 180 ، 173 ، 114

(ك)

- كتاب ماطوس: 156

(ل)

- لقط أبي عزيز: 238
- لقط أبي عمران موسى بن عامر: 238

(م)

- المناسك: 238
- المسائل : 231 ، 199
- مدونة أبو غانم الخراساني: 146
- مختصر ابن محبوب: 114
- مقامات الحريري: 184 ، 112
- مقامات: 237 ، 180
- مناسك الحج: 238

(ن)

- النونية في أصول الدين : 193، 201، 234، 235، 250.
- النونية في خلق القرآن: 199، 204، 236.
- النكاح: 220، 232
- النكاح ومسائل الخالات: 230.

(و)

- الوصايا: 230.
- الوضع: 112، 175، 176، 231، 232.

فهرس القضايا والمصطلحات

(أ)

الأمازيغية: 205، 201

(ب)

البعثة العلمية: 117، 69

(ت)

التعلم في البيوت: 102، 66

التعليم المتنقل: 106، 102، 66

(ح)

الحركة النفاثية: 196، 50، 47

الحركة الخلفية: 301، 216، 196، 51، 47

الحضارة الإسلامية: 270، 141، 73، 1

الحلقات المتجولة: 104

حملة العلم الخمسة: 196، 194، 141، 43

(خ)

خزانة نفوسة: : 12، 100، 123، 334.

(ع)

العائلة التيميغارية: : 125، 126.

العصر الحديث: : 56.

علم العجائز: : 150.

العلوم العقلية: : 205، 208.

العلوم النقلية: : 140.

(ق)

قصر ولم: : 12، 100، 334.

(م)

المجالس العلمية: : 66، 70، 74، 81، 106.

107، 108، 109، 169

198

المذهب الإباضي: : 42، 43، 159.

معركة مانو: : 55، 109، 121، 136.

146، 147، 148، 149

158، 192، 216، 301.

(ن)

نظام العزابة: : 150، 132، 121

فهرس الأعلام

(أ)

أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري: 43، 44، 51

أبا زكرياء يحيى بن أبي يحيى: 106

أبا الحسن أيوب بن العباس: 213، 53

أبا موسى عيسى ابن زرعة التملوشايقي: 102

ابن الأشعث: 45

أبو جعفر المنصور: 44

أبي الأحوص عمر بن الأحوص العجلي: 44

أبو اليقظان بن أفلح: 52

أبي مسألة: 52

أبو موسى عيسى الطرميسي: 293، 94، 11

أبي زكريا يحيى بن سفيان اللالوي: 135، 103، 92، 70، 10

171 ،170 ،164 ،161

.303 ،218

أبي زكريا يحيى بن جرناز اللالوي: 10 ،172 ،229 ،230

أبي يحيى الفرسطائي: 10 ،71 ،83 ،263 ،264 ،292

.323

أبو زيد المزغوري: 11 ،95 ،332

أبي عثمان المزائي: 12 ،200

أبو محمد الكباوي: 13 ،160 ،161 ،297

أبو هارون الجلامي: 13 ،83 ،90 ،91 ،113 ،135 ،149

156 ،160 ،161 ،162 ،190 ،191

.192 ،193 ،266

أبي عثمان سعد بن يونس: 14 ،62 ،77 ،89 ،113 ،291 ،316

أم ماطوس: 14 ،92 ،164 ،168 ،169 ،329

أبي نصر بن نوح التملوشايتي: 14 ،93 ،176 ،180 ،192 ،193 ،199

.201 ،234 ،238 ،348 ،349 ،352

أبي خليل صال الدركلي: 15 ،75 ،79 ،84 ،88 ،133 ،135 ،142

.143 ،154 ،190 ،208 ،291 ،314

أبي المتيب محمد بن يانيس: 15 ،87 ،135 ،189 ،190 ،196 ،197

.326 ،293

أبي عبد الله محمد بن الخيزر الوزيري: 15 ،144 ،149 ،150 ،155
.340 ،339 ،301 ،297 ،216

أبي يحيى السدراني: 15 ،108 ،130 ،201 ،297 ،339

أبي الحسن الإبدلاني: 15 ،94

أبي حازم المرساري: 15 ،97 ،182 ،183 ،187 ،298

أبو علي بن يخلف التميمجاري: 15 ،124 ،125 ،175 ،265 ،295

إسماعيل الجيطالي: 15 ،95 ،114 ،127 ،131 ،180 ،181

235 ،211 ،193 ،186 ،185 ،184

330 ،297 ،238 ،237 ،236 ،236

.337 ،332

أبي ساكن عامر الشماخي: 15 ،61 ،95 ،96 ،97 ،114 ،132

231 ،187 ،186 ،182 ،181 ،135

333 ،332 ،330 ،293 ،237

.342 ،341

أبي العباس عبد الله الأغلي: 50

إلياس بن منصور النفوسي: 14 ،53 ،145 ،216 ،217 ،221

.320 ،319 ،301 ،292

أفلق بن عبد الوهاب: 54 ،214 ،255 ،300 ،301

أم الربيع الوريورية: 105 ،157

- أبو حسان خيران بن ملال الفرستائي: 105.
- إسماعيل بن عبيد الله الأعور القرشي: 69.
- إسماعيل بن عبيد: 69.
- أبو عبد الرحمن الحبلي: 69.
- أبي الربيع سليمان بن أبي هارون الملوشائي: 231، 175، 174، 135، 81.
- أبي يحيى زكرياء الباروني:
- أبو عبد الله محمد بن سليمان الأبدلاني النفوسي: 127، 94.
- أبي محمد عبدة بن أفلح: 102.
- أبو علي النفوسي: 297، 103.
- أبي يحيى بن غانية الميورقي: 192، 136، 58.
- أبو النجاة يونس التملوشائي: 103.
- أبو عبدة جلد بن البغطوري: 170، 103.
- آمة الواحد: 107.
- أبو مسور يسجا بن يوجين اليهراسني: 337، 154، 108، 78.
- أبو ميمون بن أحمد الجيطالي: 297، 208، 152، 109.
- أبو الشعثاء السنطوي: 109.
- أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني التميمجاري أبي سهل يحيى بن إبراهيم بن سليمان: 126.
- أبو الربيع سليمان بن يخلف المزائي: 174، 122.
- أبو بكر بن يحيى: 122.
- أبو يعقوب يوسف بن نفاث التميمجاري النفوسي: 122.

- إبراهيم بن مطكوداسن أبي إبراهيم بن يخلف بن مالك الدجهمي الغرماني: 123.
- أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني: 123، 232.
- أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستائي: 123، 232.
- أبي محمد ويسلان بن يعقوب المزاني: 123، 131.
- إسحاق بن أبي العباس: 124.
- أبو عبد الله بن محمد النفوسي: 124.
- أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: 124، 125.
- أبي سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماني المزاني: 114، 124، 125.
- أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني: 114.
- أبي عمار عبد الكافي: 125.
- أبو جعفر مسعود الزناني: 126.
- أبي الخير الزواغي: 129.
- أبي القاسم يزيد بن مخلد: 131.
- أبو القاسم البرادي الدمري: 97، 132، 183، 231.
- أبو ذر أبان بن وسيم الويفوي: 75، 143، 148، 149،
150، 216، 301.
- أبو حفص عمرو بن فتح المساكني: 6، 55، 81، 133، 144،
146، 197، 227، 292،
321.

- أبو غانم بشر الخراساني: 146
- أخت عمرو بن فتح المساكني: 147، 146، 144
- أبو ذر صدوق الفرستائي: 147
- أبي مرداس مهاصر: 147
- أبو يونس أبلدبن الفرستائي: 147، 88
- أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري: 148، 144، 109، 88
338، 296
- أبو زكرياء يحيى بن الخير بن أبي الخير الجناوني: 159، 114، 112، 81
176، 174، 173، 171
232، 231، 198
- أبو غلبون الكزيني: 151
- أبو يحيى الأزدالي: 150
- أم الخطاب الأغرميمانية: 150
- أم يحيى تكسليت: 152، 151، 144، 93، 88
- أم زعرور الجيطالية: 152
- أبو محمد التغميني: 219، 153، 72
- ابن معبد الجناوني: 153، 113
- أبو عبدة عبد الحميد الجناوني: 214، 154، 153، 53، 52
315، 310، 300، 291، 224

أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي: 192، 156، 135

أم سحنون اللالوتية: 157

أبو الربيع سليمان بن ماطوس الشروسي: 158، 120

أبو صالح بكر بن قاسم: 160

أبو موسى اليراسني: 160

أبو محمد ونتين الوريوري: 161، 160

أبو محمد زيد بن أفصيت الدرفي: 302، 218، 161

أبو يحيى زكرياء بن يونس الفرسطاني: 159، 135، 90، 83، 71، 10

198، 192، 163، 162، 160

323، 292، 264، 263

أبي يحيى سليمان بن ماطوس: 229، 217، 170، 162

أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصصي: 163، 156، 92، 14

293، 170، 169، 168

329

أبو نصر زار بن يونس التيفستي: 168، 166، 165، 161، 160

أبو يوسف وجدليش بن في: 223، 207، 168، 166، 135

224

- أبو الربيع سليمان بن موسى الشماخي: 166، 187.
- أبو سهل البشر ابن محمد التدميري: 166، 171.
- أبو يوسف مجدول التزغتي: 113، 161، 162، 167.
- أبو هارون موسى بن هارون الملوثاني: 81، 164، 169، 171
219، 294، 322.
- أبو عبد الله محمد بن جلداسن اللالوي: 10، 102، 103، 169
170، 218، 302.
- أبو محمد عبدة بن أفلح الجلاي: 170.
- أبو محمد عبد الله بن مطكود: 81، 171.
- أبو زكرياء يحيى الجادوي: 112، 175، 231.
- أبو يحيى زكرياء بن إبراهيم بن زكرياء بن أبي هارون الباروني: 176.
- أبو يعقوب يوسف بن مصباح: 183.
- أبو زكرياء يحيى بن زكرياء:
- أيوب الجيطالي: 183، 186.
- أبو عبد الله محمد التفجاني: 183.
- أبو ضياء يسفاو الطرميسي: 183.
- ابن محمد ابن الشيخ: 183.
- أبو عمران موسى بن يوسف: 183.
- ابن مكّي: 185.

- أبو عزيز إبراهيم ابن أبي يحيى الباروني: 186.
- أبو عبد الله محمد الباروني: 186.
- أبو عمران موسى بن عامر بن علي الشماخي: 238، 186.
- نوح المرساوي: 298، 187، 182.
- أبو زكرياء يحيى بن أبي العز الشماخي: 188.
- أبو يحيى زكرياء بن عيسى الأبدلاني: 238، 188.
- أبو حسان عامر السدراتي: 192.
- أبو نصر التميمي: 196، 195، 51.
- أبو الخير توزين الجناوي: 207.
- أبو يوسف يعقوب بن سيلوس الطرقي السدراتي: 207.
- أبو صالح ياسين الدركلي: 208.
- أبو عثمان سعيد بن سليمان القساطوي: 208.
- أبو محمد عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن مطكود: 208.
- أبو يحيى توفيق بن يحيى الجناوي: : 233، 210، 209.
- إبراهيم بن أبي يحيى أبي عزيز: 209.
- أبو موسى عيسى ابن سليمان بن أبي يعقوب الشماخي: 210.
- أبو يحيى زكريا الأرجاني: 302، 222، 217، 58.
- أبي عبد الله بن أبي عمر: 302، 217، 213.
- أبي زكريا يحيى الأرجاني: : 302، 295، 217.
- أبو يحيى سليمان بن ماطوس: : 302، 217.

- أبا سليمان التدميري: : 303، 218
- أبو عمرو ميمون الشروسي: 303، 218
- أبو الفضل سهل: 303، 218
- أبو محمد عبدة بن زارود التغميني: 303، 219
- أبو إسحاق الإشاري: 303، 219
- أبو زكريا يحيى بن إبراهيم: 304، 220
- إبراهيم بن أبي يحيى زكريا الباروي: 304، 220
- أبو الليث الجناوي: 222
- أبو بكر بن إبراهيم: 246
- أحمد بن الحسين: 228
- أبو الربيع سليمان بن زرقون التابديوي النفوسي: 120، 119
- ابن الجمع: 119
- أبو القاسم يزيد بن مخلد: 119
- أبو خزر يغلي بن زلتاف: 119
- أبو عمرو عيسى بن سجميمان النفوسي: 119
- أبو الربيع الوسياني: 134، 120، 119
- أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستاني: 122، 120
- أبي زكريا فصيل بن أبي مسور: 122، 121
- أبي توح سعيد بن زنجيل: 122، 121
- أبي عمران موسى بن زكريا: 121

- أبا إسحاق إبراهيم الساحلي الطويجن: 252 .
أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة: 43 ، 116 ، 142 ، 146 ، 192 .
أبو يوسف وجدليش الأمللي: : 176 ، 181 ، 199 .

(ب)

- برو مند انه: 265 .
بسر بن أبي أرطاة: 39 .
بكر بن أبي بكر الفرستائي النفوسي: 120 .
بكر بن سواده الجذامي: 69 .
بلال بن الحارث المزني: 68 .
بهلولة النفوسية: 144 ، 150 .

(ت)

- تبركانت السدراتية: 157 .
توزين بن أبي محمد عبيدة بن زارود التغميني: 104 .

(ث)

- ثابت بن محمد الأخير: 185 .
ثابت بن محمد بن ثابت: 185 .

(ج)

جندول التمكنرتي: 151.

(ح)

الحاج محمد: 126.
حبان بن أبي جبلة: 69.
همزة بن عمرو الأسلمي: 68.

(خ)

خلف بن السمح المعافري: 51، 31، 27، 22
.214، 213، 118

(د)

داود بن هارون: 208، 198، 176، 175
.231، 209

(ز)

- زكريا ابن أبي زكريا بن فصيل: 122 .
زورغ الأرجانية: : 151 ، 144 ، 134 ، 88 .
زيدت بنت عبد الله الملوثانية: 201 .

(س)

- سليمان بن علي بن يخلف التميمي جاري: 125 .
سلمة بن الأكوع: 68 .
سعيد بن مسعود التجيبي: 69 .
سعد بن ييفاو: 123 .
سدرات بن إبراهيم المساكني النفوسي: : 147 ، 144 .
سندياتا كيتا: 248 .
سلمة بن سعيد: 43 .

(ش)

- شكرت الزغوارية: 152 .
شبية الدجي: 296 ، 55 ، 12 .

(ص)

- صالح الدين الأيوبي:58
- صالح المزغوري:208
- صالح بن أفلح:124

(ط)

- طلق بن حابان:69

(ع)

- عاصم السدراني:196، 190، 117
- عمر بن يمكتن : :87، 86، 85، 12
-325، 112
- عيسى بن زرعة:335، 293، 102، 14
- عبد الله بن الزبير:69، 38
- عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق:69
- عبد الرحمن بن رافع التنوخي:69
- عبد الله بن عمر ابن الخطاب:69
- عبد الله بن عمرو بن العاص:69
- عمر بن عبد العزيز:69

- عبيد الله علي بن سلمان الداعي: 57
- عبد الله بن العباس: 69
- علي بن يخلف بن يخلف التميمي جاري: 125
- عبد الخالق الفزائي: 197، 228
- عبد الله الكومي الموحد الغدامسي: 252
- عمرو ابن العاص: 37، 38، 39، 40
- 41، 42، 68، 270
- عمر بن الخطاب: 37، 40، 270
- العباس بن أيوب: 52، 53، 215، 301
- عبد الله رحيم: 44
- عمر بن عبد الله المرادي: 43
- عبيد الله بن الحبحاب: 43
- عبد الرحمن بن حبيب: 45
- عبد الوهاب بن رستم: 27، 45، 48، 49، 50
- 51، 53، 77، 117، 154
- 195، 213، 214، 215، 221، 300
- عبد الملك بن الجعد: 44
- عبد الرحمن بن رستم: 44، 45، 46، 48، 117
- العوام بن عبد العزيز البجلي: 44

(غ)

غومة المحمودي: 15
غزاة السودانية: 156، 155، 150

(ف)

فرج بن نصر المعروف بنفاث: 108، 107، 62، 51، 50
208، 205، 196، 195
.227، 226

(ق)

قراقوش الأرميني: 58

(ك)

كعب ابن عمرو: 68
كباوون: 34

(ل)

لواب بن سلام الأغرميماني التوزري: 226، 118

(م)

- محمد ابن ثابت: 185
- محمد بن فرج الوزاني أو الوزاني: 79
- موهب بن حي المعافري: 69
- محمد بن زكريا البغطوري: 172
- محمد بن يخرز: 172
- مصالة بن يحيى: 122
- مهدي الويغوي: 195، 194، 107، 51
..... 227، 226، 205، 196
- مترو بنت أبي عثمان الدجي المزاني: 201، 200
- مصلوكن الرساوي: 151
- المسلماني ماري جاطة: 266، 265، 251
- محمد بن صالح المسناني النفوسي: 230
- منسا موسى: 251، 250
- محمد ابن عرفة: 255
- مدمان الهرطلي: : 215
- مقر بن محمد البغطوري: 233، 210، 209، 5
- محمد بن عبد الحميد بن مغير الجناوي: 141، 117، 116، 86

هارون بن سليمان بن أبي هارون موسى ابن هارون الباروني: : 219، 304.

(و)

ويدران بن جواد أبو معروف: : 12، 78، 88، 130، 143
.318، 154، 144

وارسفلاس أبو محمد بن مهدي: : 100، 129، 159، 163
.171، 165، 164

(ي)

يحيى بن يونس السدراي أبو زكريا الوزيري: : 108، 201
يونس ابن أبي زكريا بن فصيل: :
يعقوب بن يعدل: : 122

يخلف بن يخلف التيمي جاري النفوسي: : 124، 126
يوسف بن يعقوب بن تميال: : 129

يعيش بن موسى الزواغي: : 97، 132، 183
يصليتن أبو محمد الكباوي: : 160

يخلفتن بن أيوب: : 230

فهرس الأماكن والمواضع

(أ)

- امبراطورية غانا الوثنية: 4، 247، 248، 249.
- أرض السودان: 240، 244.
- أرض البربر: 240، 244.
- أغرميمان: 118، 150، 226.
- أوكار: 244.
- أودغست: 244.
- أريغ: 120، 122، 123، 124.
- أموساكن: 32، 81، 93، 94، 144.
..... 292، 321.
- أدرف: 161، 206.
- إفريقية: 39، 40، 50، 68، 69، 90.
..... 131، 158، 173، 216.
- أجلمم: 74.

- أبي خروبة: 77
- أوتلجام: 336، 294، 167، 104
- أنطابلس: 37
- الإسكندرية: 253، 37
- أمسين: 152، 93
- أيجنانون: 76، 65، 53، 27، 11
- 224، 222، 209، 153
- 315، 310، 296، 291
- أوشباري: 310، 175، 53، 27، 11
- إشارن: 303، 219، 27
- إينتر: 223، 26
- آت بارون: 297، 198، 71، 25، 13
- تصرار: 71، 25، 13
- إعزبولن: 71، 25، 13
- أبو راوي: 71، 25، 13
- أميتار: 25، 14
- إميجل: 335، 102، 25، 14
- أبدليل: 335، 102، 25، 14
- إبديلان: 94، 36، 26، 15
- 294، 188، 127

إمرساون: 175 ، 124 ، 93 ، 26 ، 15

.298 ، 187 ، 182

أت غاسروا: 342 ، 28 ، 15

إيبانين: 292 ، 219 ، 81 ، 24

.322 ، 304

الأندلس: 247 ، 42

إدوناط: 26

أشفي: 28 ، 27

إيفاطمان: 325 ، 26 ، 12

آسيا: 22

أرجان: 295 ، 151 ، 11

أوربا: 22

إميناج: 22

(ب)

بلاد المغرب الكبير: 58 ، 37 ، 10 ، 2 ، 1

.257 ، 67

بلاد الزاب: 2

بلاد الجريد التونسي: 125 ، 124 ، 121 ، 52 ، 2

192 ، 181 ، 127 ، 126

.271 ، 259 ، 253

بلاد السودان الغربي: : 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 8 ، 9 ، 10 ، 16 ، 31

218 ، 192 ، 163 ، 162 ، 65 ، 64 ، 50

248 ، 247 ، 245 ، 243 ، 242 ، 241

261 ، 256 ، 255 ، 254 ، 253 ، 252

.303 ، 268 ، 265 ، 262

بغطورة: 26 ، 88 ، 103 ، 148

.338 ، 296 ، 209

بقالة: 14 ، 26 ، 35 ، 74 ، 142

برقة: 21 ، 37 ، 38 ، 64

البصرة: 43 ، 116 ، 117 ، 142

بابل: 28 ، 52

بادية بني مصعب: 121

بحيرة تشاد: : 241

البحر الأحمر: : 241

البحر المتوسط: 18 ، 20 ، 23 ، 44 ، 64

.257 ، 253 ، 159 ، 142

البخارجة: 15 ، 16 ، 21 ، 28 ، 96 ، 333

بنو قلدين: 259

بئر أودرف: 259

(ت)

التكرور: 249 ، 247 ، 241 ، 218

.246 ، 254 ، 250

تامرما: 259

تيري: 259

تارغين: 259

تاغمة: 183 ، 28 ، 21 ، 15

تازمرايت: 28 ، 21 ، 15

تاقربوست: 28 ، 21 ، 15

تمصص: 163 ، 107 ، 92 ، 25 ، 14

.329 ، 328 ، 293 ، 196 ، 164

ترغت: 298 ، 167 ، 104 ، 26 ، 14

تدميرة: 102 ، 80 ، 65 ، 62 ، 25 ، 14

.326 ، 320 ، 319 ، 292 ، 218

تلات أوغمران: 335 ، 102 ، 25 ، 14

تندباس: 310 ، 296 ، 95 ، 53 ، 27 ، 11

- تيركت: 27، 28، 58، 302
- تاردية: 27، 28
- تاهرت: 46، 47، 48، 49، 51، 52، 64
77، 101، 119، 194
195، 197، 221، 267
- تورغا: 45
- توغرت: 71
- تمايلت: 83، 103
- توزر: 118، 119، 124، 125
- تابديوت: 119
- تين يسلي: 121
- تفاجالت: 121
- تقيوس: 125
- (تين ضح): 196
- تادمكة: 192، 253، 254، 255، 258
- تيمتي: 222
- تين ماطوس: 123
- تيمصليت: 151
- تكدا: 242
- تاكبال: 28، 52
- تيغيت: 24، 28

- تغرمين: 219 ، 123 ، 21 ، 20
- تيميجار: 127 ، 124 ، 96 ، 26 ، 15
- 295 ، 265 ، 175
- تمنكرت: 338 ، 206 ، 151 ، 148 ، 26 ، 14
- توزنرت: 335 ، 102 ، 25 ، 14
- تلات خرب: 335 ، 102 ، 25 ، 14
- توكيت: 297 ، 93 ، 36 ، 35 ، 11
- تموجط: 310 ، 53 ، 27 ، 11
- تمزدا: 295 ، 223 ، 134 ، 36 ، 11
- تملوشايت: 176 ، 171 ، 102 ، 80 ، 25 ، 14
- 335 ، 304 ، 294 ، 293 ، 219 ، 189 ، 180

(ج)

- جبل نفوسة: 24 ، 23 ، 22 ، 20 ، 21 ، 19 ، 18 ، 4 ، 3 ، 2 ، 1
- 39 ، 37 ، 35 ، 33 ، 32 ، 31 ، 30 ، 29 ، 28 ، 27
- 56 ، 53 ، 51 ، 50 ، 49 ، 46 ، 45 ، 44 ، 42 ، 40
- 90 ، 86 ، 80 ، 77 ، 74 ، 72 ، 60 ، 59 ، 58 ، 57
- 120 ، 119 ، 116 ، 109 ، 106 ، 103 ، 98 ، 96
- 225 ، 223 ، 221 ، 152 ، 138 ، 129 ، 125 ، 122

255 ,253 ,248 ,244 ,243 ,241 ,237 ,230
.308 ,305 ,300 ,268 ,266 ,258

جزيرة جربة: 2 ,6 ,64 ,101 ,108 ,120 ,121 ,130
185 ,183 ,172 ,159 ,154 ,132 ,131
.337 ,271 ,243 ,233 ,230 ,229 ,200 ,186

جبل درن: 2 ,18 ,298
جبل أطلس: 2 ,18 ,298

جبال الأوراس: 2 ,18 ,117 ,298
جبل دمر: 2 ,18 ,97 ,132 ,183 ,268
جبال طرابلس: 2 ,20 ,59 ,268

جاربا : 249
جندوبة: 118
جبل إيبانين: 25 ,322

الجفارة: 19 ,29 ,30 ,31 ,50 ,59 ,60 ,71
.81 ,93 ,160 ,313 ,317 ,322

جيطال: 15 ,26 ,127 ,152 ,184
.186 ,297

الجزيرة: 15 ,26 ,36 ,58 ,75 ,87
.131 ,293 ,294
جرينج: 14 ,26 ,296

جاراإصرا: 329 ،168 ،14

جلیمت: 191 ،81 ،25 ،13

جماري: 310 ،297 ،215 ،95 ،53 ،27 ،11

جادو: 82 ،65 ،32 ،27 ،26 ،22 ،19 ،11

259 ،223 ،222 ،218 ،175 ،171 ،166

.332 ،331 ،310 ،302 ،300 ،297 ،295 ،292 ،291

جنوب أوربا: 257 ،253

(ح)

الحوض الأوسط: 241

الحبشة : 240

حومة الحشان: 337 ،186 ،131 ،130

الحامة: 124 ،120

الحرابة: 142 ،85 ،74 ،41 ،14 ،11

.336 ،326 ،313 ،312 ،291

(خ)

خراسان: 245

الخمس: 268 ، 20 ، 18

(د)

درجين: 127 ، 126 ، 125
دار فور: 241
درج: 65

در كل: 143 ، 142 ، 107 ، 87 ، 84 ، 75 ، 26 ، 15
..... 326 ، 314 ، 313 ، 311 ، 291 ، 189

دجي: 296 ، 200 ، 104 ، 60 ، 26 ، 12 ، 11

(ر)

رقرق: 27
الرحيبات: 127 ، 97 ، 93 ، 85 ، 32 ، 26 ، 15
..... 339 ، 321 ، 265 ، 223 ، 152 ، 151
الرجبان: 303 ، 222 ، 219 ، 109 ، 85 ، 28 ، 27

(ز)

زواغة: 129

- الزملة: 31
- زويلة: 160 ، 159 ، 119 ، 64 ، 38 ، 37
- 261 ، 259 ، 257
- زعرارة: 26 ، 12 ، 11
- زغاري: 255
- الزنتان: 123 ، 27 ، 21 ، 20

(س)

- سواحل أفريقيا الشمالية: 3
- السودان الأوسط: : 241
- السودان الشرقي: : 241
- سلام عليك: 159
- سرت: 209 ، 198 ، 197 ، 50 ، 48 ، 45 ، 44
- ستوت: 109 ، 27
- سباب : 259
- سجل ماسة: 244 ، 228 ، 119 ، 64

(ش)

- الشياب: 94 ، 26

الشمال الإفريقي: 21, 34, 35, 59, 142, 155, 242
.245, 252, 253, 256, 263, 271

شروس: 12, 26, 29, 32, 41, 42, 60, 65, 77, 78
164, 162, 158, 154, 143, 100, 90, 79
291, 270, 258, 229, 218, 217, 169, 165
.334, 318, 309, 302

الشقارنة: 15, 28, 333
الشام : 245

(ص)

الصين: 42
صبراتة: 38, 41, 64
الصحراء الكبرى: 37, 44, 121, 240, 241, 261

(ط)

طرابلس: 2, 6, 10, 11, 13, 14, 15, 18, 19, 20, 31
64, 59, 50, 48, 44, 43, 41, 40, 39, 38, 34
.268, 257, 253, 195, 187, 185, 184, 121, 101

طمزين: 13, 14, 25, 32, 65, 77, 89, 92, 102
.316, 298, 294, 291
طرميسة: 11, 94, 95, 175, 180, 182, 183, 184

.331 ،330 ،302 ،295 ،293 ،217

طنجة: 43

(ظ)

الظهر: 60 ،59 ،19

(ع)

العطف: 126 ،121

عين إيندل: 32

عين تموجط: 32

عبد الغني: 25

عين تغليست: 32 ،24 ،10

عين إينظر: 32

عين أمسين: 32

عين نانا تالة: 32

عين إجلازن: 32

عين وليوجهي: 32

عين الزرقاء: 32

عين الرومية: 32
عين تامديت: 32

(غ)

غانة: 249 , 248 , 247 , 246 , 245 , 244
.267 , 265

الغلت: 27
غابة تالة: 172 , 24

غرداية: 126 , 121

غدامس: : 253 , 219 , 142 , 117 , 65 , 64 , 6 , 1
.303 , 271 , 261 , 260 , 258 , 257 , 256

الغابات الاستوائية: 249 , 241

(ف)

فزان: 197 , 172 , 142 , 64 , 28 , 18 , 2
.271 , 261 , 259 , 228 , 227

فساطو: 126 , 103

فرسطا: 10، 25، 36، 83، 120، 122، 123، 147
160، 162، 163، 184، 292
297، 311، 317، 323، 324

(ق)

قابس: 185

قصطالية: 119، 121

القبروان: 6، 44، 45، 56، 64، 101، 117

120، 131، 211، 253، 257

القلعة: 15، 16، 21، 28، 183

قصة مادي: 15، 16، 28، 96، 296، 333

القصر: 14، 25، 102، 335

القرادين: 15، 21، 28، 96، 333

(ك)

كاوكاو: 253، 254، 258، 425

كومي صالح: 246

كاوار: 259

كباو: 10، 13، 19، 24، 25، 65، 160

161، 297، 311، 322

كمزين: 25، 298

- ككلة: 298، 52، 28
- كوغة : 244
- (كبرينا) : 247
- كانياغا: 247
- كانجاب: 248
- كانغايا: 249

(ل)

- لماية: 230، 121
- لالوت: 156، 65، 32، 24، 23، 22، 21، 20، 19، 10
- 157، 163، 164، 169، 170، 172، 218
- 230، 268، 295، 296، 327

(م)

- المغرب الأوسط: 125، 48، 46، 45، 37، 18، 2
- المشرق العربي: 141، 133، 98، 4، 3
- مليكة: 126، 121
- مغمداس: 85، 45
- مصر: 250، 64، 50، 37

مزغورة: 183 ،182 ،181 ،97 ،95 ،53 ،27 ،11
.332 ،310 ،293 ،184

مرقس: 294 ،142 ،74 ،41 ،26 ،14

المغرب الأقصى: 241 ،37 ،18 ،2

المشوشيين: 333 ،96 ،28 ،21 ،15

المحيط الأطلسي: 249 ،243 ،241 ،37 ،18

المعانيين: 333 ،182 ،132 ،96 ،28 ،21 ،15

ميتيون: 298 ،183 ،182 ،97 ،96 ،26 ،15

ماجر: 335 ،293 ،180 ،102 ،25 ،14

مزو: 295 ،175 ،11

ملاحظات أوليل: 254

ميري: 148 ،53 ،28 ،27

مفزاوة: 244

(ن)

نيابي: 249 ،247

نهر السنغال: 243 ،241

النوبة: 240

نفائة: 195

نفطة: 127 ،126 ،125 ،124 ،121

- النيجر: 2، 141، 241، 255.
- نهر النيجر: 243.
- نهر فولتا: 241.

(هـ)

- هضاب النقازة: 20، 268.

(و)

- ونقارة : 244.
- وارجلان: 114، 119، 121، 123.
- 124، 125، 126، 127، 159.
- وادي ميزاب: 121، 126.
- ودان: 39.
- وادي أبو غنداس: 26، 149، 339.
- وادي لالوت: 24.
- وادي الشيخ: 25، 105.
- وربوري: 25، 105.
- وادي تالة: 10، 26، 85، 94، 144.
- وادي أوجنت: 26، 149، 339.
- وادي أمسين: 26، 93، 96، 124، 175.
- يزيد بن أبي مسلم: : 42.

.339 ،187

.27 ويفات:

125 ،121 وادي أريغ:

.121 وغلانة:

.317 ،25 وادي طمزين:

.25 وادي فرسطا:

.106 ،22 وطن يفرن:

.23 ،21 واژن:

150 ،149 ،108 ،36 ،26 ،15 ونزيرف:

.340 ،339 ،297 ،155

255 ولاتة:

.322 ،297 ،24 ،13 وادي إكراين:

.87 ،74 ،41 ،26 وادي شروس الكبير:

129 ،88 ،74 ،65 ،26 ،11 ويغو:

164 ،156 ،155 ،151 ،148

.312 ،205 ،194 ،165

(ي)

52 ،32 ،31 ،28 ،27 ،23 ،22 ،21 ،20 ،19 ،15 يفرن:

183 ،182 ،181 ،132 ،106 ،103 ،97 ،96 ،65

.242 ،241 ،233 ،296 ،293 ،268 ،210 ،196 ،186

.310 ،27 ،11 يوجلين:

فهرس القبائل والجماعات والفرق والدول

(أ)

- الأمازيغ: : 2، 69
الأتراك العثمانيين: 15، 56
الإباضيين: 46، 227، 256
أهل ودان: 39

أولاد محمود: 24، 28
أهل إينر: 223
أهل أغل: 224
أهل مرجس: 142
أهل كزين: 151
أهل جليمة: 151

(ب)

- البربر: 2، 43، 240، 244

- بني دباب: 58 .
- بني زمور: 215 ، 214 ، 53 ، 22 .
- بني أمية: 42 .
- بجرسو: 247 .
- بني هلال: 173 ، 58 .
- البحاوة: 240 .
- البحجة : 240 .
- بني سليم: 173 ، 58 .
- بني وزمار: 122 .
- بني ويرؤ: 126 .
- بني أجاج: 127 .
- بني يفرن: 119 ، 27 ، 22 .

(ج)

- جوة كنته: 247 .
- الجنديانين: 28 .
- الجارامنت: 28 .
- الجيتول: 29 ، 28 .

(د)

- الدولة الأموية: 42 .
- دولة بني ثابت: 158 .

الدولة الرستمية: 27، 45، 46، 48، 49، 51، 52، 53، 55، 56
145، 146، 196، 197، 205، 213، 214، 217
221، 226، 227، 248، 254، 267، 270، 300، 302
الدولة العباسية: 43، 46
الدولة الفاطمية: 56، 58
دياب : 173

(ر)

الرومان: 2، 33، 35، 142

(ز)

زناتة: 22، 27، 136، 218، 268، 303
زغب: 173
الزغاوة : 240
الزنج: 240

(س)

السونكة : 246
السكاكية: 122
سركلة: 247

سوماورو:247

سدراة:268، 22

السغاى:251

(ص)

الصفرية:266، 228

صوصو : 249، 248، 247، 246، 9

.256، 255

(ط)

الطوارق :251

(ع)

عوف:173

(ف)

الفينيقين:28

الفاطميين:136، 56

(ك)

كوكو : 258 ، 255 ، 249 ، 241
كتامة: 58

(ل)

لواتة : 268 ، 22
اللملمية: 244
الليبين القدماء: 35 ، 34 ، 28
اللوتوفاجيين: 28

(م)

المسيحية: 270 ، 269 ، 40 ، 36 ، 35 ، 2
مملكة الصوصو: 255 ، 248 ، 246 ، 4
مملكة مالي الإسلامية: 249 ، 248 ، 247 ، 243 ، 4
..... 255 ، 251 ، 250
مملكة السنغاي: 4
مزاتة: 230 ، 49 ، 48 ، 39
مغراوة: 268 ، 22
المرجئة: 228
الماندنجو: 248 ، 247
ماطس: 224

الموشي : 251
مسكورة: 22
ماطوسة. : 22
المغاربة: 198 ، 42
المعتزلة: 228 ، 196 ، 194 ، 190 ، 49

(ن)

نفوسة: 99 ، 98 ، 55 ، 49 ، 48 ، 39 ، 22 ، 19
209 ، 199 ، 166 ، 158
230 ، 221 ، 215
نغالة: 241

(هـ)

هوارة: 268 ، 22

(و)

الوندال: 34
ورفجومة: 44
الوثنية: 269 ، 248 ، 246 ، 243 ، 36 ، 35 ، 2

(ي)

اليهودية: 270 ، 269 ، 36 ، 35 ، 2

المصادر والمراجع

- المصادر المخطوطة .
- المصادر المطبوعة .
- المراجع .
- المراجع الأجنبية .
- الدوريات .
- الرسائل العلمية .

أولاً : المصادر المخطوطة :

1) البرادي ، أبو القاسم بن إبراهيم ، الجواهر المنتقاة ، طبعة حجرية ، مكتبة الباحث.

2) البغطوري ، سيرة أهل نفوسة ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

3) الجناوني ، كتاب الصوم ، مخطوط ، طبعة حجرية.

4) الجناوني ، الأحكام ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

5) الجيطالي ، إسماعيل بن موسى ، قناطر الخيرات ، طبعة حجرية.

6) الجيطالي ، إسماعيل الجيطالي ، عقيدة الجيطالي ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

7) الجيطالي ، إسماعيل بن موسى ، شرح النونية ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

8) الشماخي، إبراهيم سليمان ، طرق وقصور جبل نفوسة ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

9) الشماخي، أحمد أبو العباس ، السير ، مخطوط ، طبعة حجرية ، مكتبة الباحث .

10) الشماخي، أبو عمران موسى ، لقط أبو عمران ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

11) الفرستائي، أحمد أبو العباس ، الألواح ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

12) المساكني، عمرو بن فتح ، أصول الدينونة الصافية ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

13) الوارجلاني، يحيى بن أبي بكر ، السير وأخبار الأئمة ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

14) الوسياني، أبو الربيع سليمان ، سير أبي الربيع ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

15) التملوشايتي ، أبو نصر فتح بن نوح ، ديوان الشيخ أبو نصر ، طبعة حجرية ، القاهرة: المطبعة البارونية.

ثانياً . المصادر المطبوعة :

1) القرآن الكريم.

2) الإباضي ، ابن سلام ، بدء الإسلام وشرائع الدين ، ترجمة : سالم بن يعقوب وقيرنر شفارتس ، بيروت : دار صادر ، 1986 .

3) الإدريسي ، أبي عبد الله محمد بن إدريس ، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، مج 1 ، بورسعيد : مكتبة الثقافة الدينية ، 1994 .

4) استرابون ، الكتاب السابع عشر من كتاب استرابون (وصف ليبيا ومصر) ، تحقيق : محمد المبروك الذويب ، بنغازي : منشورات جامعة قاريونس ، 2003 .

5) الأصبخري ، ابن اسحاق إبراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر الحسيني ، مراجعة : محمد شفيق غربال ، مصر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1961 .

6 (الأنصاري ، شمس الدين أبي عبد الله ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ج 2 ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، (ب . ت) .

7 (الباروني ، سليمان عبد الله ، الأزهار الرياضية في معرفة أئمة وملوك الإباضية ، ج 2 ، القاهرة : المطبعة البارونية ، (ب . ت) .

8 (الباروني ، عبد الله بن يحيى ، سلم العامة والمبتدئين ، القاهرة : مطبعة النجاح ، 1290 هـ .

9 (البرادي ، أبو القاسم بن إبراهيم ، رسالة في كتب الإباضية .

10 (ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، 1964 .

11 (البغدادي ، صفي الدين ، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق : علي محمد البجاوي ، بيروت : دار الجليل ، 1992 .

12 (البكري ، أبو عبيدة ، المسالك والممالك ، ج 2 ، تحقيق : أدريان فان ليفن وأندري فيري ، تونس : الدار العربية للكتاب ، 1992 .

13 (البكري ، أبو عبيدة ، كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، (ب . ت .) .

14 (البلاذري ، أبي العباس أحمد ، فتوح البلدان ، تحقيق : عبد الله الطباع وعمر الطباع ، بيروت : منشورات مؤسسة المعارف ، 1987 .

15 (التجاني ، أبو محمد عبد الله ، رحلة التجاني ، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب ، ليبيا — تونس : الدار العربية للكتاب ، 1981 .

16 (التونسي ، محمد بن عمر ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق : خليل عساكر وآخرون ، القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، 1965 .

17 (الجناوني ، أبي زكريا يحيى ، كتاب الوضع ،

18 (الجناوني ، أبي زكريا يحيى ، عقيدة التوحيد ،

19 (الجيطالي ، إسماعيل أبو طاهر بن موسى ، قناطر الخيرات ، ج 1 ، تحقيق : عمرو النامي ، القاهرة : 1965 .

20 (ابن الحكم ، عبد الرحمن عبد الله ، فتوح أفريقية والأندلس .

- 21 (الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ،
- 22 (ابن خرداذبة ، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله ، المسالك والممالك ، ،
تقديم : محمد مخزوم ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1988 .
- 23 (ابن خلدون ، عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب
والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مج 6 ، بيروت :
دار الكتب العلمية ، 1992 .
- 24 (ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة ، ط 2 ، ضبط وشرح وتقديم : محمد
الأسكندراني ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1998 .
- 25 (الدرجيني ، أبو العباس أحمد ، طبقات المشائخ بالمغرب ، ج 1 ، تحقيق :
إبراهيم طلاي ، قسنطينة : مطبعة البعث ، 1974 .
- 26 (الرستمي ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، مسائل نفوسية ،
- 27 (السعدي ، عبد الرحمن ، تاريخ السودان، باريس: نشر هوداس وبنوه،
1964.

- 28 (الشماخي ، عامر بن علي، الإيضاح، نالوت: دار الدعوة. 1971.
- 29 (ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستمين ، تحقيق : محمد ناصر وإبراهيم بحاز ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1986 .
- 30 (العمري ، شهاب الدين أحمد بن فضل الله ،
- 31 (ابن غلبون ، محمد بن خليل ، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار ، تصحيح وتعليق : الطاهر أحمد الزاوي ، طرابلس : مكتبة النور ، 1967 .
- 32 (فتى بن جناو و عبد القهار بن خلف ، أجوبة علماء فزان ، تحقيق : عمرو خليفة النامي وإبراهيم طلاي ، قسنطينة : دار البعث ، (ب . ت) .
- 33 (القزويني ، زكريا بن محمد ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت : دار صادر ، 1960 .
- 34 (القلقشندي ، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء ، ج 5 .
- 35 (كعت ، محمود ، تاريخ الفتاش. باريس: نشر هوداس وبنوه، 1964.

- 36 (مجهول ، الإستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : سعد زغلول
عبد الحميد ، الدار البيضاء : دار النشر المغربية ، 1985 .
- 37 (المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بيروت : مكتبة خياط ،
1906 .
- 38 (المغربي ، أبي الحسن علي بن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق : إسماعيل
العربي ، بيروت : منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ،
1970 .
- 39 (المراكشي ، ابن عدارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج
1 ، تحقيق : ج . س . كولان و إ . ليفي بروفنسال ، ط 3 ، بيروت : دار
الثقافة ، 1983 .
- 40 (النصيبي ، أبي القاسم بن حوقل ، صورة الأرض ، ج 1 ، ط 2 ، بيروت
: دار صادر ، (ب . ت) .
- 41 (الوزان ، الحسن ، وصف إفريقيا ، ج 2 ، تحقيق : محمد حجي ومحمد
الأخضر ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1983 .
- 42 (اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، كتاب البلدان ، بيروت : دار إحياء
التراث العربي ، 1988 .

ثالثا . المراجع .

- 1 (أمين ، أحمد ، فجر الإسلام ، بيروت : دار الكتاب العربي .
- 2 (أنديشة ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، مصراة : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، 1993 .
- 3 (الأنصاري ، أحمد النائب ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، طرابلس : مكتبة الفرجاني ، (ب . ت) .
- 4 (بابا عمي ، محمد بن موسى وأخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج 2 ، بيروت : دار الغرب الإسلامي .
- 5 (بازامة ، محمد مصطفى ، ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، ج 8 ، بنغازي : دار مكتبة الفكر ، 1972 .
- 6 (البخاري ، إصلاح محمد ، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا فيما وراء الصحراء (تنبكت — غدامس نموذجاً) ، الزاوية : مطابع الوحدة العربية ، 2004 .

7) البرغوثي ، عبد اللطيف محمود ، التاريخ الليبي القديم ، بيروت : دار صادر ، 1971 .

8) البرغوثي ، عبد اللطيف محمود ، التاريخ الليبي الإسلامي ، بيروت : دار صادر ، 1971 .

9) تيري ، جاك ، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى ، ترجمة : جاد الله عزوز الطلحي ، مصراته : دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، 2004 .

10) الجابري ، محمد عابد ، تكوين العقل العربي ، ط6 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1994 .

11) الجابري ، محمد عابد ، العصبية والدولة ، ط3 ، بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ، 1982 .

12) الجعيري ، فرحات ، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة ، تونس : المطبعة العصرية ، 1975 .

13) الجنحاني ، الحبيب ، دراسات مغربية ،

14 (جوتشايلد ، ر . ج ، دراسات ليبية ، ترجمة : عبد الحفيظ فضيل الميار و أحمد اليازوري ، طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1999 .

15 (حسن ، إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج2 ، ط 7 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1964 .

16 (حسن ، نبيلة ، في تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، (ب ت) .

17 (الدالي ، الهادي المبروك ، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 1999 .

18 (الدالي ، الهادي المبروك ، مملكة مالي الإسلامية ، ط 2 ، الزاوية : مطابع الوحدة العربية ، 1999 .

19 (دبوز ، محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير

20 (روزنتال ، فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة : صالح أحمد العلي ، مراجعة : محمد توفيق حسين ، بغداد : مكتبة المثني ، 1963 .

21) روسي ، أتوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911 ، تعريب وتقديم :
خليفة التليسي ، بيروت : دار الثقافة ، 1974 .

22) الزاوي ، الطاهر أحمد ، معجم البلدان الليبية ، طرابلس : منشورات
مكتبة النور ، 1968 .

23) الزاوي ، الطاهر أحمد ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ط2 ، ليبيا : دار
التراث العربي ، 1963 .

24) زبادية ، عبد القادر ، مملكة سنغاي في عهد الإسيقيين ، الجزائر : الشركة
الوطنية للنشر والتوزيع ، (ب . ت) .

25) زبيس ، سليمان مصطفى ، بين الآثار الإسلامية في تونس ، تونس :
منشورات دار الثقافة ، 1963 .

26) زكار ، سهيل ، مائة أوائل ، دمشق : دار حسان للطباعة والنشر ،
1989 .

27) زكي ، عبد الرحمن ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ،
القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة ، 1961 .

28) سليم ، مریم ، علم تكوين المعرفة ابستمولوجيا يياجه ، بيروت : معهد الإنماء العربي ، 1985 .

29) شاكر ، محمود ، التاريخ الإسلامي ، ج5 ، ط5 ، بيروت : المكتب الإسلامي ، 1991 .

30) شرف ، عبد العزيز طريح ، جغرافية ليبيا ، الإسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية ، 1962 .

31) الطالبي ، محمد ، الدولة الأغلبية ، ترجمة : المنجي الصيادي ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1985 .

32) الطاهر ، عبد الجليل ، المجتمع الليبي دراسات اجتماعية و انترولوجية ، صيدا — بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، 1969 .

33) الطويل ، توفيق ، العرب والعلم في عصر الإسلامي الذهبي ، القاهرة : دار النهضة العربية ، 1968 .

34) عباس ، إحسان ، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري ، بيروت : دار صادر ، 1967 .

- 35) عبد الحميد ، سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ،
- 36) عبد الرزاق ، محمود إسماعيل ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، الدار البيضاء : دار الثقافة ، 1976 .
- 37) العربي ، إسماعيل ، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية ، المغرب : منشورات دار الآفاق الجديدة ، 1993 .
- 38) عبد العليم ، مصطفى كمال ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، بنغازي : منشورات الجامعة الليبية — المطبعة الأهلية ، 1966 .
- 39) عمر ، أحمد مختار ، النشاط الثقافي في ليبيا ، بيروت : مطبعة دار الكتب ، 1971 .
- 40) عبد الوهاب ، حسن حسني ، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، القسم الأول ، تونس : مكتبة المنار ، 1972 .
- 41) الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد ، موسوعة المغرب العربي ، مج 3 ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1994 .

42 (غوتيه ، أ . ف ، ماضي شمال إفريقيا ، تعريب : هاشم الحسيني ،
طرابلس : مكتبة الفرجاني ، 1970 .

43 (غوري ، إبراهيم حلمي ، الصحاري والسهول والسهوب ، بيروت : دار
الشرق العربي ، (ب . ت) .

44 (ليفتسكي ، تاديوش ، المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية ، ترجمة :
ماهر جرار وريما جرار ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 2000 .

45 (ليفيسكي ، تاديوش ، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم (دراسة لسنية في
الأنوميا والطوبونوميا الأمازيغية) ترجمة: عبد الله رارو، الولايات المتحدة
الأمريكية: مؤسسة توالث الثقافية.

46 (متر ، آدم ، الحضارة الإسلامية ، ج1 ، تعريب : محمد الهادي أبو ريده ،
بيروت : دار الكتاب العربي ، (ب . ت) .

47 (المصراي ، علي مصطفى ، مؤرخون من ليبيا ، طرابلس : منشورات
الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، 1977 .

48 (معمر ، علي يحيي ، الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثانية — القسم
الأول ، القاهرة : مكتبة وهبة ، 1964 .

49) مفتاح ، صالح مصطفى ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة
الفاطمية إلى مصر ،

50) المهدي ، محمد البروك ، جغرافية ليبيا البشرية ، بنغازي : منشورات
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ، (ب. ت) .

51) موسى ، عز الدين عمر ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، بيروت :
دار الشروق ، 1983 .

52) الميار ، عبد الحفيظ فضيل ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، طرابلس :
منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية ، 2001 .

53) الناضوري ، رشيد ، المغرب الكبير العصور القديمة ، بيروت : دار
النهضة العربية ، 1981 .

54) يعقوب ، سالم بن ، تاريخ جزيرة جربة ، تونس : دار الجويني للنشر ،
1986 .

رابعاً . المراجع الأجنبية :

1) Oric Bates , The Eastern Libyens Frank Cass Co. ltd. 1970.

2) Despois . J. : Le Djebel Nefousa. Larore. Editcurs. 1935.

خامساً . الدوريات :

1 (آلان ، جيمس ، بعض مساجد جبل نفوسة ، مجلة ليبيا القديمة ، المجلد التاسع والعاشر ، روما : مطابع ج . باردي ، 1977 .

2 (باريش ، باربرا ، الجيولوجيا الأثرية للجبل الغربي ، ترجمة : مصطفى عبد الله الترجمان ، مجلة عربيا القديمة ، العدد الأول ، روما : " ليرما " دي بريتشنايدر ، 1995 .

3 (حركات ، إبراهيم ، دور الصحراء الأفريقية ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد ، السنة الثالثة ، طرابلس : مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية ، 19

4 (حسن ، محمد ، حول إحدي القبائل البربرية : نفوسة (مجالها الجغرافي وعلاقتها بالسلطة المركزية) ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد العاشر ، الرباط : 1984 .

5 (حسين ، أحمد إلياس ، سلع التجارة الصحراوية ، ندوة الصحراء الكبرى ، أعداد : عماد غانم ، طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبين ، 1979 .

6) حسين ، أحمد إلياس ، طرق التجارة في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى ، ندوة الصحراء الكبرى ، أعداد : عماد غانم ، طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين ، 1979 .

7) دغيم ، محمد فرج ، التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية الواقعة على جانبي الصحراء ودور ليبيا في هذا التواصل ، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي ، طرابلس : منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، 1999 .

8) سمسون ، و . ج . و . ج . م . رينولدز ، نقوش كتابية من العوينية بالقرب من يفرن ، مجلة ليبيا القديمة ، روما : مطابع ج . باردي ، 1968 .

9) العناق ، جمعة محمد ، ما قبل التاريخ في شمال أفريقيا ، مجلة آثار العرب ، العدد الأول (الفاتح) ، 1990 .

10) العوامي ، عياد موسى ، تأملات في فن الرسم على الصخور ، مجلة آثار العرب ، العدد الثاني ، (مارس) ، 1991 .

11) فايس ، هانس ، الصحراء الكبرى في ضوء التاريخ ، ترجمة مكاييل محرز ، مراجعة : عماد غانم ، ندوة الصحراء الكبرى ، طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين ، 1979 .

12) فرناندو ، باولو ، نظام تجارة تادمكة وجاو وكاوكاو وكوكيا في إطار تاريخ الإتصالات الثقافية على إمتداد طرق التجارة عبر الصحراء ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، السنة الثالثة ، 1981 .

13) فريدة ، بنعزوز ، قراءة في أبحاث تاديوش ليفيتسكي حول فجر العلاقات بين المغرب وبلاد السودان ، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي ، طرابلس : منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، 1999

14) قوجة ، محمد ، الأبعاد الحضارية لجامع أبو مسور في جزيرة جربة ، جربة : جمعية صيانة جزيرة جربة ، 1995 .

15) بن مرزوق ، الصادق ، إسماعيل الجيطالي حياته ومآثره ، أعمال الملتقي حول تاريخ جزيرة جربة ، المعهد القومي للآثار والفنون ، جربة : منشورات جمعية صيانة جزيرة جربة ، 1986 .

سادساً . الرسائل العلمية :

1) مفتاح ، صالح بن معيوف ، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية منذ منتصف القرن 2 هـ إلى أواخر القرن 3 هـ ، إشراف : محمد حمام ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، شعبة التاريخ ، الرباط : 2000 – 2001 ف .

فهرس المحتويات

الإهداء	—
كلمة شكر وتقدير	—
المقدمة	1
الفصل الأول (التمهيدى)	17
1. التحديد الجغرافى لمنطقة جبل نفوسة	18
2. التطور الحضارى فى جبل نفوسة	24
أ). التوزيع الجغرافى لقري ومدن جبل نفوسة	24
ب). بداية الإستقرار وأنواع السكن فى جبل نفوسة	28
ج). أساليب وأنماط الحياة فى جبل نفوسة	30
د). آثار وتاريخ جبل نفوسة القديم	32
و). الديانات السابقة للإسلام فى جبل نفوسة	35
3. الفتح الإسلامى لجبل نفوسة	37
4. دور جبل نفوسة فى بلاد الغرب الإسلامى	42

42	تمهيد
46	أ. جبل نفوسة والدولة الرستمية
59	ب. الأهمية الاقتصادية لجبل نفوسة
59	أولاً: الزراعة والرعي
61	ثانياً: الصناعة
64	ثالثاً: التجارة

الفصل الثاني

66	(الحياة العلمية في جبل نفوسة)
67	1. المؤسسات التعليمية وطرق التدريس
73	أولاً: المساجد
84	ثانياً: المدارس
98	ثالثاً: المكتبات
102	2. التعلم في البيوت والتعليم المتنقل
107	3. الحلقات والمجالس العلمية
110	4. المراحل التعليمية ومناهجها الدراسية
116	5. الرحلات العلمية خارج الجبل
129	6. طلاب وافدون على جبل نفوسة
133	7. الاجازات العلمية

الفصل الثالث

(جهود علماء جبل نفوسة ودورهم

- في إثراء الحياة العلمية) 137.
1. العلوم والفنون وأبرز العلماء 138.
- أ. العلوم النقلية 140.
1. علم الفقه 140.
2. علم التفسير 189.
3. أصول الدين 191.
4. علم الكلام 194.
5. العلوم اللغوية والآداب 200.
- ب. العلوم العقلية 205.
1. علم المنطق 205.
2. علم النجوم 206.
3. علم التاريخ والسير 208.
4. علم الحساب (الفرائض) 211.
2. الوظائف العامة للعلماء 212.
- أ. الولاية (الوالي) 212.

- ب). القضاء 220 .
ج). الحسبة 223 .
3. الإنتاج العلمي (المؤلفات) 225 .

الفصل الرابع

(الحياة العلمية في الجبل وتأثيرها

- على بلاد السودان الغربي) 239 .
1. جغرافية بلاد السودان الغربي 240 .
2. ممالك بلاد السودان الغربي 242 .
أ). مملكة غانا الوثنية 243 .
ب). مملكة الصوصو 246 .
ج). مملكة مالي الإسلامية 248 .
3. علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان الغربي 253 .
4. الطرق والمحطات التجارية 257 .
5. التأثير الديني والثقافي 262 .

268	الخاتمة
272	التوصيات
273	الملاحق
343	الفهارس
344	فهرس الأعلام
360	فهرس الأماكن والمواضع
374	فهرس القبائل والجماعات والفرق والدول
380	فهرس الكتب
387	فهرس الآيات القرآنية
388	فهرس الأحاديث الشريفة
389	فهرس الأبيات الشعرية
397	فهرس القضايا والمصطلحات
398	المصادر والمراجع
420	فهرس المحتويات